

حَسْبُكَ الْمَأْوَى

الإمام الأكبر
محمد الحسين آل كاشف الغطاء

دار الأضواء
بيروت

حَبِيبُ الْمَأْوَى

الإمام الأكبر
محمد الحسين آل كاشف الغطاء



جميع الحقوق محفوظة للناسِر

الطبعة الثانية

طبعة جديدة مزيدة ومنقحة

١٩٨٨ هـ - ١٤٠٨ م

النبي - شارع عبد الله الحاج - ص. ب. ٢٥/٤
برقيا، غبيري حسكر - بيروت - لبنان

دار الفکر

للطباعة والنشر والتوزيع



١٢٩٤ - ١٣٧٣ هـ

خذوا ظاهراً من صورتني فضميرها
وألفت بين إسمي ورسمي راجياً
عساني إذا أبلى أنال بذكركم
أروم بقاء إسمي ورسمي بينكم
تصور من روح التحنن والرحم
حياتهما إن بات تحت الثرى جسمي
حياة وحسي من حياتي ذكر إسمي
ولا نفعي إسمي الغداة ولا رسمي
(كاشف الغطاء)

هذه الصورة مهداة من الشيخ الإمام آية الله المغفور له كاشف الغطاء
إلى العلامة الخطيب المتضلع الكبير الحاج ميرزا عباسقلي الواعظ الجرندي
التبريزي دام بقاءه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وله الحمد والمجد

لما قضت العناية الأزلية المشيئة الإلهية وتقدير العزيز العليم أن صرت طالباً للعلم الديني منذ ترعرعي وشبابي وكان ذلك من نعم الله تعالى عليّ ثمّ أتمّ لي النعم بعدما عافاني عن بعض السقم وهياً لي أولاً أسباب الهجرة إلى الأرض الطيبة بلدة (قم) المباركة بإيران والإشتغال في حوزتها العلمية سنين متطاولة عند الأساتذة كبراء الدين والملة^(١) ثم الهجرة ثانياً إلى الأرض المقدّسة الجامعة الكبرى للشيعة (النجف الأشرف) بالعراق - وفقني في تلك الجامعة العلميّة بالحضور عند الأساتذة زعماء الدين وعظماء الملة^(٢) تراهم من فقيه عصره إلى نابغة دهره وفيلسوف زمانه ولا سيّما بالحضور مع جمع من أفاضل أصدقائنا لدى شيخنا وأستاذنا الإمام فقيده الإسلام أشهر مشاهير علماء

(١) كالسيد الزعيم ومن ألفت إليه الرياسة زمامها والزعامة مقاليدها المرجع الأعلى للشيعة سيدنا الطباطبائي البروجردي دام ظلّه الوارف، والسيد الزعيم بطل العلم والفقاهة المرجع الأعلى للشيعة سيدنا الحجة التبريزي الكوهكمري الجامع بين التتبع والتحقيق في أنواع العلوم الإسلاميّة، والسيد الزعيم والمرجع الشهير والمجتهد الكبير سيدنا صدر الدين الصدر الأصفهاني قدّس سره وغيرهم .

(٢) كالسيد الزعيم ومن ألفت إليه المرجعية زمامها والرياسة مقاليدها فقيه العصر المرجع الأعلى للشيعة سيدنا الطباطبائي الحكيم دام ظلّه الوارف، والحكيم الفقيه والفيلسوف الجامع بين المعقول والمنقول آية الله الشيخ عبد الحسين الرشتي النجفي قدّس الله روحه، والعلامة الفقيه والمجتهد المتبحر الشهير الشيخ ميرزه باقر الزنجاني النجفي، والسيد العلامة الفقيه الحكيم المتبحر والمجتهد الشهير السيد ميرزه حسن البجنوردي الخرساني دام ظلّه وغيرهم .

الشيعة صبيّاً في الدنيا وهو من عظماء العالم آية الله المغفور له الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء قدّس الله روحه ونور ضريحه ، وكان غالب حضورنا لديه في مدرسته العلميّة^(١) للترؤد من علومه الجمّة ، والإستفادة من أفكاره العلميّة ، والإرتشاف من ندير حكّمته العاليّة ، والإستضاءة من أنوار علمه المتدفق وفكره الناضج ، وهو الوحيد في الإحاطة بأنواع العلوم والنافذ فكره والعميق إلى أعماق الحقائق ودقائق الفضائل وأسرار الفنون ، وكان من جراء ذلك ظهور كتاب (الفردوس الأعلى) إلى مرحلة الوجود وعالم العلم والأدب . وقد برز ذلك الكتاب القيم إلى الملاء العلمي وانتشر باهتمامنا بعد أن امتثلت بأمره في ترجمة المسائل القندهاريّة من تصانيفه من الفارسية إلى العربيّة التي أدرجها في الفردوس الأعلى وبعد نشر ذلك الكتاب وإرتواء الناس من مناهله العذبة ووقوعنا في المضائق المكربة بسبب بعض الحوادث العجيبة وتصاريّف الزمان والدهر الخوان عزمنا للقفول إلى الأرض التي نشأنا فيها ، ففارقنا حضوره مع الحسرات والآلام الروحيّة التي لا انقطاع لها إلى آخر عمرنا أبداً . وأضف إلى ذلك ما توجه إلينا من التألّمات التي حدثت في قلبنا من مفارقتنا الجامعة العلميّة مع شوقي الأكيد إلى البقاء فيها وعدم الفراق عنها ولكن الله أمر هو بالغه .

وقد منّ الله تعالى علينا أن طبعنا الفردوس الأعلى في (تبريز) ثانياً بحلّة قشبيّة رائعة وطبعة جديدة طامحة في سنة (١٣٧٢ هـ) . مع زيادات وتنقيحات منه قدس سرّه لم تكن في الطبعة الأولى مع زيادات في تعليقاتنا عليه أيضاً فراجع .

ومن قراء مقدّمة ذلك الأثر الخالد التي كتبها باستدعائي من محضره قدّس سرّه علم أنّه وعد فيها أنّه بعد طبع الفردوس يشرع بطبع كتاب (جنّة المأوى) وهو كالجزء الثاني للأوّل وقال : (إن مواد هذا الجزء كلها جاهزة وإن فسح

(١) وفي زمن تأليفه كتاب الفردوس الأعلى كنت أتشرف بحضوره في بعض الليالي في بيته الشريف الواقع في محلة العمارة من محلات النجف الأشرف أيضاً .

الله تعالى في الأجل ووقفنا لأن نعزّزهما بثالث نجعله « شجرة طوبى » ولكن الأسف كل الأسف أنّ الأجل وحيل أعداء الدين والإنسانية لم يمهل به جمع كتابه (جنة المأوى) وتأليفه ، فإنه بعد أن تمت الطبعة الثانية من الفردوس التمسّت بواسطة المراسلات المتوالية من حضوره الشريف إرسال (جنة المأوى) التي وعد بها المتّقون لإياشر بطبعها ونشرها في (تبريز) ، وتلقى استدعائي بالقبول وأجاب بمسألتي بالترحب وإجابة المأمول ، فصدر أمره الشريف بإرسال مقدمتها ومقداراً من موادها وبينما أنا في صدر تهيئة أسباب الطبع والنشر وصل إليّ كتاب كريم بخطه الشريف بالفارسية مفصلاً جادت به يراعتة من (كربلاء) قبل خروجه منها إلى مستشفى الكرخ (بغداد) بثلاثة أيام ، ولم يترك قدس سرّه في ذلك الكتاب المشتمل على صفحتين من أمور الطبع وترتيبه ألاّ أحصاها ، وأمرني بكتابة مقدمة وأن أدرج فيها بعض المطالب التي ذكرها في مكتوبه الشريف ، ولا غرو أن أقول أنه أحسّ كما يظهر من إشاراته وتلويحاته أنه آخر مكتوب جادت به يراعتة وأرسله إلينا . وأمرني رحمه الله بكتابة بعض التعاليق على (جنة المأوى) وهذا كان من عنايته الخاصّة إلينا ، فإنه لم يعهد منه طيب الله ثراه طيلة حياته الشريفة هذه العناية الخاصّة في حق أحد من تلامذته والإذن بل الأمر عليه بكتابة التعليقات على واحد من مصنفاته العديدة النظير ، فوجدت من عطفه وكرمه ومن تشويقه وحثّه على الكتابة ونشر العلم ما لا أقدر على وصفه بهذا البيان الضئيل .

إليك أيّها القاريء العزيز بعض فقرات تلك المراسلة الشريفة بعين ألفاظها الفارسيّة : (بسمه تعالى جدّه ومجده سلام الله وتحياته وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد . رقيمه كريمه درضمن سه عدد از فردوس رسيد بکربلاء جون از روز بيست وهفتم^(۱) برای زيارت عيد فطر مشرف شده ام واز مدّت بنجاه روز تاکنون عارضه خون که سال گذشته وارد شده بود نیز عود کرده وظاهراً بعد از سه روز بايد برای معالجه سفر ببغداد کنم وخیلی بی شده

(۱) یعنی يوم (۲۷) شهر رمضان المبارك سنة (۱۳۷۳) هـ .

ام ودکاتره نجف وکربلاء نتوانستند معالجه کنندخیلی التماس دعا از جنابعالی وازهمکی دوستان دارم وقبل از بکھفته و یا بیشتر بابت هوای مقدمه (جنّة المأوی) بادو یاسه صفحه در مقام رفیع خاتم الأنبیاء (ص) بتوسط آقا سید . . . ارسال شده إن شاء الله تعالی تاکنون رسیده واکر محتاج باصلاح می باشید وسابقاً عرض شده که اغلب موادّ این قسم موجود است ولی در اوراق متفرقه ومسودات وفقط بجمع وترتیب ونقل وتبیض محتاج است واحقر بالین بی حالی وبی مساعد باکثرت اشغال وابتلاع ازسرتا قدم خیلی برایم خت است وان شاء الله تعالی فرستاده میشود وجنا بعالی مرتب نموده وهرجا محتاج باصلاح باشد اصلاح می نمائید (وعاقبت رفتن بغداد نمیدانم چه خواهد بود والأمر لله ولا حول ولا قوّة الا به) . . .

ثمّ شرع في تفصيل بعض المطالب إلى أن قال : منتظر خبر وصول مقدّمة جنّة المأوی هستم و جنابعالی مجالی دارید برای سر افرازی^(۱) مشغول نوشتن مقدمه آن باشید وظاهراً سراوار است که مرقوم فرمائید وأریکم المسدد الموقّق إن شاء الله تعالی . (ا ه) .

کربلائی معلی - ۷ شوال ۱۳۷۳ هـ محمّد الحسین آل کاشف الغطاء .
ثم سافر إلى بغداد ومكث في مستشفى الكرخ شهراً واحداً كما سنفضّل هذا النبأ المؤسف في ترجمته إن شاء الله تعالی . وكنت أهياً في تلك الأيام أسباب طبع جنّة المأوی ، فإذا أذاع نبأ وفاته معظم محطات العالم وانتشر هذا الخبر المؤسف في أنحاء الدنيا وعمّت تلك الخسارة العظمی العالم الإسلامي فبقینا على عدم توفیقنا لإتمام طبع هذا الأثر الخالد في أيام حياته^(۲) ووصل إلینا في تلك الأيام المظلمة بسبب فقدانه العظیم من (كرنند) كتاباً من نجله الجلیل

(۱) أستاذ بزرگوارم سرافرازی برای بنده است که اثرزحمات وتعلیمات مثل نابغه اسلامی تا این اندازه سر افرازم قرمودید که بر کتاب نفیس آن یکانه مرد عظیم الشأن مقدمه بنویسم ومفتخر باشم .

(۲) وهو حي إلى الأبد یرزق . ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبیل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم یرزقون ﴾ (سورة آل عمران آية ۱۶۹) وله الحياة الثانية في هذه النشأة الفانیة أيضاً لبقاء آثاره ومآثره وذكری خدماته الإسلامية التي لا تنسى على مر القرون أصلاً .

الشيخ محمّد شريف دام بقاءه وكان تاريخه يوم السبت ١٦ ذي العقدة (١٣٧٣) هـ ، ورأينا أنّه أمر نجله الجليل الشريف بإرسال نسخة من أثره الخالد (تحرير المجلّة) في خمسة أجزاء ولاحظنا التاريخ وكان ذلك يوم وروده إلى (كرد) فإنّه ورد إلى (كرد) قرية بإيران بين كرمشاه وخانقين يوم السبت ١٦ ذي العقدة (١٣٧٣) هـ وانتقل إلى رحمة الله بعد صلاة الفجر يوم الإثنين ١٨ ذي العقدة (١٣٧٣) هـ ق .

ولم نزل وجميع المسلمين متأسفين لهذا الخطب الجليل وعدم توفيقني لإتمام هذا الأثر القيم إلى أن وفقني الله تعالى بتأييداته الخاصة للسفر إلى العراق في سنة (١٣٧٦) هـ ووردنا إلى مدينة العلم (النجف الأشرف) جامعة العلم والآداب وكنت ضيفاً للأخ العلامة الحجّة الشيخ محيي الدين المامقاني مد ظلّه ، وحين وردت إليها كاد قلبي أن يطير من شدّة الشوق والوجد لحبي الشديد للنجف الأشرف وجامعتها ، لكونها مدفن الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه ، ومركز الثقافة الدينيّة والعلوم الإسلاميّة اللازم حفظها^(١) على كل شيعة مثقف حيّ ، فإنّ تلك الجامعة الكبرى أوّل جامعة أسست للشيعة الإمامية وأقدمها منذ أن قدم الإمام أمير المؤمنين (ع) إلى الكوفة سنة (٣٦) هـ ، فإنّ تاريخ تأسيسها يرجع بعد إمعان النظر والتحقيق إلى زمن الإمام (عليه السلام) ونعم ما قال ابن الحجاج رحمه الله :

ياصاحب القبة البيضاء على (النجف) من زار قبرك واستشفى لديك شفى
 زوروا أبا الحسن الهادي فإنكم تحظون بالأجر والإقبال والزلف
 زوروا لمن يسمع النجوى لديه فمن يزره بالقبر ملهوفاً لديه كفى

(١) قال المستشرق الإنكليزي (إدوارد برون) في تاريخ أدبيات إيران ما هذا تعريبه تقريباً :
 (توطن العلماء والمجتهدين في النجف خارج المملكة الإيرانية زاد على مصونيتهم كثيراً وكسروهم أو تضعيفهم كان محط نظر وآمال كثير من سلاطين إيران قبل الدولة الصفوية وبعدها ولم يصلوا إلى النتيجة المطلوبة إلا قليلاً) أنظر تاريخ أدبيات إيران ترجمة رشيد ياسمي ص ٢٦٣ ط ٢ طهران والقارىء الفطن يفهم من كلامه أن سر توطن الفقهاء والمراجع في تلك الجامعة هو مصونيتهم في أكثر الأمور والحوادث .

وقل سلام من الله السلام على أهل السلام وأهل العلم والشرف^(١)

(١) أنظر القصيدة وترجمة ناظمها في الكنى والألقاب للمحدث القمي (ره) ج ١ ص ٢٤٦ ط صيدا ومراده من (أهل السلام) في البيت أهل وادي السلام وهم الأموات في مقبرة النجف الكبرى التي تعد أول مقبرة إسلامية ومراده من أهل العلم والشرف الذين عناهم الشاعر ابن الحجاج هم العلماء المجاورون لقبر الإمام (ع) وتوفي ابن الحجاج (٢٧ جمادى الثانية سنة ٣٩١ هـ) أي قبل ورود الشيخ الطوسي شيخ الطائفة (ره) إلى النجف بـ (٥٧) سنة فإن الشيخ ورد إليها سنة (٤٤٨) هـ .

وفي خلال كتابتي لهذه المقدمة سافر إلى (إيران) أخي وابن أستاذي وشريكي في الدروس العلامة الخبير الحجة الشيخ محمد الرشتي نجل آية الله المغفور له أستاذنا الشيخ عبد الحسين الرشتي النجفي (ره) وكنت قد دعوته أن يشرف (تبريز) لنجدد بزيارته عهدنا الماضي . وقد لبي طلبتي وجاء إلى تبريز في ١٣ ربيع الثاني ١٣٨٠ هـ ونزل عندي ورآني مشغولاً بكتابة هذه المقدمة فأرشدني - كما أرشد من قبل الشيخ جعفر المحبوبة صاحب ماضي النجف وحاضرها - إلى بعض النصوص الدالة على أن النجف كانت مأوى الفقهاء والمحدثين قبل ولادة الشيخ الطوسي (ره) .

منها ما ذكره السيد ابن طاوس (ره) بإسناده في فرحة الغري ص ١١٤ ط النجف في كيفية زيارة عضد الدولة البويهى الديلمي (ره) لمرقد الإمام أمير المؤمنين (ع) في سنة (٢٧١) هـ و فرق الأموال الطائلة على جميع أهل النجف والمترددین إليها ، وخص لكل منهم مبلغاً ، وعيّن للفقهاء القاطنين أيضاً مبلغاً جسيماً « وعلى الفقراء والفقهاء ثلاثة آلاف درهم » . ويظهر أيضاً لمن سبر إسناده كتاب فرحة الغري أن بعضهم كانوا من المجاورين لمرقد الإمام (ع) قبل مجيء الشيخ إلى النجف كما في ص ٦١ : « عن المفيد عن محمد بن أحمد بن داود عن أبي الحسين أحمد بن محمد الرازي المجاور » . وفي ص ١١٣ : « إنه وجد بخط الشيخ أبي عبد الله محمد بن السري المعروف بـ ابن البرسي المجاور بمشهد الغري » . ويروى عن أبي عبد الله هذا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شهریار الخازن في سنة (٤٦٢) هـ كما في بشارة المصطفى ص ٧ ط النجف ، ويظهر أن أبا عبد الله محمد بن أحمد بن شهریار القمي الخازن للروضة المقدسة العلوية كان من المجاورين لمرقد الإمام (ع) قبل مجيء الشيخ (ره) للنجف وسبب اختيار الشيخ (ره) النجف دون غيرها من البلدان هو وجود الحوزة العلمية فيها ، فانتقل إليها وزوج بنته من أبي عبد الله بن شهریار ، وفي رجال الشيخ النجاشي (ره) ص ٥٠ : « أجازنا بروايته أبو عبد الله الخمري الشيخ الصالح في مشهد مولانا أمير المؤمنين (ع) سنة (٤٠٠) هـ عنه » وإسم هذا : الحسين بن جعفر بن محمد المخزومي الخراز المعروف بـ ابن الخمري .

أنظر ترجمة عبد الله بن إبراهيم من كتاب النجاشي ص ١٥٥ .

وما ذهب إليه بعض الإخباريين من المعاصرين أن مؤسس الجامعة النجفية هو الإمام الأكبر الشيخ المفيد (ره) المتوفي (٤١٣) هـ فهو غلط فاحش لا مستند له ولا دليل عليه ويكذبه التاريخ الصحيح وما تجاسر به على الشيخ المفيد (ره) ببعض التعبيرات الركيكة وارتضائه طريقة الشيخ الصدوق (ره) من أفحش الأغلاط التي لا يعابها أصلاً .

وبعد ما وردنا إلى جامعة النجف الأشرف واجتمعنا مع العلماء و الأصدقاء في
أندية العلم وبقينا فيها عدّة شهور واجتمعنا أيضاً مع نجل شيخنا الإمام وقرّرنا
ساعة خاصّة للإجتماع معه في مكتبة الإمام (ره) الواقعة في مدرسته العلميّة في
محلّة العمارة للفحص عن تلك الأوراق المتفرقة والمواد النفسية التي كان من
قصده جمعها وترتيبها في جنّة المأوى ، فحصل منها لدينا مقدار مواد متفرقة
مختلفة لها تعلق بموضوع الكتاب ولم تصل أيدينا إلى كل ما ترشح من قلمه
الشريف في حق كل واحد من الأئمة الطاهرين سلام الله عليهم من المواد
والمقالات والرسائل التي كان من قصده جمعها وترتيبها وتجديد النظر فيها أو
كان من قصده كتابتها عند تأليف الكتاب بل وجدنا مقداراً ممّا يتعلق بخاتم
الأنبياء (ص) وبعض الأئمة عليهم السلام ، ورأينا أن كلّ ما برز من قلمه
الشريف من المقالات المتفرقة والموضوعات المختلفة ولها تعلق ومناسبة في
الجملة بموضوع الكتاب ينبغي ضبطها وثبتها ، فإن كل ما ترشح من قلمه
الشريف لها قيمتها العالية عند أهلها ممّن يميّز الجواهر من الحصى لاشتمال
كلّ ما جادت به يراعته من مقال أو رسالة موجزة أو مكتوب وجيز أو جواب
سؤال أو حلّ أشكال أو دحض باطل أو فكّ عقدة أو إثبات مطلب على الفوائد
والمطالب الممتعة بل كلها فوائد وعوائد وموائد وآثار يانعة مترشحة من ذلك
القلم السيال والإيماء الخاص له .

فجئنا بتلك النفائس والنوادر والأوراق القيّمة إلى إيران - تبريز ثمّ وفقني
الله تعالى لزيارة بيته الحرام سنة : (١٣٧٧) هـ وبعد القفول من المكة
المعظمة سرنا في القدس وسوريا ثمّ قصدنا العراق لزيارة الأعتاب المقدّسة
ووردنا إلى مدينة العلم (النجف الشريف) واجتمعنا مع الأفاضل والعلماء في
الأوساط العلميّة وأخذنا من نجل الإمام (ره) أعني العلامة الشريف دام بقاءه أيضاً
بعض ما يتعلق بموضوع (جنّة المأوى) بعد الفحص عنه في زوايا مكتبته
العامرة . وكنت أتمنى إن سنحت الفرصة وأتاحت لي الظروف وسنح لي
الإقبال وساعدني التوفيق أن أجمع تلك المواد وأرتب تلك النفائس ممّا تيسّر
جمعها ونالها يدي من تلك الجواهر الثمينة حبّاً لبثّ العلم وخدمة الإنسانية

وحرصاً على نشر الفضائل وحفاظة لمقدار ممّا ترشح من قلمه الشريف وحراستها عن الضياع على مر القرون وتصاريق الزمان وليكون نفعها عاماً. وأرى نفسي الآن واجدة ضالتها المنشودة ، أعني جمع تلك المواد ونضد تلك الدرر وترصيفها وتنظيمها وليس كل هذا الإهتمام إلاّ نظراً إلى ما كان من قصد شيخنا الإمام من تأليف هذا الكتاب ونشره .

حياة المؤلف

نسبه - تاريخ ولادته - أسرته نشأته وبراعته في الآداب - مشايخه وأساتذته - فقاوته
وتبحره في العلوم - استحضاره العلمي وإلقاء محاضرة إرتجالية على البعثة
المصرية - أخلاقه وغيّره على الإسلام والمسلمين - يومياته - أسفاره
ورحلاته - مواقفه الإصلاحية - تأليفاته - وفاته - شيوع الإفتاء صنفان من
العلماء - الإطراء عليه .

نسبه

هو الشيخ محمّد الحسين بن العلامة الشيخ علي بن الحجّة الشيخ
محمّد رضا بن المصلح بين الدولتين الشيخ الأفقه الشيخ موسى بن الشيخ الأكبر
الشيخ جعفر بن العلامة الشيخ خضر بن يحيى بن سيف الدين المالكي
الجانجي النجفي .

أشهر مشاهير علماء الإسلام في الشرق وأبعدهم صيتاً وأغزرهم علماً
في العالم الإسلامي ، بل هو من عظماء المجتمع الانساني وكبراء العالم البشري ومن
الشخصيات الأفاضل وأكابر شيوخ الإسلام وأعظم فقهاء الشيعة الأعلام وأحد
أركان الدين المجددين ورواد النهضة ودعاة الإصلاح ورث زعامة الدين عن
آبائه الفطاحل واجتمع فيه خصال الكمال والفضائل وقام بالأعمال الجلائل .

غير خفي على القارئ الكريم إننا إن أردنا أن نكتب له ترجمة ضافية
نحتاج إلى تأليف كتاب مستقل وترصيف تصنيف منيف حيث أنّ حياته دروس وعبر ؛
وحكم وغرر وعلو في الروح وسمو في الذات ؛ وأخلاق عالية . ولا بد
للتاريخ أن يحتفظ قسماً وافراً من حياته إن لم يحتفظ بكله وسيكون موضع
دراسة وتحليل بأقلام حرّة . وإنّما تعرضنا لتاريخ حياته إجمالاً أداءً لحقوق
الأبوة الروحانية العامّة والحقوق الخاصّة التي له علينا وعلى رجال العلم .

تاريخ ولادته

سألت عنه شفاهاً عن تاريخ ولادته قال : ولادتي في سنة ١٢٩٥ هـ ومن المحقق أنه وجد بخط والده أنه ولد في سنة ١٢٩٤ هـ كما أن تاريخ المنظوم ينطق بذلك قال العلامة السيد موسى الطالقاني مؤرخاً ولادة الشيخ المترجم له :

سرور به خص أهل الغرى فعم المشارق والمغربين
بمولد من فيه تمّ الهنا وقرت برؤيته كل عين
وقد بشر الشرع مذأرخوا ستثنى وسأيده للحسين^(١)
١٨٨ ، ٨٦ ، ١٠٢٠
سنة (١٢٩٤) هـ

ولكن في الكلمة التي جادت بها يراعة العلامة المرحوم الشيخ جواد الشيببي (ره) والد معالي العلامة الشهير الشيخ محمد رضا الشيببي في ترجمة شيخنا الإمام (ره) وألحقها بآخر كتاب الإمام الذي وسمه بـ (الدعوة الإسلامية إلى مذهب الإمامية) ص ٢١٧ - ٢٢٣ ط بغداد^(٢) جاء البيت الأخير كما يلي :

(به ابتهج العلم) مذأرخوا ستثنى وسأيده للحسين
ويتضح من هذا حدسيّة التاريخ الذي ذكره رحمه الله لي شفاهاً وذهل عن خاطره الشريف هذا البيت المتضمن لتأريخ ولادته .

(١) أنظر (ديوان السيد موسى الطالقاني) ص ٢٦٠ ط النجف سنة (١٣٧٦) هـ .
(٢) الجزء الأول من كتاب (الدعوة الإسلامية إلى مذهب الإمامية) مطبوع في بغداد بمطبعة دار السلام سنة : (١٢٢٨) هـ في (٢٢٤) صفحة بورق جيد يقرب من قطع (الدين والإسلام) بل أصغر منه بقليل ونسخة نادرة الوجود منه موجودة في مكتبة شيخنا الإمام (ره) وأدخلت فيها بعد وفاته وهي من بقايا النسخ التي كان رحمه الله مشغولاً بطبع الجزء الثاني من ذلك الكتاب وإذا بالسلطة العاشمة تهاجمه بأمر الوالي (ناظم باشا) ويبيعاز المفتي (الشيخ سعيد الزهاوي) كما ذكره في مقدمة الفردوس الأعلى وطالعت الجزء الأول في سنة (١٣٧٦) هـ في النجف الأشرف .

أسرته

هو من قبيلة بني مالك من قبائل العراق المعروفة تعرف الآن بآل علي يقيم قسم منهم الآن في نواحي الشامية وينتهي نسبهم إلى مالك بن الحارث الأشتر النخعي رضوان الله عليه من خواص أصحاب أمير المؤمنين (ع) الذي قال في حقه : (لقد كان لي مثل ما كنت لرسول الله (ص)) .

كما نص على ذلك العلامة الكبير السيد مهدي القزويني المتوفي (١٣٠٠) هـ في (أنساب القبائل العراقية) ومدحهم بذلك جمع من أعلام الأدب في شعرهم كالسيد صادق الفحام والشيخ صالح التميمي وغيرهما ، وأثبت قسماً منه العلامة النوري (ر ه) في (المستدرك) ج ٣ ص ٣٩٧ وذكرهم شيخنا العلامة البحاثه الشيخ آقا بزرك الطهراني النجفي في كتابه طبقات أعلام الشيعة ج ٢ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ وهو (الكرام البررة) فراجع .

وجناحي نسبة إلى جناحية وهي قرية من أعمال الحلة يقال لها قديماً قناقية ، وأغلبها من أملاك أحفاد الشيخ الأكبر (ر ه) إلى اليوم . هاجر والد الشيخ الأكبر كاشف الغطاء (ر ه) وهو العلامة الشيخ خضر من جناحية إلى النجف الأشرف فاشتغل بتحصيل العلم حتى عدّ في الرعيل الأول من زعماء الدين في عصره وعرف بالصلاح والتقوى فكان العلماء والصلحاء تراحم على الصلاة خلفه وتنسب إليه الكرامات وملاقة صاحب الزمان صلوات الله عليه .

وأسس هذا الشيخ هذه الأسرة في النجف وقام أولاده الفطاحل بالزعامة والرياسة والمرجعية العامة للشيعة واشتهر صيت جلالتهم في الشرق ونبغ منهم من يعدّ من عظماء العالم وخدموا الدين وبثوا العلم ونشروا الفضل وأخذوا مقالات الأمور بيد من حديد ولأسرتنا صلوات وشيخة وعلائق ودّ متينة ومراسلات ثمينة معهم ، ولاسيما مع الشيخ الأكبر كاشف الغطاء ولده الفقيه الأعظم الشيخ موسى بن جعفر قدّس سرهما وقد كتب الشيخ الأكبر في حق شريك درسه عند الوحيد البهبهاني (ر ه) والشيخ العلامة محمّد مهدي الفتوني العمالي كما هو موجود عندي الآن بخطه وخاتمه الشريف ما هذا لفظه : (المتولّي لمنصب القضاء

بأمر الله ورسوله العالم العلامة ميرزا محمد تقي القاضي ألخ وكتب كثيراً نظير ذلك في حق جدنا العلامة العالم الرباني ميرزا مهدي القاضي الطباطبائي (ره) ^(١) يطول الكلام بذكرها .

وقد كتب شيخنا الإمام المترجم له كتاباً نفسياً في تواريخ أسرته الجليلة ووسمه بـ (العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية) وسوف تسمع وصفه الثناء عليه في كلمة العلامة الأديب الشيخ جواد الشيبلي (ره) ورأيت نسخة بعض مجلداته عند شيخنا المترجم له وطالعه كراراً كله أدب وتاريخ وفوائد وعوائد .

وعندنا إجازات بخطوط أعلام هذه الأسرة الجليلة في حق جمع من أعلام أسرتنا الشريفة كما أن شيخنا الإمام المترجم له كتب بخطه الشريف إجازة لي وسوف ننشرها في آخر الكتاب في ضمن بعض تعليقاتنا المفصلة إن شاء الله تعالى .

نشأته وبراعته في الآداب

نشأ في بيته الجليل الطافح بالعلم والعلماء وعباقرة الفقه والإجتهد نشأة طيبة ، ورث في حجر الفطاحل بالسؤدد والشرف والعزة والترف ، ولما بلغ

(١) توفي العلامة الفقيه ميرزا محمد تقي القاضي سنة (١٢٢٢) هـ وولده العالم الرباني الحاج ميرزا مهدي القاضي في سنة (١٢٤١) هـ أنظر ترجمتهما تفصيلاً في كتاب (خاندان عبد الوهاب) المخطوط - ورياض الجنة للزنوزي (ره) - المخطوط - ومقدمة تنقيح الأصول ص ١١ ط النجف وطبقات أعلام الشيعة ج ٢ ص ٢٢٨ وفيها في ترجمة جدنا بعض الإشتباهات وكتاب (هدية لال عبا في نسب آل طباطبا) المخصوص بأنساب أسرتنا والمطبوع سنة (١٣٣١) هـ ش بمطبعة مجلس بطهران أنظر ص ٣٥ - ٧٠ وهو تأليف السيد حسين علي نقيب زاده ولكن في كتابه بعض اشتباهات مهمة . وكتاب (الوحيد البهبهاني) للمعاصر الدواني حفظه الله ص ٢٩٩ ط قم وفيه أيضاً بعض اشتباهات في ترجمة جدنا نبهنا على بعضها في تعليقاتنا على الأنوار النعمانية للسيد الجزائري (ره) ج ٢ ص ٣٥ ط تبريز سنة (١٣٧٩) هـ وتاريخ تبريز لنادر ميرزا القاجاري المطبوع وغيرها وللسيد ميرزا مهدي القاضي إجازة عن الميرزا الشهرستاني (ره) نقلها العلامة الأميني دام بقاءه في شهداء الفضيلة (ص) ٢٧٨ وأشار إليها المحدث القمي (ره) في الكنى والألقاب ج ٣ ص ١٦٥ ط صيدا .

العاشرة من عمره الشريف شرع بدراسة العلوم العربية ثم قرأ علوم البلاغة كالمعاني والبيان والبديع مع العبرية الفذة والثقافة الأدبية في بيئته التي نشأ فيها فإن في بيته تسلسل العلماء والأدباء منذ قرنين وهو يتعلم الآداب بين أظهرهم منذ ترعرعه وشبابه ، ثم درس الرياضيات من الهيئة والحساب وأضربهما وبرع في الآداب لا يدانيه فيه أحد وصار أستاذاً ماهراً في النظم والنثر وكفاً شاهداً كتابه (العبقات العبرية) الذي أوعزنا إليه وأشعاره وقصائده التي نظمها وعمره لم يتجاوز (٢٤) سنة . أنظر القصيدة التي نظمها في ردّ بعض علماء أهل سنة بغداد في سنة (١٣١٧) هـ وهي مطبوعة ملحقة بكتاب أستاذه في الحديث والرجال العلامة النوري (ره) الذي وسمه بـ (كشف الأستار) والقصيدة متضمنة لمطالب كتاب أستاذه مع الجزالة في النظم والرقعة في الشعر تبلغ بـ (٢٤٠) بيتاً وأولها : ص ٢٠٢ :

نفسى بعيد الدار قرّبه الفكر وأدناه من عشاقه الشوق والذكر

وقد وصفه بعض العلماء قبل نقل تلك القصيدة في آخر كتاب كشف الأستار ص ٢٠٠ بقوله : أما بعد فهذه قصيدة فريدة وعذراء خريفة قد ألبسها أكفّ نسائم الصبا أبراد رقتها ، وكسها رياض حدائق البشر أثواب بهجتها ، فهي أنضرم من روضة فتحت أكامها نفخات النسيم ، وأرق طبعاً من سلافة أكابيب التسنيم ، فلا الخمرة تحكيها ولا عين ساقيةها وليست طبعاً نعمة العود وإن رقت تضاهيها ولا ريحانة البان وإن مدّت نواصيها بأحلى من معانيها وأزكى من مجاريها ، قد حوت أسمى مراتب الجزالة ورفعت الشبه الناشئة من ظلم الجهالة وضمنت إتمام المحجّة وإقامتها وكشف الحجّة وإمطتها فتشعت غياهب الجهل وسطعت أنوار اليقين وظهرت دلائل الحق وانبرت شبه الجاهلين قد أجزل ألفاظها بعدوبة معانيها ورفص بنيانها بإحكام مبانيها من سلمت إليه البلاغة مقاليدها وأعطته الفصاحة عدتها وعديدها فهو مالك أزيمة المعاني والبيان والقاطع من ناظره بأقلّ سير وأبلغ برهان والحائز قصبات السبق في ميادين الفضائل والبالغ بعلوّ همّته أعلى مراتب الفواضل المنزّه من كلّ شين الشيخ شيخ محمد حسين لا زال والمجد قرينه والفضل خدينه خلف

علامة البشر والأستاذ الأكبر الشيخ جعفر كاشف الغطاء قدس الله سبحانه سرّه وزين به في الجنان الأسره قد جمع بنظمها ما ألفه المفصح عن معجم الآثار النبوية ، وما أفاده في كتابه آية الله الكبرى بين أظهر البرية كاشف الحجب والأستار عن الشريعة المحمّدية ومتقن قواعد أصول مذهب الأثنى عشرية ألخ وهذه الكلمات تنبأ من مكانته العالية في الآداب وعلوم العربية والبلاغة والقريحة الشعرية وهو في سن الشباب لم يتجاوز عمره عن (٢٤) سنة كما عرفت ، فالشيخ الإمام المترجم له من العلماء الذين تفوقوا في الأدب والشعر كما سموا في علوم الدين والشرع .

وله أيضاً مقدمة على تلك القصيدة كتبها نثراً يقول فيها : يقول أسير الذنوب والبلايا ورهين الخطوب والخطايا الأحقر محمد حسين ال الشيخ جعفر أنه وردت إلينا في هذه الأيام قصيدة من بعض جماعة دار السلام ولكنها يتيمة وإن كانت في سوق الشعراء ما لها قيمة ، يسأل فيها عن أمر الحجّة المنتظر والإمام الثاني عشر، وتصدى شعراء العصر للجواب عنها ولكنهم لم يبلغوا حقيقته وإن أجادوا وما أصابوا الغرض وإن أحسنوا بما جاؤا به وأفادوا، فقلت في نفسي أعط القوس باريها فلا يخطي مراسها فعرضتها على علامة الفقهاء والمحدثين ثم بعد الثناء الجميل على المحدث النوري (ره) يقول: فكتب أيده الله تعالى رسالة أبهرت العقول والألباب ولم يأت أحد بمثلها في هذا الباب، وحيث أن السؤال كان نظماً أحببت أن يكون الجواب طبق السؤال فنظمتها على الوزن والقافية على تشتت البال وجعلتها خدمة لإماننا الحجّة (ع) ولنوابه الأعلام خصوصاً صاحب الرسالة ألخ .

ويعلم مقامه الشامخ في الأدب قبل أن يصل إلى حد التكليف أيضاً ممّا كتبه العلامة الشيخ جواد الشيباني (ره) في كلمته الملحقة بآخر كتاب (الدعوة الإسلامية) حيث يقول فيها ما هذا لفظه : وله سوى ذلك من المصنّفات كتاب أنيق ألفه قبل أن يألف العذار عارضيه ويجري قلم التكليف عليه أخلصه لتراجم طبقات أسلافه الأكارم وأسرّه الأعاضم وعدّ مساعي آبائه وأجداده ومآثرهم الجميلة في الدين وغرّ خدماتهم في الإسلام ووسمه بـ (العقبات

العنبرية في الطبقات الجعفرية) وهو مشروع تموج فيه مياه الآداب من مسجلات ومراسلات وتواريخ وتراجم ومسائل فقهية ومباحث علمية، ونثر فائق وشعر رائق ممّا قالوه أو قيل في مديحهم ومراثيهم وتهاديبهم وتهانيهم ، ويحتوي على بعض وقايع (العراق) وأحواله وعلى الخصوص المشهد الكريم والزاوية المقدسة منه (النجف الأشرف) وله في النظم روية حاضرة وبديهة باهرة ويد طولى تجد القصيدة الواحدة منه تنوف على المأتين والثلاثمائة وكلها بتمام القوة والإنسجام والرقّة والترصيع بأنواع البديع ولولا ضيق المجال لذكرنا منها ما يعجز ويعجب بل يطرب بالإعجاب ويطرب لكنه بعد العشرين من عمره قد رفض تعاطي نظم الشعر بالكلية إلا ما يتعلق بمديح النبي (ص) والأئمة عليهم السلام ومراثيهم وله في ذلك قصائد رنانة ومجموع شعره حتى الآن بعدما ذهب الكثير منه أدراج الرياح ينوف على السبعة آلاف بيت وعلى الجملة فإنه أدام الله له التوفيق مجموعة فضل وجامعة كمال .

وهو حرسه الله بهجة أيامه في جميع ما مضى له من العمر الذي به تقدّم وعلم وتعلّم على نزارته وقلة عدد أيامه وضعف عدّته ما خرج من خطة العراق ولا تخرّج على غيرها من الآفاق ، بل وما انفك عاكفاً على أعتاب باب مدينة العلم والإستمداد من روحانيته وروحانية أبنائه الطاهرين الأئمة المعصومين أهل بيت الرحمة ومنابع العلم والحكمة صلوات الله عليهم أجمعين . ونحن نرجو له مزيد التوفيق ونسأله تعالى بكرامتهم أن يجعله فيما لا يزال من حماة الدين ونصراء الإسلام الذابيين عنه بالألسنة والأقلام إنه ولي الإجابة وبها جدير وبالحرى أن نحمد الله على الكرامة بمثله في هذه العصور فالحمد لله وله المنّة والشكر وهو ربّ العالمين ؛ .

أيها العلامة الجليل والمتضلع الأديب وقد استجاب الله تعالى دعاءك وجعله من أكابر حماة الدين وذادته ونصراء الإسلام وقادته وصيّره من أعظم الفائدين الذابيين عن الدين تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين ونصر الإسلام بقلمه ولسانه وأقواله وأفعاله ورحلاته وأسفاره (إن تنصروا الله

ينصركم) وصار من أشهر علماء الإسلام وعظمائه في الشرق والغرب . فهو منذ نعومة أظفاره إلى آخر نفس لفظه خدام الدين ونصر الإسلام ولم يأخذه في سبيل الذب عن الدين والدفاع عنه لومة لائم وصوله أي متغلب وظالم وتقول أي جامد وجاحد وقد كنا في حضوره في النجف الأشرف حينما أراد السفر إلى باكستان وسأله عن الأسباب والدواعي لسفره فأجاب بما نصه :

إنه قد وردتنا عدة كتب مطبوعة عدة مرات في أزمنة مختلفة تتضمن تلك الكتب دعوة إخواننا الباكستانيين من أعلام المسلمين وعلمائهم في عاصمتها يدعوننا للحضور إلى مؤتمر إسلامي اعتزموا عقده باجتماع رجال الإسلام للمداولة في شؤون المسلمين والنظر فيما أحاق بهم من البلاء والإستعداد لدفع عواصف تلك الأعاصير السياسية السوداء عنهم وعن الإسلام ومن المعلوم أن السياسة العالمية اليوم تنذر بخطر هائل على البشرية عموماً وعلى العرب والإسلام خصوصاً والأمل بالنجاة ضعيف والعمل منا معاشر المسلمين أضعف ولكن حيث أن اليأس موت عاجل والحركة حياة وإن كانت ضعيفة وحديث : (من لم يهتم بأمور المسلمين فليس من الإسلام في شيء) مع عزة من به الكفاية وندرة من توجد به المؤهلات الكافية للقيام بهذا العبء وأداء ذلك الغرض لذلك لم أجد بداً من المجازفة بحياتي في سبيل الله ونصرة الإسلام وإجابة دعوة إخواني المسلمين في أقصى الأرض على كبر سني وضعف بدني وتراكم العلل والأسقام وتزاحم الأشغال والأعمال لمهمات المسلمين ولكنني ابتذلت هذا الرمق الباقي من الحياة التي هي على شفا ولم يبق منها إلا صبابة .

على أنني وله الحمد ما عودت نفسي مدة عمري أن أخلد إلى الراحلة أو أتطلب السكون والدعة وأسأله تعالى أن يقرن مساعينا بالنجاح ويجعلها خالصة لوجهه الكريم والرجاء من إخواننا المؤمنين أن يسعفونا بالدعاء سائلين منه تعالى أن يسعفنا بالنتائج المثمرة للإسلام وحسن الأوبة إلى المقام بسلام وما ذلك على الله بعزيز . وقد خرجت من النجف الأشرف في هذا السبيل ولأجل تلك الغاية صباح يوم السبت ١٢ جمادي الأولى (١٣٧١) هـ متوكلاً على الله

ومفوضاً أمري إليه ومن يتوكل على الله فهو حسبه محتسباً صابراً (وما انقادت
الأمال إلا لصابر) وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب .

وقد طبع ونشر هذا البيان في العراق في التاريخ المذكور والغرض أنه
رحمه الله تحمل أعباء الخدمات الدينيّة منذ ترعرعه وشبابه إلى آخر عمره
وخاتمة أوانه .

مشايخه وأساتذته

بعد ما أتم الشيخ الإمام المترجم له دروسه في الآداب والعلوم العربية
وبرع فيها وفاق على أقرانه وأخذ بدراسة سطوح الفقه وأصوله وأتمّها وهو بعد
شاب فأخذ بالحضور عند الأساتذة الكبار في حلقات العلم وحضر دروس
الطبقات العليا كالمحقق الأصولي المولى محمّد كاظم الهروي الخراساني (ره)
فقد حضر بحثه في عدّة دورات في أصول الفقه وحضر عند الفقيه الأكبر السيد محمد
كاظم الطبطبائي اليزدي (ره) من سنة (١٣١٢) هـ إلى وفاة السيد (ره) في سنة
(١٣٣٧) هـ واختصّ به مع أخيه الفقيه المتبحر الشيخ أحمد كاشف الغطاء
(ره) وكان السيّد يعوّل عليه وعلى أخيه في أكثر مهماته ويثق بهما ويرجع
إليهما مرافعاته ، وكان هو مع أخيه الفقيه الأوحد في فتنه المشروطة معيناً على
السيد (ره) وحرصاً القاطنين من أهل النجف الأشرف على حفاظة السيّد
(ره) وحرصته من شرّ أعداء الدين ولولاهم لكان السيّد مقتولاً وقد حفظه الله
تعالى بأيدي الأحرار الشجعان أيدهم الله تعالى وسددهم ولا حول ولا قوة إلا
بالله^(١) .

وحضر الشيخ الإمام أيضاً عند الفقيه الحاج آقا رضا الهمداني صاحب

(١) كان الباعث في إيران على المشروطة والراغب فيها هو الإنكليز وكان المخالف لها والمانع
عنها هو الـ (روس) وكانت الأمة الإيرانية واقعة بين السباستين بل كالميت بين يدي غسالين
ونحن وإن لم ندرك تلك الفتنة الخبيثة والواقعة الفجيعة ولكن الآن نرى أن نتائج المشروطة
بأي معنى أرادوها صارت على نقيص من دين الإسلام المقدس .

مصباح الفقيه عشر سنوات عند المحقق الأصولي السيد محمد تقي الأصفهاني ثلاث سنوات ، وعند الفقيه الورع التقي ميرزا محمد الشيرازي سنتين . وحضر في الحكمة والكلام عند العلامة الحكيم الشيخ محمد باقر الأصبهاني (ره) الفائز لدرجة الشهادة حينما وقع هدفاً للرصاص في حسينية (قوام) بشيراز سنة (١٣٢٦) هـ على العلامة الأصولي الحكيم الشيخ أحمد الشيرازي (ره) والعلامة الشيخ علي محمد النجف آبادي (ره) وكان هؤلاء من فحول الحكماء والرياضيين ومن أبطال الحكمة والكلام ، وحضر في الحديث والرجال عند العلامة المحدث النوري صاحب المستدرک ويروي عنه وعن الفقيه الحاج ميرزا حسين الطهراني (ره) عن الشيخ الجليل الشيخ علي الخاقاني (ره) وغيرهم (١) .

فقاوته وتبحره في العلوم

إعلم أيها القارئ الكريم أنني مع هذا البيان الضئيل لا أستطيع أن أصف شيخنا الإمام المترجم له من هذه الناحية فإنه أنى لي ووصف مقامه الشامخ العلمي وهو ذلك الشخص العالمي في علمه وفقاوته واجتهاده وجامعيته وتضلعه في الفقه وأصوله وتبحره في الحكمة والفلسفة العالية والمعارف الإلهية والمطالب العرفانية وهو النابغة في العلوم نبوغاً باهراً المتقدم في الفنون تقدماً ملموساً وأربى عمله وفضله على سنه .

وألّف في حياة أستاذه شرحاً على (العروة الوثقى) ورأيت في مكتبته وهو شرح مزج وشرع بالتدريس فكانت له حوزة تتألف من الفضلاء ورواد العلم الذين ليس لهم نظر إلاّ تحصيل الكمال وكان تدريسه في (مسجد الهندي) تارة والصحن المرتضوي في طرف الطوسي أو مقبرة الإمام الميرزا الشيرازي (ره) أخرى ، وكان يكتب شرح العروة ليلاً ويلقيه على تلامذته نهاراً ، وكان أحد الفقهاء الأكابر في النظر إلى العروة الوثقى والبحث في أطراف

(١) صرح قدس سره بروايته عنهم في إجازته التي كتبها لي بخطه الشريف في سنة : (١٣٧٠) هـ .

المسائل التي كان السيد (ره) يكتبها أولاً ثم يعطيهم للنظر والبحث في مداركها ثانياً في اللجنة المؤلفة من الفقهاء المنعقدة في دار الشيخ الأكبر كاشف الغطاء قدس سره كما شرح ذلك شيخنا المترجم له وكتب تفصيل تاريخ تأليف العروة في آخر حاشيته النفيسة عليها المطبوعة في النجف الأشرف سنة : (١٣٦٧) هـ فراجع .

كان فقيهاً قوياً الحجّة والبرهان مجتهداً في المباني لا مقلداً في المبنى واسع الإطلاع حراً في آرائه ونظرياته كان ينتزع كثيراً من الفروع من ذوق عربي سليم قد ارتكز على فهم نصوص الأخبار والروايات التي يبني عليها المذهب الجعفري ويمتاز بالجرأة في إبداء الرأي انذي يراه قد ارتكز على الحجّة وسانده العقل في حين أن خصومه الذين قد وقفوا له بالمرصاد كانوا لا يستطيعون مقاومته أو رده وقد شاهدت أنه يأتي على جمع من الفقهاء مسألة نادرة فقهية غير معنونة في الكتب الاستدلالية الفقهية فلم يقدم أحد منهم على إبداء الرأي والفتوى وكانوا ينتظرون أن يصدر الفتوى عن الشيخ الإمام المترجم له حتى يلاحظوا أو يتذكروا في حول مداركه ومستنده ، وغير خفي على الفطن أن فقاهاة الرجل ومهارته وتضلّعه يعلم من استنباطاته وفتواه في الفروع النادرة وقد كان سيّدنا الإمام المحقق المجتهد الأكبر أستاذنا الحجّة الكوهكمري كثيراً ما قال : إنا علمنا فقاهاة المحقق القمي (ره) من كتابه (جامع الشتات) لكونه مشتملاً على الفروع الفقهية والمسائل النادرة التي لا عنوان لها في كتب الفقه قبله ولا نعرف فقاهاة من كتابه : (القوانين) في الأصول .

وكتابه تحرير المجلة وهو أهم آثاره دليل قويّ على تضلّعه في الفقه وجلالة مؤلفه وعظمته في مقام الاستنباط وهو من الكتب الممتعة ومن نفائس الآثار المترشحة من قلم شيخنا الإمام وفيه تستبين الموازين العلمية بين فقه المذهب الجعفري وفقه سائر المذاهب الإسلامية وما في فقه الإمامية من غزارة المادّة ، وسعة ينبوع وكثرة الفروع وقوة المدارك وتشعب المسالك ورسانة المباني ، وسمو المعاني . ومطابقة العقل والعرف وغير ذلك من المزايا العالية والخصائص الكامنة فيه .

والحديث عن مقامه الشامخ في العلم والفقاهة لا يحتاج إلى بسط فإن آثاره العلمية التي طبعت والتي لا تزال مخطوطة وهي كثيرة تكشف عن سعة اطلاعه وغزارة علمه المتدفق وكان يجمع إلى علمه قوة البيان واللباقة والجرأة المفترطة مع صوت جهوري ، وكان يسترسل في حديثه كأنه حفظه عن ظهر الغيب أو يكتب فكأنه ينقل شيئاً مسطوراً دون أن يمر عليه أو يقرأه ثانياً ، وكثيراً ما يملي المقالات ذات الشأن أو هي موضع المناقشة والإختلاف دون أن يكون لأحد عليه أي إيراد أو نقد ، وخصومته العلمية عنيفة جداً لم يوجد من استظهر عليه من الفقهاء أو حاول أن يستظهر وقد كان كاملاً في الفقاهة والإستنباط مع العبقرية الفذة لأنه طلب العلم للعلم لا للزعامة .

إستحضاره العلمي وإلقاء محاضرة إرتجالية على البعثة المصرية

فإليك أيها القاريء الكريم نموذجاً من قوة استحضاره العلمي وهي تلك الصورة التي سجلها صديقنا الأستاذ صالح الجعفري آل كاشف الغطاء في المجلد (٢١) ج ٣ ص ٣٠٨ من مجلة (العرفان) الأغر عند مجيء البعثة المصرية المؤلفة من الأستاذ أحمد أمين (يا ليته كان أميناً في النقل) صاحب - فجر الإسلام - وإخوانه إلى النجف الأشرف في ليلة (٢١) شهر رمضان من عام (١٣٤٩) هـ وزيارته للإمام المترجم له في داره ومشاهدة مكتبة الإمام في مدرسته العلمية فكان لملاقاته لهم أثر بالغ في نفوسهم وإليك ما دار بينهم من المناظرات والاسئلة لتقف على المواهب العالية وكيف يخص الله تعالى بعض عباده بها قال سماحته لأحمد أمين :

من العسير أن يلم بأحوال النجف وأوضاعها - وهي تلك المدينة العلمية المهمة - شخص لا يلبث فيها أكثر من سواد ليلة واحدة فأني قد دخلت مصركم قبل عشرين سنة ومكثت فيها مدة ثلاثة أشهر متجولاً في بلدانها باحثاً ومنقياً ؛ ثم فارقتها وأنا لا أعرف من أوضاعها شيئاً اللهم إلا قليل ضمنته أبياتاً أتذكر منها :

تبزغ شمس العلى ولكن من أبقها ذلك البزوغ
ومثلما تنبغ البرايا كذا لبلدانها نبوغ
أكثر شيء يروج فيها اللهو والزهو (النزوغ)

فضحكوا من كلمة (النزوغ) وقال الأستاذ أحمد أمين : مخاطباً الشيخ
قلتم هذا قبل عشرين سنة ؟

نعم : وقبل أن ينبغ (طه حسين) ويزغ (سلامة موسى) ويزغ (فجر
الإسلام) وقد ضمنتها = مخاطباً أحمد أمين = من التلفيقات عن مذهب الشيعة
ما لا يحسن بالباحث المؤرخ اتباعه .

أحمد أمين : ولكن ذنب الشيعة أنفسهم إذا لم يتصدوا إلى نشر حقيقة
مذهبهم في الكتب والصحف ليطلع العالم عليه .

الشيخ : = هذا كسابقه . . . فإن كتب الشيعة مطبوعة ومبدولة أكثر من
كتب أيّ مذهب آخر وبينها ما هو مطبوع في مصر وما هو مطبوع في سوريا
عدا ما هو مطبوع في الهند وفارس والعراق وغيرها هذا فضلاً عما يلزم
للمؤرخ من طلب الأشياء من مصادرها^(١) .

أحمد أمين : = حسناً سنجهد في أن نتدارك ما فات في الجزء الثاني .

أحمد أمين : = هل يسمح لنا العلامة في بيان العلوم التي قرأوها ؟ .

الشيخ : = هي علوم النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والحكمة

(١) أشار الشيخ الإمام المترجم له نفسه إلى هذه المناظرة في أثره الخالد (أصل الشيعة وأصولها)
وقال : ومن غريب الإفتاق أن (أحمد أمين) في العام الماضي (١٣٤٩) هـ بعد انتشار كتابه
ووقوف عدة من علماء النجف عليه - زار (مدينة العلم) وحظي بالتشريف بأعتاب (باب تلك
المدينة) في الوفد المصري المؤلف من زهاء ثلاثين بين مدرس وتلميذ وزارنا بجماعته ومكثوا
هزيعاً في ليلة من ليالي شهر رمضان في نادينا في محفل حاشد فعاتبناه على تلك الهفوات عتاباً
خفيفاً وصفحنا عنه صفحاً جميلاً وأردنا أن نمر عليه كراماً ونقول له سلاماً وكان أقصى ما عنده
من الإعتذار عدم الإطلاع وقلة المصادر فقلنا : وهذا أيضاً غير سديد ألخ . أنظر أصل الشيعة
ص ٦٥ ط بيروت .

والكلام وأصول الفقه وغيرها .

أحمد أمين : = ما هي كيفة التدريس عندكم ؟ .

الشيخ : = التدريس عندنا على قسمين :

١ - سطحي . . . وهو أن يفتح التلميذ كتاباً من كتب العلوم المتقدمة بين يدي أستاذه فيقرأ له هذا عبارة الكتاب ويفهمها التلميذ ، وقد يعلق عليها ويورد ويعترض ويشكل ويحل وغير ذلك مما يتعلق بها .

٢ - خارج : وذلك أن يحضر عدة تلاميذ بين يدي الأستاذ فيلقي عليهم الأستاذ محاضرة تخصص العلم الذي اجتمعوا ليدرسوه ويكون هذا غالباً في علوم الفقه والأصول والحكمة والكلام ، مع ملاحظة أن التلميذ بكلا القسمين يكون ذا حرية في إبداء آرائه واعتراضاته وغيرها .

أحمد أمين : = إن البعثة تودّ أن تسمع لبحثكم فهل أنتم فاعلون ؟ .

الشيخ يجيب طلب البعثة بالقبول فيرقى المنبر ويجتمع حوله من حضر الجلسة من تلاميذه ونظراً إلى أن الشيخ على غير سابقة عهد وعلى غير تهئية وتمهيد لنوع العلم الذي سيبعث فيه ، لهذا تركوا له الحرية في اختيار العلم ومن أجل هذا يرى القارئ البحث الآتي ذا فصلين . فقه وأصول ، وعقائد . كما كانت أيضاً رغبتهم . وهنا ابتدأ سماحته مرتجلاً فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتي هي أحسن ﴾^(١) . تشتمل هذه الآية على عقدين : عقد سلب ، وعقد إيجاب ، أمّا عقد السلب ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم ﴾ فهو من الأساليب القرآنية التي اخترعها وارتجلها في الإستعمالات العربية ولم تكن معروفة من ذي قبل ، وقد تكررت هذه الجملة في الكتاب الكريم . وهي تارة تتعلق بالأفعال مثل قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا

(١) سورة ٦ آية ١٥٤ .

الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴿^(١)﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾^(٢) وقوله تعالى : ﴿ لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾^(٣) ويكون المراد منها حينئذٍ على سبيل إستعارة بالكناية المبالغة في التحذير عن ارتكاب ذلك الفعل . الزنا والصلاة مع السكر أو غير ذلك . . . وشبه إسم المعنى بإسم العين فحذر من قربه فكيف بملاصقته أو الدخول فيه . . . وأخرى تتعلق بالأعيان مثل قوله تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾^(٤) وقوله تعالى ﴿ إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ﴾^(٥) . ومن هذا القبيل آية العنوان التي هي من براءة الصنعة وإبداع البيان بمكان ، وحيث إن النهي لا يتعلق بالأعيان رأساً بل لا بدّ من توسط فعل مقدر من البين يناسب تلك العين ، فإذا قيل : حرمت أمهاتكم عليكم - يعني العقد عليهن ؛ وإذا قيل : حرمت الخمر - يعني شربها ، وإذا قيل : حرم الميسر والقمار - يعني اللعب بهما ، وهكذا يقدر في كل مكان ما يناسبه بل أظهر ما يتعلق به من الأفعال التي تطلب من تلك العين ومما هي معدة له فلا يراد من قول : حرمت الخمر حرمة كل الأفعال التي يمكن أن يتعلق بها فيحرم لمسها أو النظر إليها أو التداوي بها وهكذا . . . كلاً : بل ليس المراد إلاّ حرمة شربها ؛ وعليه فيكون المراد والمعنى بالآية التي في العنوان : لا تتصرفوا في مال اليتيم التصرفات المطلوبة عند العقلاء من المال ، التجارة في بيع أو شراء أو صلح أو رهن أو إيدانة أو غير ذلك .

والغرض أيضاً بهذا النحو من البيان شدة التحذير والنهي عن التصرف في مال اليتيم بحيث يكون المعنى والمقصود النهي عن المعاملة بمال اليتيم بوجه مطلق من رفع أو وضع أو فعل أو ترك إلاّ بالتي هي أحسن أما حيث لا تريدون التصرف فلا شيء عليكم وإن كان التصرف أحسن بخلافه على الوجه

(١) سورة ٦ آية ١٥٣ .

(٢) سورة ١٧ آية ٣٥ .

(٣) سورة ٤ آية ٤٧ .

(٤) سورة ٢ آية ٣٤ .

(٥) سورة ٩ آية ٢٩ .

الثاني فإن مفاده لزوم التصرف بالأحسن يؤيد الحكم الضروري من حرمة التصرف بمال الغير مطلقاً صغيراً أو كبيراً بغير إذنه ، وليس هو المقصود أصالة بالبيان بالضرورة وإنما المقصود عقد الإيجاب وهو إعطاء الرخصة بالتصرف في مال اليتيم إذا كان في التصرف مصلحة فيكون مخصصاً لما دل على عموم حرمة التصرف في مال الغير ، إنما الكلام في مقدار تلك الرخصة وحدودها حسبما يستفاد من الآية ، فإن محور البحث والنظر يدور من هذه الجهة على تشخيص المراد من لفظ : (الأحسن) وهل هو من أفعال التفضيل ؟ نظير : الصلاة خير من النوم ، أو صفة مشبهة نظير : النوم خير من الله ، وعلى الأول فهل المراد الأحسن بقول مطلق أي ما لا احسن منه ، أو الاحسن نسبياً أي الاحسن من تركه وإن كان غيره أحسن منه ؟ وعلى الثاني فهل المراد منه ما اشتمل على مصلحة ؟ أو يكفي خلوه عن المفسدة ؟ بناءً على أن كل ما ليس بحرام فهو حسن .

ثم لما انتهى الكلام إلى هذا المقام طلب بعض الحضور تغيير الموضوع ونقل البحث إلى مسألة من المسائل الإعتقادية وأساسيات أصول الدين ، فأوصل سماحته الكلام اقتضاباً من غير رويّة ولا تمهل ، ونقل البحث إلى مسألة الحاجة إلى الأنبياء وضرورة البعثة فقال :

إن النظر في عامة أحوال البشر يعطي أن أعرف صفاته وألصقها فيه وأقدمها عهداً به هي خلال الثلاث التي لا يجد عنه محيصاً ولا منها مناصاً مهما كان ، ألا وهي الجهل ، والعجز ، والحاجة ، وهذه الصفات هي منبع شقائه وأصل بلائه وكلما توغل الإنسان في العلم والمعرفة تطامن للإعتراف بما توصل إليه من العلم بعظيم جهله ، وإن نسبة معلوماته إلى مجهولاته نسبة الفطرة إلى المحيط وكان أكبر علمه جهله البسيط ، وقد سأل أفلاطون حين أشرف على الرحلة الأبدية عن الدنيا فقال : (ما أقول في دار جئتها مضطراً ، وها أنا أخرج منها مكرهاً ، وقد عشت فيها متحيراً ، ولم أستفد فيها من علمي سوى أنني لا أعلم) وقال : (سولون الحكيم) : ليس من فضيلة العلم سوى علمي بأنني لا أعلم . ومن استقصى كلمات حكماء اليونان وغيرهم وجد لكل واحد منهم مثل هذه الكلمات ، والتشبع بهذه الروح السارية إلى متضلع في

الفضيلة متشبع بروح الفضيلة من علماء الإسلام وحكمائهم ، حتى قال الشافعي (رض) :

وإذا ما ازددت علماً زادني علماً بجهلي

والرازي يقول :

نهاية إدراك العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقال

حين أن علماء الغرب وكبار المخترعين الذين حوروا الدنيا إلى هذا الشكل العجيب يعترفون بعدم وصولهم إلى حقائق الأشياء ، فهم وإن اخترعوا الكهرباء ولا يعرفون حقيقتها ، هذا فضلاً عن الروح والنفس والحياة وهذا مجال لا يأتي عليه الحصر ، فالإنسان عريق بالجهل لصيق بالعجز والحاجة ، ولا شقاء ولا بليّة إلاّ وهي منبعثة إليه من ذلك ، وعقول البشر بالضرورة غير كافية لرأب هذا الصدع ، ونأى هذا الثلم ، وسدّ هذا العوز ، فالعناية الأزلية التي أوجدت هذه الخليقة لو تركتها على هذه الصفة تكون قد أساءت إليها بإيجادها وما أحسنت الصنيع بنعمة الوجود عليها ، ولكان الأحرى لو تركتها في طوامر العدم ؛ وأطمار الفناء ، ويكون ذلك نقضاً للحكمة وإفساداً للنعمة .

إذاً فلا بد من إيجاد رجال كاملين في أنفسهم مكملين لغيرهم يكونون كحلقة الإتصال بين الخالق والمخلوق ، وهمزة الوصل بين العبد والرب ، فإن السعادة منه وإليه ، وأولئك هم السفراء والأنبياء الذين بهم تتم الحجة وتستبين المحجّة ، وحينئذٍ تكون سعادة كل إنسان وشقاؤه باختياره قال تعالى : ﴿ وهديناه النجدين ﴾^(١) وقال : ﴿ أنا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً ﴾^(٢) وتكون حينئذٍ لله على الناس الحجة البالغة ؛ نعم وكل هذا موقوف

(١) سورة ٩٠ آية ١١ .

(٢) سورة ٧٦ آية ٤ .

على إثبات الصانع الحكيم المنزه عن البعث والظلم فضلاً عن الجهل والعجز . وهناك أدلى الشيخ بالحجة وأملى أصول البرهنة على وجود الإله تعالى الحق بعدة قواعد لا يساعدنا ضيق المجال لسردها وعدّها تفصيلاً ، ولكن نكتفي بالإشارة إليها على وجه الإجمال :

- ١ - قاعدة : (إن ما بالعرض لا بد وأن ينتهي إلى ما بالذات) .
- ٢ - إن معطي الشيء لا يكون فاقده .
- ٣ - إن الصدفة في النواميس الدائمة الكليّة والأشياء المتكررة مستحيلة .
- ٤ - إمكان الأشرف .
- ٥ - قاعدة اللطف^(١) .

وأمثال ذلك من أمّهات قواعد الحكمة وأصول الفلسفة الحقّة ، ثم ارتأى في هذا المقام أن يختم البحث لضيق الوقت وهكذا كان وعندما نزل الشيخ من المنبر دارت بينه وبين أحمد أمين الأحاديث الآتية :

أحمد أمين : هل الإجتهد عند الشيعة مطلق أو مقيد ، يريد بذلك هل هو اجتهد (في الكتاب والسنة والإجماع والعقل) ومنه القياس عندهم ، أو هو اجتهد في فتاوى الأئمة المعروفين كاجتهد العلماء الذين بعدهم في كلماتهم وعلى الأصول المقررة عندهم فيكون المجتهد مقيداً بطريقة ذلك الإمام من حنفي أو شافعي أو غيرهما^(٢) .

وهذا جواب الشيخ :

(١) وقد شرحنا هذه القاعدة في مقال ضاف نشره الشيخ عارف الزين في مجلة : (العرفان) أنظر المجلد ٤٢ ج ٣ ص ٣٢٠ .

(٢) كتبنا مقالاً ضافياً مفصلاً حول الإجتهد في الشريعة وتاريخ حصر الإجتهد عند أهل السنة في المذاهب الأربعة وسد باب الإجتهد عندهم نشره عارف الزين في مجلة : (العرفان) أنظر المجلد ٣٧ ج ١٠ ص ١١٤٦ وذلك المقال رسالة وجيزة في هذا الموضوع ولنا أيضاً مقال حول الإجتهد نشرته رسالة الإسلام الصادرة من دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة عدد - ٤ ص ٤٢٨ من سنتها الثانية سنة (١٣٦٩) هـ .

الإجتهدا عندنا مطلق يستنبط كل مجتهد الأحكام الشرعية من نفس الكتاب والسنة غير مقيد بكلام مجتهد آخر مهما كان ؛ ولكن على أصول وقواعد مقررة عند الجميع ؛ وهي القواعد التي يتكفل بها علم أصول الفقه وهذه القواعد بعضها متفق عليه عند الجميع وبعضها أيضاً موضع نظر واختلاف فتكون اجتهادية أيضاً ، ولكل مجتهد فيها رأيه الخاص الذي يبرهن ويبني عليه طريقة الإستنباط .

أحمد أمين : = ما هي الأدلة التي يبتني عليها الإجتهدا عندكم .

الشيخ : = هي الكتاب ، والسنة ونعني بها الأخبار الواردة عن المعصومين .

أحمد أمين : = هل هناك شيء يعارضها ويتقدم عليها ؟

الشيخ : = كلاً لا يعارضها شيء ، ولا نرفع اليد عن الخبر الصحيح المعتبر إلا إذا كان مصادماً لضرورة العقل الفطري كما لو ورد خبر بجواز شهادة مؤمن لأخيه المؤمن في دعوى يدعيها على الغير مع عدم علم الشاهد بتلك الدعوى وإن كان عالماً بأن ذلك المدعي لا يدعي باطلاً ؛ فإن مثل ذلك الخبر لا نعمل به مهما كان .

أحمد أمين : = هل يوجد تعارض في أخبار الأئمة ؟

الشيخ : = نعم .

أحمد أمين : = كيف يتناقض كلامهم مع أنكم تشترطون فيهم العصمة ؟

الشيخ : = لا تناقض في الجوهر وإنما التناقض في الأخبار الواردة عنهم أو في ظواهر كلماتهم ، أما في الحقيقة لا تعارض ولا تناقض ، وإنما هو اختلاف في ظاهر الكلام كالإختلاف الذي يوجد في ظاهر الكتاب الشريف وهو القرآن العزيز قال تعالى : ﴿ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جان ﴾ (١)

(١) سورة ٥٥ آية ٤٠ .

وقال عزّ شأنه : ﴿ وقفوهم أنهم مسؤولون ﴾ (١) ولكل وجهة وخاصة ، وعلى الجملة . فحال السنّة والأخبار كحال الكتاب الكريم .

فيه النص والظاهر ، والمجمل والمبيّن ، والمطلق والمقيد ، والعام والخاص ، والحكم الواقعي ، والحكم الظاهري ، والأحكام المؤقتة التي تقضيها الأوقات والظروف والأحوال والحوادث الزمنية ويقابلها الأحكام المؤبدة التي لا تتغير بتغيير الأحوال وتبدل الزمان . ووظيفة المجتهد الفقيه البالغ تلك المرتبة السامية والملكة الراسخة هي تمييز بعضها عن بعض ؛ والجمع بين متعارضاتها ورد بعضها إلى بعض واستخراج العلل والأسباب التي أوجبت ذلك التعارض والتناقض الواقعي حسب الحقيقة والجوهر فهو مستحيل عندنا بعد البناء على عصمة الأئمة .

أحمد أمين : = ما الدليل على عصمة الأئمة ؟

الشيخ : = حكم العقل الضروري .

فهشّ واستبشر وكان طلب من الشيخ البيان والإيضاح فقال : أنه بسيط جداً وأنا سائلك (ما الحكمة والغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب) ؟ .

أحمد أمين : = الهداية والإرشاد والتهديب .

الشيخ : = إذن فهل يحصل الإرشاد من شخص يقول : لا تكذب وهو يكذب ، ولا تشرب الخمر وهو يشرب الخمر ، ولا تزن وهو يرتكب الزنا وهل يحصل الغرض وتم الفائدة من الهداية من شخص يجوز عليه الغلط والغفلة والنسيان والإشتباه ، ولا شك في أن الجواب بالسلب ، وإذا كان إرسال الرسل وبعث الأنبياء واجباً بالحكمة حسب العناية الأزلية ، فالعصمة أشد لزوماً وأقوى وجوباً ، وإلا بطل الغرض وماتت الفائدة وانتقضت الحكمة .

أحمد أمين : = ما الدليل على انفتاح باب الاجتهاد عندكم ؟ .

(١) سورة ٣٧ آية ٢٥ .

الشيخ : = وما الدليل على انسداده ، وأية آية أو خبر تدل على الحجر على العقول والضغط على الأفكار وسلب هذه الحرية الفكرية التي منحها الله تعالى لعباده ؛ وكانت من أفضل نعمه على خلقه ، غاية ما هناك أن الله سبحانه وتعالى رافة بالعباد ورفعاً لمشقة الإجهاد ؛ ورعاية لحفظ نظام الهيئة الاجتماعية ووجوب قيام كل طائفة لشأن من الشؤون الضرورية . فتتوزع الاعمال وتتبادل المنافع لذلك كله رفع وجوب الإجهاد عن كل فرد من المكلفين وأطلق لهم السراح في ذلك فجعل وجوبه كفاثياً وأجاز رجوع العامة إلى المجتهدين وتقليدهم في أمور الدين : أما من أنفت نفسه وسمت همتها عن خطة التقليد وخطة الإتياع ، وأراد أن يأخذ الحكم من دليله على قواعد الفن والصناعة فأبي دليل على منعه وحجر ذلك عليه ؟ وهل نجد عاقلاً في الدنيا يمنع عن العلم ويأمر بالجهل ؟ وإن مذهباً يكون هذا الحكم من دعائمه وقواعده أخرى بأن يسمى مذهب الجهالة والتضليل ، ومن آراء العصور المظلمة وبقايا أديان الجاهلية والإستبداد هذا ؛ أما دين الإسلام فهو أرفع وأنصح من ذلك ، ولو لم يكن دليل على شرف مذهب الشيعة وصحة قواعده وأصوله إلا هذا لكفى .

إنتهى كلام الشيخ مع أحمد أمين . وكم له من أمثال هذا المناظرات والمحاورات المذهبية والاجتماعية والعلمية والأدبية لو أردنا جمعها وتأليفها لاحتجنا إلى مجلدات ضخمة فإنه كان رحمه الله تعالى مدرسة ممتدة الجوانب مستطيلة الأركان راسخة القواعد قد ضم بين صدره مجموعة من العلوم فأفرغها بقوالب تخلب السمع وتستولي على الأفتدة .

وليعلم القارئ الكريم أنه كما كان للشيخ الإمام قوة الإستحضار العلمي كما عرفت نموذجاً منه كان رحمه الله أجراً الفقهاء في الفتوى الفقهي بحسب ما يؤدي إليه اجتهاده وقوة استنباطه وكان قليل الإحتياط في المسائل أعني الإحتياط الذي يوجب الضيق على العوام بل كان له في المسائل الفرعية فتوى ورأي فيفتى ويحكم دون أن يتشبت بالإحتياط .

وقد أفتى : إن (كل مسلم يموت فله من ماله الثلث أوصى أولم

يوصي لإطلاق بعض الأخبار وشهادة الإعتبار^(١) وقد أشكل بعض الأعلام على الشيخ بهذه المسألة وبلغ ذلك الشيخ فقال قدس سره يجب عليه أن يتفضل إلى مجلسنا فيشكل علينا أماننا وأن لا يجلس في داره ويشكل وإما أن يسمح لنا أن نذهب إلى داره ونعرض المسألة أمام البحث أما أن يثبت أو أثبت وبلغ كلامه إلى بعض الأعلام فقال أن الإمام حجّة فيما يفتى به .

أخلاقه وغيرته على الإسلام والمسلمين

لقد كانت أخلاق الشيخ الإمام (ر ه) وعاداته وسلوكه تنطبق على أخلاق العباقرة والعظماء والنوابغ من الناس شديد التمسك بالأداب الإسلاميّة والتعاليم الدينيّة خصوصاً أدب أئمة أهل البيت عليهم السلام وتعاليمهم العالية فقد امتاز بحافظته القويّة ، وحضور البديهة ؛ وحدة ذهنه وتوقده ، وصفاء نفسه فلم يكن يحمل حقداً وضعينة على أحد ، ويعفو عمّن أساء إليه ، ويقابل الجاهلين والمخطئين بالحلم ورحابة الصدر . ولم يكن عنوداً متصلباً في رأيه بل سرعان ما يقتنع ويتراجع عندما يرى وجه الصواب ، ويمضي في خطته وعلمه غير هيب ، عندما يجد نفسه على حق وصواب . ولقد شاهدت من تراجع عندما رأى وجه الصواب في مطلب عندما عرضت الواقع عليه ما يوجب الحيرة والعجب وهكذا يكون العالم الديني والقائد المذهبي ومن لم يكن غرضه إلاّ اتباع الحقّ والتجنّب عن الهوى .

وكانت له الثقة التامة بنفسه لدرجة الإعتداد مع الإبتعاد عن العجب والغرور ، وكان يرى أنّ الكثير من الناس لا يفهمونه ولا يقدرونه القدر اللائق به .

وكان مترسلاً في أعماله ، مجرداً من العقد النفسيّة والنزعات المكبوتة وكان يرى رأي كثير من العباقرة أن النجاح والتفوق في الحياة ليس بالتفكير والتدبير والحيل والمؤامرات واللدسائس والخداع بل بالإتقان في العمل

(١) أنظر إلى كتابه (سؤال وجواب) العربي ص ٣٤٦ ج ١ الطبعة الثالثة سنة (١٣٧٠) هـ .

والإنغمار فيه ؛ ويكون القصد من العمل خدمة المجتمع ونكران الذات واعتقد أن أكبر معرقل للفرد عن النجاح والسعادة كثرة تفكيره واهتمامه بذاته .

لقد كرّس الفقيه حياته منذ شبابه بنشاط وانشراح وانبساط لانتهاال علوم الأدب العربي . والعلوم الإسلامية فاستوعبها جميعاً وتعمق فيها ، وكتب وألّف ، وأبدع وأجاد فيما كتب وأنشأ ، ولم يكتثر بجمع الأتباع ، فمن أتاه رجب به بل وحيّاه ، ومن انصرف عنه لم يحفل به ، فرأى أن الإستعاضة عن الدعاة ، بمؤلفاته وأعماله ، أفضل وأنفع ومع ذلك كان شيخ الإسلام بحق فقد بلغ في أنواع العلوم الإسلامية إلى الدرجة القصوى والقمة العليا ولا سيّما بلغ في الفقه درجة عالية وأصبح مرجعاً في التقليد من أكبر مراجع الشيعة في الأقطار الإسلامية وملجأ في الإفتاء والأحكام مع أنّ الدعايات الكاذبة على ضده في البلاد والأمصار ولا سيّما في إيران كانت شديدة خصوصاً من بعض أهل الجمود وأذئاب المستعمرين وقد كنت قبل المهاجرة إلى العراق في إيران أسمع من أفواه جمع من السفلة ومن أدخل نفسه في زمرة أهل العلم كذباً وزوراً بعض الكلمات والطعون في حقه وكنت في الحيرة والتعجب والدهشة من ذلك هل لها حقيقة وواقع ؟ أم أنها من الدعايات الكاذبة ؟ وكنت أتفكر في سبب هذه الدعايات وكان من آمالي أدرك حضوره ومشاهدته والتكلم معه مشافهة حتى وفقني الله تعالى لهذه السعادة وتشرفت بلقائه في بعض أسفاره إلى إيران في (شميران) طهران وكان ذلك أول لقائي له فرأيت أن عيانه أعظم من سماعه⁽¹⁾ ثم بعد هذا أمعنت النظر والتحقيق حول تلك الدعايات فعلمت أنها من الدعايات الكاذبة وكلها من حيل أعداء الدين ومن جبايات المستعمرين وإنّما اتّهموه عند الجهّال والعوام لثلا يكون إقبال الناس إليه ولثلا تتوجه الزعامة الدينيّة والرئاسة المطلقة نحوه فإنّه إن

(1) قال بعض الأعلام أنه ذكر هذا المقال الشيخ الفقيه الكبير الشيخ علي نجل الشيخ الأكبر كاشف الغطاء (ره) في حق الشيخ الأعظم الأنصاري (ره) وورد في الحديث : أن كل شيء من أشياء الدنيا سماعه أعظم من عيانه وكل شيء من أشياء الآخرة عيانه أعظم من سماعه .

أقبلت الزعامة إليه ، وانحصرت فيه تفشل بسبب ذلك نياتهم ومقاصدهم الممقوتة .

أضف إلى ذلك أنه نبغ في العلوم العقلية والنقلية وهو شاب أضيف إسمه إلى قائمة رجال الدين في حياة أساتذته مضافاً إلى قلمه السيال والإملاء الخاص الذي لم يكن نظيره في واحد ممّن عاصره، وأمّا في الخطابة والوعظ وطلاقة اللسان فهو أوّل خطيب بين علماء عصره مع أدبه الرفيع وأسلوبه الحكيم وبيانه الأخاذ يلقي الخطب إرتجالاً ولم يكن أحد منهم من فرسان هذا المجال وكان له استعداد فريد للتكلم في المجالس المهمة ومحتشد الناس في المؤتمرات والمنتديات ولم يكن هذا المعنى في واحد ممّن عاصره فحسد على ذلك كله وبدأت الدعايات المغرضة ضده منذ شبابه .

والمطالع لمصنّفاته وكتاباتهِ والسامع لحديثه وخطبه يعرف غيرته الشديدة على الشرف والمسلمين وتألّمه لتأخرهم وجمودهم . ويجيد منه لوعة وحرقة لحالهم قلّ نظيرها أو انعدم فكان يتلهف لتقدم الشرق والمسلمين وخلاصهم من الإستعمار ويتلهب غيرة وحماساً ونشاطاً في الأعمال النافعة لهم وله أشعار وقصائد في الحثّ على الخلاص من ذلّ الإستعمار وحض الأمة على إيادة كبرياء الظالمين ونسف الخائنين .

رأيت مجموعة مشتملة على الأشعار والفوائد العلميّة والأدبيّة وهي حقيبة كلها فوائد وعوائد وأكثرها بل كلها بخطه وممّا رأيت واستنسخت من خطه هذه الأبيات :

ولي كل يوم موقف ومقالة	أنادي ليوث العرب ويحكم هبوا
فأمّا حياة تبعث الشرق ناهضاً	وأما ممات وهو ما يرقب الغرب
وقفت على أحياء قومي براعتي	وقلبي وهل إلاّ البراعة والقلب

وله :

قضيت شببتي وبذلت جهدي	فلم تكن الحياة كما أريد
إلى كم استحثّ النفس عزمأ	وكم أسعى وغيري يستفيد

نهضت فقيلاً أي فتى فلماً
 وإنني بعد مجهدة وقومي
 وحيد بينهم ولعل يوماً
 لنا في الشرق أوطان ولكن
 نقيم بها على ذل وفقر
 أكاذيب السياسة بينات
 وعود كلها كذب وزور
 إذا ما الملك شيد على خداع
 ومن لم يتخذ ملكاً صحيحاً
 خبرت القوم أعجبي القعود
 كضاربة وقد برد الحديد
 عصياً فيه يفتقد الوحيد
 تضيق بنا كما ضاقت لحدود
 ونظماً لا يسوغ لنا الورود
 تكيد بها الحكومة ما تكيد
 فكم والى م تخدعنا الوعود
 فلا يبقى الخداع ولا المشيد
 فلا تغنى الجيوش ولا البنود

ويصح أن يقال : أن هذا من تنبأته .

وفي هذه الأشعار يصرح على سبب نكبة الإسلام والعرب :

كم نكبة تحطم الإسلام والعرب والإنكليز أصلها فتش تجدهم السبب
 بل كل ما في الأرض من ويلات حرب
 وحرب هم أشعلوا نيرانها وصيروا الناس حطب
 واستخدموا مملوكنا لضربنا ولا عجب

فملكهم بفرضهم كان وإلا لإنقلب
 هم نصبوا عرشاً في كل شعب فانشعب

واسواتاً إن حدث التاريخ عنهم وكتب
 وله في هذا المعنى أشعار كثيرة ذكر بعضاً منها في كتابه : (المثل
 العليا في الإسلام لا في بحمدون) وفي (المحاوراة بين السفيرين) فراجع .
 وله في معنى تلك الأشعار كلمات كثيرة نثراً يتعذر نقلها ويطول الكلام
 بسردها ، خذ أول صفحة من كتابه : (الدين والإسلام) تجده يتلطف لتقدم
 الشرق والإسلام ويتلهب غيرة وحماساً ونشاطاً في الأعمال النافعة للمسلمين
 وتحريضهم على توحيد كلمتهم ونبذ فرقتهم والخلاص من مكائد الإستعمار
 وقد اشتهرت كلمة نيرة من كلماته القصار وهي قوله : (بني الإسلام على
 دعامتين كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة) .

يومياته

كان رجلاً متوقداً نشيطاً في العمل يقضي القسم الأكبر من وقته في العمل . فقد كان يستيقظ عند طلوع الفجر وقت الأذان قبل طلوع الشمس بساعة ونصف فيصلي ويقرأ الأدعية ثم يقرأ ويكتب . حدثني بعض المطلعين على حاله سرّاً يوم كان في إيران في أحد أسفاره إنه كان له في جوف الليل مناجاة وتضرّع وابتهاج إلى الله تعالى بعد صلاة الليل قلماً يتفق نظيرها للعباد والزهاد إلا للمستغرقين في محبة الله وخشيته والخائفين من نعمته والراجين لرحمته .

وعند طلوع الشمس يتناول الفطور وبعده يعود إلى المطالعة والكتابة حتى وقت الضحى وقبل الظهر بثلاث ساعات فيخرج إلى الديوان (مدرسته العلميّة) لمقابلة الناس والوافدين عليه وذوي المصالح لقضاء حوائجهم ويفصل بين المتخاصمين وقرب الظهر يعود إلى البيت ، وعند الظهر يؤدي فريضة الظهر والعصر في الدار او الحرم العلوي الشريف ثم يعود فيتناول طعام الغداء . وقد ينام أقل من ساعة واحدة تقريباً ثم يستيقظ ويعود إلى الكتابة والمطالعة وقراءة الرسائل والمسائل وكتابة الأجوبة ولا سيّما أجوبة المسائل التي ترده من أنحاء العالم ويستمر إلى قبيل الغروب بساعة فيخرج إلى الديوان لمواجهة المراجعين والزائرين حتى وقت الغروب فيخرج إلى الصحن العلوي لأداء الفريضة جماعة وبعد أداء صلاة الجماعة كان يلقي درساً خارجاً في الفقه على تلامذته وهو جالس على المنبر والتلاميذ جالسون على الأرض ويستمر درسه ساعتين وبعد الإنتهاء يعود إلى البيت أو يزور بعض العلماء والوجهاء في النجف أو القادمين من خارج النجف وعندما يعود إلى داره يستريح مع أهله مدة قليلة ثم يتناول العشاء وبعده يعود إلى الكتابة والمطالعة إلى نصف الليل أو قبله بساعة فينام .

وهذه الأعمال لا يستطيع أن يقوم بها جسم الشاب القوي فضلاً عن الشيخ الناهز على السبعين غير أنه يصدق عليه قول القائل :

وإذا حل للهداية قلب نشطت للعبادة الأعضاء

أسفاره ورحلاته

سافر عام ١٢٣٩ هـ - ١٩١١ م من النجف الأشرف إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ومن مكة توجه إلى دمشق ومنها إلى بيروت ومكث في ربوع سورية ومصر ثلاث سنوات وفي سفره للحج كتب رحلته التي أسماها (نهضة السفر ونزهة السمر) وفي مدة توقفه بمصر درس الفقه مرةً وفي الفصاحة والبلاغة أخرى في الجامع الأزهر وكان يهجم على نوادي التبشير التي تنعقد كل ليلة في كنيسة من كنائس الأمر وكان ومدارسهم ورد على الخطيب المبشر وألّف كتاب (التوضيح) وطبع جزؤه الأول في القاهرة والثاني في بغداد أنظر تفصيل هذا الوقائع في كتاب (المحاوراة مع السفيرين) واشترك في الحركة الوطنية مع بعض أحرار سوريا كالشيخ أحمد طيارة ، والشيخ أحمد عارف الزين صاحب مجلة (العرفان) الغراء ؛ وعبد الكريم الخليل ، وعبد الغني العريسي ، وباترو باولي ، وغيرهم .

وطبع في هذه السفارة كتابيه الشهيرين (الدين والاسلام) وأنجز طبعه بجزئيه في صيدا وكتاب (المراجعات الريحانية) وأنجز طبع جزئه الأول في بيروت وجزئه الثاني في صيدا ونشر في امهات صحف سوريا مقالات نفيسة وقصائد بديعة بتوقيع (نجفي) أو (سيار) وفي ١٣٣٢ هـ قبل الحرب العامة الأولى بشهرين تقريباً عاد إلى العراق وفي النجف الأشرف زادت صلته باستاذه السيد الشريف الفقيه الأعظم السيد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي (قدّه) المرجع الأكبر للامامية في الأقطار الاسلامية . وبعد نشوب الحرب العالمية في عام ١٣٣٤ هـ سافر للجهاد مع العلامة السيد محمّد نجل أستاذه اليزدي وجمع من العلماء والمراجع إلى الكوت للجهاد امام قوات الانكليز .

توفي أستاذه الطباطبائي اليزدي (ره) سنة (١٣٣٧) هـ فرجع الناس إلى أخيه الشيخ أحمد بالتقليد وفي سنة (١٣٣٨) هـ رجع إلى الإمام المترجم له في التقليد جماعة فعلق على (التبصرة) وطبعت في هامشها مع تعليقة أستاذه ولم يزل اسمه يشتهر في الأوساط وتتسع دائرة مرجعيته شيئاً فشيئاً حتى اضطره انتشار المقلدين في الأصقاع والبقاع إلى نشر الرسائل العلمية فطبع له نحو

عشر رسائل وتعليقات بالعربية والفارسية وتكرر طبعها كما يأتي تفصيلها في قائمة مصنفاته الممتعة .

وفي عام ١٣٥٠ هـ سافر إلى فلسطين وحضر المؤتمر الإسلامي في القدس الشريف بعد دعوات متكررة من لجنة المؤتمر وأتم به في صلاة جميع أعضاء المؤتمر البالغ عددهم (١٥٠) مائة وخمسين عضواً من أعيان العالم الإسلامي وخلفهم عدد كثير من أهالي فلسطين يناهز عددهم عشرين ألف نسمة وكان ذلك ليلة المعراج ٢٧ رجب في المسجد الأقصى وخطب خطبة تاريخية إرتجالية طويلة طبعت مستقلة وكانت لتلك الإمامة دوي في الشرق فقد اعتبرت بذرة للتقارب والإلفة وعلقت عليها الآمال غير أن المستعمرين وأذئابهم المستأجرين حالوا دون تحقيقها .

وفي عام ١٣٥٢ هـ توجه إلى إيران عن طريق كرمانشاه ورجع من طريق بصرة ومكث نحو ثمانية أشهر متجولاً في المدن داعياً الإيرانيين إلى التمسك بالمبادئ الإسلامية حيث كان اتجاههم يومذاك شديداً نحو التمدن الأوروبي ونصحهم أن لا ينزعوا للخروج من حظيرة المسلمين ونبذ القوانين الإسلامية ورائهم ظهرياً وكان موضع الحفاوة والتبجيل في كل مدينة يحل بها . وقد خطب باللغة الفارسية في المدن الآتية : كرمانشاه ، وهمدان ، وطهران ، وقم في الصحن الفاطمي بعد أن فوّض إليه الزعيم المرجع الحاج شيخ عبد الكريم اليزدي الحائري (ره) صلاة الجماعة فكان يخطب بعدها . وشاهرود ، والمشهد المقدس ، وأصفهان ، وشيراز ، وأصابته نكبة تردى السيارة في الجبل في طريقه إلى شيراز فبقي فيها للمعالجة أكثر من شهرين وصلى في جامعها الأعظم واقتدى به جميع علمائها وأهاليها ومن حولها من القرى وخطب بالفارسية خطبة طويلة وبعد شفائه رحل إلى كازرون ، وبوشهر ، والمحمرة ، وعبادان ، واجتمع مع شاه إيران (البهلوي) في طهران بعد أن طلب عن الإمام المترجم له ملاقاته اجتمع مرتين متواليتين معه ونصحه وتذاكر معه في شؤون إسلامية وأمور دينية .

وسافر في الصيف عام ١٣٦٦ هـ إلى كرنند - قرية في إيران بين كرمانشاه وخانقين قرب حدود العراق - للإصطيف ولم يتجاوز كرنند في سفرته هذه لأن بعض من له حب الظهور والشهرة قصد الجهة التي توجه إليها الإمام المترجم له ليشاركه في تعظيم الناس له ولذا رجع الشيخ من كرنند إلى النجف الأشرف .

وسافر في صيف عام ١٣٦٧ هـ إلى إيران وتوقف مدة يسيرة في (شميران) ثم توجه إلى خراسان وزار مرقد الإمام الرضا صلوات الله عليه ورجع إلى العراق في آخر الصيف .

وسافر في صيف عام ١٣٦٩ هـ إلى إيران أيضاً وبعث له شاه إيران الحالي رسوياً يرحب به ويدعوه إلى لقائه فكتب له مع الرسول : إذا رأيتم العلماء على أبواب الملوك فقولوا بئس العلماء وبئس الملوك وإذا رأيتم الملوك على أبواب العلماء فقولوا نعم الملوك ونعم العلماء فزاره بنفسه وقدم له هدايا نفيسة فباع الشيخ معظمها وكان من جملتها سيارة قيمة ووزع أثمانها على الفقراء وعلى طلاب بعض المدارس الدينية بطهران ومع ذلك كان من تواضعه للعلم واحترامه لعلماء الدين ما لا يوصف وكفأك في ذلك أن أستاذنا الإمام بطل العلم والفقاهة المرجع الأعلى للشيعة سيّدنا الحجّة الكوهكمري كان مريضاً في تلك الأيام وجاء من قم إلى الـ (ري) وأقام عند حرم سيّدنا عبد العظيم الحسني (ض) قرب طهران للمعالجة فزار الشيخ الإمام مرقد سيّدنا عبد العظيم (ض) وبعد الفراغ من الزيارة قصد زيارة سيّدنا الأستاذ وعيادته وكان بينهما صداقة ومودة كاملة وكان سيّدنا الأستاذ يقول كراراً أن جلّ اطلاعاتي وتبعاتي في العلوم والأخبار والآثار وغيرها إنما هي من بركات مكتبة الشيخ الإمام^(١) وكان يثني على الشيخ ثناءً بليغاً قلماً يوجد نظيره بين المتعاصرين .

وسافر في صيف عام ١٣٧٠ هـ إلى لبنان للمعالجة وكنت وقتئذٍ في

(١) وقد أثنى على هذه المكتبة المجتهد الأكبر الشيخ العلامة المامقاني (ره) فيما كتبه بخطه الشريف في ظهر كتابه النفيس تنقيح المقال فراجع .

النجف الأشرف وكنا متأسفين على فراقه حتى قفل إلى النجف الأشرف في آخر الصيف .

وسافر يوم ١٢ جمادى الأولى ١٣٧١ هـ من النجف إلى كراتشي للحضور في مؤتمر إسلامي ، سافر من بغداد بالقطار إلى البصرة ، ومنها جواً إلى كراتشي ؛ ورجع جواً إلى البصرة ووصل بغداد بالقطار عصر الأربعاء ٢٢ جمادى الآخرة ؛ ولقى في كراتشي من الأهالي وحكومة الباكستان حفاوة عظيمة وخطب خطبة طويلة أذيعت في أنحاء العالم وأحدثت دويماً من الإستحسان وعندما رجع إلى العراق ونزل البصرة استقبله أهاليها استقبالاً لم يقع له نظير هناك وكذلك عندما ركب السيّارة التي نقلته إلى القطار فقد حملها المشيّمون على أكتافهم إلى القطار وكان يجد في كل بلد يصله استقبالاً رائعاً وعند قدومه إلى النجف الأشرف استقبله أهلها قاطبة من العلماء والوجهاء وعموم الناس وكانت الصحراء بين النجف وكربلاء مشحونة بالسيارات ولو أردنا شرح هذا الإستقبال لطال الكلام وكنت كتبت مكتوباً مفصلاً بالفارسيّة وأرسلته بالبريد إلى كراتشي بعد أن سافر الشيخ الإمام إليها ليصل هناك إليه وذكرت في ذلك الكتاب أسفار جمع من أكابر علماء الإماميّة وخدماتهم الدينيّة بسبب أسفارهم ورحلاتهم ووصل الكتاب إلى الشيخ الإمام في المطار عند رجوعه من كراتشي وحظي عنده بالقبول والإستحسان وأمر بقراءته على المشيّمين لما في الكتاب من ذكرى التاريخ والحث على الخدمات الدينيّة وكان بعد رجوعه إلى النجف الأشرف يثني على صنيعي هذا ثناءً بليغاً وكان هذا من الطافه عليّ جزاه الله عنا خير الجزاء .

وسافر إلى كرنند من بغداد صباح الجمعة ١٥ ذي القعدة ١٣٧٣ هـ بعد أن مكث في بغداد في مستشفى الكرخ شهراً واحداً لمعالجة التهاب غدة البروستات الذي عاد إليه وانتابه قبل سنة ووقعت في كرنند الوقعة العظمى والمصيبة الكبرى التي عمت العالم الإسلامي كما يأتي في تاريخ وفاته رحمه الله .

مواقفه الإصلاحية

١ - إخماد فتنة الحصان عام ١٣٥١ هـ .

عندما أصدر عبد الرزاق الحصان كتابه (العروبة في الميزان) الذي طعن فيه العلويين وشيعتهم ومجدّ الأمويين ودولتهم حدث هياج في بغداد والعتبات المقدسة وبعض مدن العراق وخاصة في النجف الأشرف فخطب الشيخ الإمام في الصحن العلوي ونصح فيها أهالي النجف فانصاع الناس إلى كلامه مباشرة وفتحت أسواق النجف في الحال ونال الجاني عقابه .

٢ - أبطال العادات المؤذية من العراق عام ١٣٥٣ هـ .

في العشرة الأولى من شهر ربيع الأول إعتاد العوام والصبيان في النجف وكثير من مدن العراق الشيعة أن يقوموا في كل سنة بأفطع المنكرات فيرهون الطرقات والمفرقات في الطرق وفي أثر اهتمامه في إبطال هذه المنكرات بطلت تلك العادات من ذلك الحين حتى الوقت الحاضر وأنقذ الناس من شرّ عظيم .

٣ - إخماد ثورة عشائر الفرات عام ١٣٥٣ هـ .

٤ - منع الشغب والمظاهرات التي حدثت في وزارة نور الدين محمود .
أنظر تفصيل هذه الوقائع والسانحات في كتاب (المحاوراة مع السفيرين) وفي المقال الذي كتبه نجله عبد الحلیم آل كاشف الغطاء في ترجمة والده الإمام ونشره في العرفان المجلد ٤٢ ج ٥ ، ٦ العدد الخاص بالعراق .

٥ - موقفه من مؤتمر بحمدون .

في أواخر شهر آذار عام ١٩٥٤ م . ورد إلى الشيخ الإمام المترجم له كتاب من كارلند إيفا نزهوبكنز نائب رئيس جمعية أصدقاء الشرق الأوسط في الولايات المتحدة الأمريكية من نيويورك يدعو إلى حضور مؤتمر لعلماء الدين من المسلمين والمسيحيين ينعقد في بحمدون بتاريخ ٢٢ نيسان ١٩٥٤ للمداولة في :

- ١ - القيم الروحية للديانتين .
- ٢ - موقف الديانتين من الشيوعية .
- ٣ - الطرق الكفيلة في الديانتين لنقل القيم الروحية إلى الجيل الحديث . فرفض شيخنا الإمام حضور المؤتمر مبنياً رأيه في مواضيع البحث في كتاب بإسم (المثل العليا في الإسلام لا في بحدون) .

تأليفاته الممتعة

مؤلفاته المطبوعة في الحكمة والكلام والأخلاق والفقه وغيرها ، ألفت :

١ - الدين والإسلام والدعوة الإسلامية ، جزءآن طبعا في صيدا ، أحدث جزؤه الأول دويّ استحسان في العالم الإسلامي فتلافقته أيدي الفريقين مستوحية أهدافه الكريمة لكنه مع ذلك بوغت بهجوم السلطة عليه وهو مشغول بطبع جزئه الثاني في بغداد عام ١٣٢٩ هـ بأمر ناظم باشا والي بغداد وإيعاز المفتي الشيخ سعيد الزهاوي فصمّم على طبعه خارج العراق فسافر إلى الحجّ وعاد من طريق الشام فيروت وأنجز طبعه بجزئيه في صيدا .

٢ - المراجعات الريحانية - جزءآن - تكرر طبعهما في الشرق والغرب ، في صيدا وبيروت وبغداد والأرجنتين تضمّن أولهما المناظرات التي جرت بينه وبين فيلسوف الفريكة أمين الريحاني ونقد فيه الأب أنستاس مارلي الكرمللي صاحب مجلة (لغة العرب) وهو بحوث مهمّة للغاية دلت على استيعابه وتعمّقه في العلوم ، ونقد في الثاني المؤرخ جرجي زيدان أيام ظهور كتابه (تاريخ آداب اللغة العربيّة) وفي هذا النقد فوائد وتنبهات وبراعة لا يستهان بها .

وقد نقد فيه أيضاً صديقه الشيخ يوسف الدجوي من مدرسي الأزهر الشريف كما نقد فيه الشيخ جمال الدين القاسمي عالم دمشق يومئذٍ .

٣ - الآيات البينات، تشتمل على أربع مسائل في الردّ على الفرق الضالّة .

- ٤ - التوضيح فيما هو الإنجيل ومن هو المسيح جزءاً من وطبع ترجمتها بالفارسية أيضاً .
- ٥ - الفردوس الأعلى - طبع في النجف وتبريز - مع بعض تعليقاتي عليه .
- ٦ - أصل الشيعة وأصولها - تكرر طبعها وترجم إلى اللغات المختلفة .
- ٧ - الأرض والتربة الحسينية طبعت ترجمتها أيضاً .
- ٨ - نبذة من السياسة الحسينية .
- ٩ - الميثاق العربي الوطني .
- ١٠ - المثل العليا في الإسلام لا في بحدون - وقد لاقى هذا الكتاب رواجاً عجبياً وأعيد طبعه مراراً في ظرف قصير كما ترجم إلى الفارسية وطبع في إيران .
- ١١ - المحاوراة مع السفيرين - طبع في العراق والأرجنتين .
- ١٢ - عين الميزان .
- ١٣ - نقد ملوك العرب للريحاني .
- ١٤ - مختارات من شعر الأغاني .
- ١٥ - الخطبة التاريخية في القدس .
- ١٦ - خطبة الإتحاد والإقتصاد . ألقاها في مسجد الكوفة عند رجوعه من المؤتمر الإسلامي بفلسطين وهي من أعظم الخطب .
- ١٧ - الخطب الأربع .
- ١٨ - خطبة الباكستان وترجمتها بالفارسية أيضاً مطبوعة ، ترجمها صديقنا الفاضل السيد هادي الخسروشاهي التبريزي حفظه الله تعالى .
- ١٩ - مبادئ الإيمان ، دروس دينية جمعها من رشحات قلمه الشريف

بعد وفاته ، نجله الأستاذ عبد الحلیم وقدم لها وطبعها سنة : (١٣٧٨ هـ) .

مؤلفاته في الفقه

- ٢٠ - المسائل الفندھاریّة (فارسي) أمرني قدّس سرّه بترجمتها إلى العربيّة وأدرجها في الفردوس الأعلى .
- ٢١ - حاشية على التبصرة للعلامة الحلّي (ره) .
- ٢٢ - سؤال وجواب عربي .
- ٢٣ - وجيزة الأحكام . تكرر طبعا .
- ٢٤ - زاد المقلدين - فارسي . تكرر طبعا .
- ٢٥ - مناسك حجّ عربي . تكرر طبعا .
- ٢٦ - حاشية على العروة الوثقى للسيد الشريف الطباطبائي اليزدي (ره) وفيها فوائد جليّة .
- ٢٧ - حواشي على سفينة النجاة لأخيه الشيخ أحمد أربع مجلدات دورة فقه كاملة وفيها مسائل نادرة وفوائد جليّة .
- ٢٨ - تحرير المجلّة خمسة أجزاء من جلائل الكتب .
- ٢٩ - حواشي على عين الحياة ترجمة سفينة النجاة بالفارسيّة - جزء أن - مطبوعة مع عين الحياة في بمباي .
- ٣٠ - حاشية على مجمع الرسائل (فارسي) مطبوعة مع حواشي السيد الزعيم سيّدنا الطباطبائي البروجردي دام ظلّه في النجف الأشرف سنة : (١٣٦٧ هـ) .

مؤلفاته في الأدب

- ٣١ - تعليقات وتراجم على ديوان السيد جعفر الحلّي (ره) المعروف

بسحر بابل وسجع البلابل .

٣٢ - تعليقات على ديوان السيد سعيد الجبوبي (ر ه) .

٣٣ - تعليقات على الوساطة بين المتنبى وخصومه .

٣٤ - تعليقات على معالم الإصابة .

٣٥ - تعليقات على (الكلم الجامعة والحكم النافعة) والظاهر أن الشيخ الإمام (ر ه) جمع تلك الكلم الجامعة من كلمات أستاذه الطباطبائي اليزدي (ر ه) وشرح بعضها في آخر العروة الوثقى حين أشرف على طبعتها للمرة الأولى في بغداد سنة ١٣٢٨ هـ ولكنه ذكر اسمه الشريف في آخرها رمزاً فراجع .

مؤلفاته المخطوطة في الحكمة والكلام

٣٦ - الجزء الثالث من الدين والإسلام .

٣٧ - الجزء الرابع من الدين والإسلام .

٣٨ - حاشية على كتاب الأسفار لصدر المتألهين (ر ه) .

٣٩ - حاشية على رسالة العرشية لصدر المتألهين (ر ه) .

٤٠ - حاشية على رسالة الوجود لصدر المتألهين (ر ه) .

٤١ - دائرة المعارف العليا وقد جمع في هذا الكتاب بعض ما ورد من الأسئلة مع أجوبتها في الفقه والحكمة والتفسير وغيرها يحتوي على ثلاث مجلدات .

مؤلفاته المخطوطة في الفقه وأصوله

٤٢ - شرح العروة الوثقى للسيد الطباطبائي اليزدي (ر ه) خمسة مجلدات .

٤٣ - حاشية على رسائل الشيخ الأعظم الأنصاري (ر ه) .

- ٤٤ - حاشية على مكاسب الشيخ الأعظم الأنصاري (ر ه) .
 ٤٥ - تنقيح المقال في مباحث الألفاظ .
 ٤٦ - حاشية على الكفاية للشيخ آخوند الخرساني (ر ه) .
 ٤٧ - رسالة في الجمع بين الأحكام الظاهرية والواقعية .
 ٤٨ - حاشية على القوانين .

مؤلفاته المخطوطة في التفسير والهيئة وغيرها

- ٤٩ - مغني الغواني عن الأغاني مختصر الأغاني ألف صفحة .
 ٥٠ - ديوان شعره الذي أسماه : (الشعر الحسن من شعر الحسين) .
 ٥١ - نزهة السمر ونهزة السفر : رحلته الأولى إلى سوريا ومصر .
 ٥٢ - ترجمة حياته مفصلاً بقلمه بعنوان : (عقود حياتي) تشمل على أمم الحوادث والتواريخ في تلك العقود ومعه المجموع من شعره الذي نظمه في الكبر بعد سن الخمسين . نأمل مَمَّنْ عشر عليه في النجف وكربلاء أو في غيرها أن يسلمه إلى نجله عبد الحلیم أو الشيخ محمّد شريف وله منهما جائزة ثمينة ، وإننا نأمل العثور عليه إن شاء الله تعالى .
 ٥٣ - تعاليق على أمالي السيد المرتضى علم الهدى (ر ه) .
 ٥٤ - تعاليق على أدب الكاتب لإبن قتيبة .
 ٥٥ - تعاليق على الوجيز في تفسير القرآن العزيز .
 ٥٦ - تعاليق على نهج البلاغة ونقود على شرح الشيخ محمّد عبده ومؤاخذات عليه .
 ٥٧ - تعليقات على الفتنة الكبرى لظه حسين .
 ٥٨ - منتخبات من الشعر القديم مجموعة كبيرة .

٥٩ - منتخبات من الأحاديث والأخبار والتراجم وغيرها .

٦٠ - تعريب كتاب فارسي هيئة .

٦١ - تعريب كتاب حجّة السعادة في حجّة الشهادة .

٦٢ - تعريب قسم من رحلة : (ناصر خسرو) الحكيم المشهور .

٦٣ - كتاب (وظائف) .

٦٤ - كتاب استشهاد الحسين (ع) .

٦٥ - رسالة عن الإجتهد عند الشيعة .

٦٦ - العقبات العنبرية في الطبقات الجعفرية في ترجمة عائلته .

٦٧ - جنة المأوى - هذا الكتاب الذي بين يدي القاريء العزيز، وقد شرحنا الحال بالنسبة إلى هذا الكتاب فيما تقدم وكتبنا ما هو اللازم بيانه سابقاً فلا نعيده .

وله طيلة حياته الشريفة مقالات وبحوث كثيرة في مختلف الموضوعات نشرها في الصحف والمجلات ومنشور كثير، كمنشور (نصيحة للمسلمين) وأمثالها ، وأيضاً له تصدير وتقرير كثير على مؤلفات العلماء والأدباء فلو جمع وألف ما ترشح من قلمه الشريف من هذا القبيل مع أنه يتعذر بل يتعسر استقصاؤها ليرز مجلدات ، وقد كان يقرأ ويكتب حتى ساعة الوفاة ، وقد كتب تقريراً لبعض المؤلفات في مستشفى الكرخ ببغداد مدة مكثه فيها شهراً واحداً قبل سفره إلى (كرد) ، وكان يقرأ كل ما يمرّ عليه من كتاب مطبوع ومخطوط وما أن يفرغ منه حتى ترى الهوامش قد ملئت بالتعليقات النفسية وفي مكتبته عشرة من هذه الكتب .

وكان له إلمام خاص وعناية مخصوصة بخطب أمير المؤمنين (ع) وكلماته الشريفة ، وسمعته وهو يحدث لي ، إني مع إمامي الشديد بالأدب العربي وتوغلي في النكات الأدبية والمعاني الدقيقة لا أقدر على شرح كلماته (ع) كما هو حقها ويليق بها ، فإن كلامه (ع) فوق كلام المخلوق دون كلام

الخالق ، ولا أتمكن من بيان بعض معاني ونكات كلماته (ع) بغير البيان الذي ذكره (ع) ، وأني أتعجب من بعض الناس ممن ليس له حظ وافر من الأدب العربي والنكات العربيّة والعلوم المتنوعة كيف يتصدى لشرح كلامه (ع) نظماً أو نثراً ، وهو يتخيل أنه أدى حق تلك الكلمات النيرة وشرحها كما يليق بها ، ثم أراني عدّة أوراق كان أرسلها إليه بعض المتصدين لشرح نهج البلاغة ويبيّن لي هفواته وعثراته .

ومما هو جدير بالذكر أن جمعاً من الناس ممن يؤلّف ويصنّف تأليفاً وتصنيفاً في مختلف العلوم والموضوعات نقلوا كثيراً في مؤلّفاتهم ومصنّفاتهم من كتب شيخنا الإمام (ره) ومن مقالاته وبحوثه القيّمة المنتشرة في أنحاء البسيطة والبلاد الفسيحة الأرجاء من دون رعاية الإحتفاظ منهم بأمانة النقل وأخذوا كثيراً من الفرائد النفسية والدرر المنضودة والأفكار المترشحة من قلمه الشريف من غير أن ينسبوا إلى مرصفها وناضدها وصاحبها ، وهذه خيانة سوداء بل سرقة الشواء لا ينبغي صدورها من الرجال الأحرار وممن يتسمي إلى العلم ومن كان من الأمانة والخطباء .

فإليك أيّها القاريء الكريم ذكر مورد واحد ممّا ادعيناه شاهداً لما قلناه فاستمع لما يتلى عليك فيما يلي :

وقد ألّف الخطيب الفاضل السيد حسن القبانجي النجفي حفظه الله كتاباً ووسمه بـ (الجواهر الروحيّة) وذكر فيه مقالاً في أسرار الزكاة بعنوان (الزكاة والإشترائية الصحيحة والتعاون في الإسلام) وأخذ هذا المطلب بعين ألفاظه من ابتدائه إلى انتهائه من كلام شيخنا الإمام (ره) الذي ذكره بالعنوان المذكور في الفردوس الأعلى من دون تغيير ولو بكلمة واحدة ، ولكنه لم ينسبه إلى الشيخ أصلاً ، وهذا العمل على خلاف أمانة النقل ولعله حفظه الله ذهل عن ذهنه^(١)

(١) كما ذهل عن خاطره أن ينسب ما نقله عن كتاب طب الإمام الصادق إلى مؤلفه العلامة الميرزا محمد الخليفي ، أنظر الجواهر الروحية ص ٧٢٦ و ٢٧٧ وطب الإمام الصادق ص ١٣ و ص ١٤ . الجواهر ص ٢٧٨ طب الصادق ص ١٥ و ص ١٧ والجواهر ص ٢٧٩ و ص ٢٨٠ =

وخاطره الشريف ونسي أن يذكر اسم الشيخ (ر ه) وينسبه إليه ، وطبع كتابه غافلاً من ذلك والله العالم وهو العاصم . نعم حذف بعض تعليقاتي على العنوان المذكور ولم ينقلها .

أنظر (الجواهر الروحية) ج ١ ط النجف سنة ١٣٧٥ هـ من ص (٤٠٢) إلى ص (٤١٠) وانظر إلى الفردوس الأعلى من ص (١٧٤) إلى ص (١٨٤) ط ٢ تبريز . ومن ص (١٢٨) إلى ص (١٣٦) ط ١ النجف . وطالع تلك الصفحات في الكتابين حتى تجد صدق ما قلناه .

وفاته

لما مرض شيخنا الإمام مرضه الذي قضى على حياته الغالية ويثس من شفائه على أيدي أطباء النجف الأشرف سافر إلى بغداد للمعالجة وأدخل مستشفى الكرخ فباشره جمع من حذاق الأطباء مدة لا تقل عن شهر ولم تتقدم صحته ولم يتحسن مزاجه بل ازدادت آلامه .

هنا احتمل بعض محبيه وخواصه بأن اليد الأثيمة الغاشمة تعبت وأن السلطة الحاكمة آنذاك تريد القضاء عليه من طريق مرضه خوفاً من مكانته العظيمة عند الناس وجرأته على القيام ضد الإستعمار^(١) ، كما أظهر جرأته في

= وطب الصادق ص ١٧ - ١٨ والجواهر ص ٢٨٠ إلى ص ٢٨١ والطب الصادق ص ١٨ و ١٩ والجواهر ص ٢٨٢ و ص ٢٨٣ والطب الصادق ص ١٩ و ص ٢٠ ، كما وقد نسي أن ينسب مقدمة طب الرضا التي كتبها العلامة السيد مرتضى العسكري إلى كاتبه ، أنظر الجواهر الروحية ص ٢٨٤ إلى ص ٢٨٧ ، أنظر ما كتبه العلامة العسكري في مقدمة طب الرضا .
(١) فإن عمال السياسة الظالمة عرفوا منذ زمن بعيد جرأته في الأمور وشجاعته في المعارك واستعداده في إخماد نار الفتن وإيجاد الهياج ومكانته الشعبية وغيرته الدينية والوطنية وهو قادر على النهضة الإصلاحية مع كونه شديداً على الظالمين والمتغلبين عاتياً جريئاً عليهم ، ولم يكن له ند في العتاب على الملوك والرؤساء ، فلا ينسى اليوم الذي جاء (قبل وفاة الشيخ (ر ه) بستين تقريباً) المرحوم فيصل الثاني (ر ه) مع وزاره إلى النجف وزار قبر جده وعين لقائه مع الشيخ (ر ه) في الحضرة العلوية المقدسة بعد التماس شديد من الحكومة عنه لملاقاة الملك وكان الشيخ (ر ه) مشغولاً لأداء صلاة نافلة في رواق الحضرة الشريفة والملك مع اتباعه ووزرائه ومنهم نوري السعيد منتظرون لقائه بعد فراغه من الصلاة ، والشيخ (ر ه) دخل الحرم الشريف بعد الفراغ =

كتابه : (المثل العليا) و (المحاوره مع السفيرين) ولما أبرزهما في الأسواق وراجا رواجهما في العالم وأخذا مأخذهما عند أكثر الناس وخصوصاً عند تلامذة المدارس والكليات والمعاهد العلمیة . اشمزت السلطة الغاشمة والبلاط وأخذت تحيك الحيل ضد حياة راحلنا العظيم وقد أشار الأستاذ طالب الحيدري في قصيدته التي أبّن بها شيخنا المغفور له ، إلى أن موت شيخنا الفقيده كان مقصوداً قال :

مات الجريء الفذ يدفعه إخلاصه ليقول مندفعاً
 ما مات حتف الأنف أحسبهم قد جرعوه من الردي جرعا
 قتلوه ثأراً منه أو حذرا والله أعلم بالذي وقعا

أنظر ديوانه : النبضات ص ١٧٨ .

= من الصلاة ولم يتوجه إليهم بل سلم على أمير المؤمنين (ع) وزار قبره الشريف ، وجاء حتى وقف عند الضريح المقدس تجاه وجهه عليه السلام فسلم الملك واتباعه على الشيخ (ره) وابتدر الملك وقيل يد الشيخ (ره) ثم وزرائه بعده قبلوا يده ولم يجلس الشيخ (ره) إلى الأرض واستمر قائماً متكئاً على عصاه ، فشرع للتكلم باللسان الفصيح وعاتبهم ووبخهم بلحن شديد وقال للملك أمن العدل أن ينتشر في عاصمتك جريدة منحوسة مستأجرة بإسم (السجل) ، وتتجاسر على جدتك الزهراء البتول (ع) بالقول الشائن والكلام المقذع؟ وأن تكتب في حق الشيعة وعلمائهم ، أنهم خالفوا من أول الأمر للمسلمين ونقضوا اتحادهم حيث أن المسلمين اجتمعوا في مجلس السقيفة والشيعة شقوا عصاهم بعدم الحضور فيها فخاطب الجماعة وقال : إنا تابعون في المخالفة لمجلس السقيفة لصاحب هذا القبر وأشار بيده إلى الضريح المقدس ثم خاطب الملك خاصة وقال هل كان جدك هذا أمير المؤمنين (ع) حاضراً في ذلك المجلس؟ أو أظهر المخالفة ولم يحضر فيه أصلاً بل كان ساخطاً على الحاضرين فيه؟ ونحن معاشر الشيعة تابعون له نخالف في كل ما خالف فيه أمير المؤمنين (ع) ونوافق بكل ما وافق فيه هو (ع) ونعادي من عاداه ونوالي من والاه ، ثم شرع للعتاب والخطاب الشديد عليهم بأمثال تلك الكلمات بالنسبة إلى الموضوعات الدينية والعمرانية والاقتصادية وغيرها ولم يكن في واحد منهم جرأة على الجواب وجلس في أثناء الكلام وجلس الملك واتباعه بعد جلوسه وبعد أن أتم كلامه تفصيلاً وأجاب الملك ووزرائه بإنفاذ أوامره ونواهيهم واعتذروا ببعض الإعتذار من مسامحتهم في بعض الأمور يطول الكلام بذكرها قال الشيخ (ره) قوموا عني واذهبوا إلى أعمالكم (كانوا منتظرين لقيامه) فإني جالس في هذا الحرم الشريف فإن هذا المكان المقدس محل إقامتي ومسكني وأنا خادم من خدام هذا الإمام (ع) .

وشعر راحلنا العظيم بذهنه الوقاد وذكائه المتوقد أن الأطباء لا يباشرون مرضه تأمة ولا يستعملون الأدوية المختصة بدائه ، رغب في الخروج من المستشفى والسفر إلى إيران للإستجمام في ربوع إيران فحبب له هذه الفكرة معالي صالح جبر وجماعة من رجال بغداد من مخلصيه ، فجاء معالي جبر بسيارته إلى المستشفى فأركبوا فقيد المسلمين في تلك السيارة وأوصلوه إلى قرية كوند - قرية جبلية واقعة بين خانقين وكرمانشاهان في الأراضي الإيرانية وهي القرية التي كان يصطاف فيها شيخنا الراحل في بعض السنين - وبعد وصوله إليها ولم تستقر به النوى ، اختطفه ريب المنون وانتقل من دار الفناء إلى دار البقاء إلى جوار ربّه الكريم بعد أدائه لفريضة الفجر صباح يوم الإثنين ١٨ ذي القعدة سنة (١٣٧٣) هـ .

ولما أشيع خبر وفاته انهالت الناس إلى تلك القرية من كل فج عميق لتشيع جثمان بطل العلم والفضيلة فقيد الإسلام والمسلمين ، وأذيع أثر وفاته خبر رحلته من معظم محطات العالم وشيعت جثمانه الطاهر مئات السيارات وسرب من الطائرات الإيرانية وجيء بجثمانه من القرية إلى الحدود العراقية وهناك استقبل الجثمان من قبل العراقيين واستلمته أيدي جماهير الناس من مختلف طبقات الفريقين ومن كبار رجال الدولة ثم أخذ جثمانه إلى بغداد عاصمة الرشيد ثم إلى حرم الإمامين الجوادين (ع) ثم إلى كربلاء إلى حرم أبي عبد الله الحسين (ع) وحرم أخيه البار أبي الفضل العباس (ع) ثم إلى النجف الأشرف إلى حرم الأمن ، حرم العلم وبابه حرم مولى الكونين والثقلين أمير المؤمنين (ع) الشهيد أبو الشهداء الأحرار لطواف جثمان شيخنا الراحل حول مراقدهم وأن يجدد عهده مع الأئمة (ع) ثم إلى وادي السلام إلى مقره الأخير مقبرته الخاصة التي اعدها بنظره من قبل سنين لنفسه .

نقل لي ثقة عن الشيخ الشريف نجل راحلنا العظيم ، أنه لما أخبر الشيخ في كربلاء بأن سرداب القبر قد عمر وكمل من جهة البنيان ذهب إليه الشيخ في رجوعه من كربلاء ونزل إلى تلك الحفيرة ومكث فيها مدة غير يسيرة وناجى فيها ربّه ثم خرج منها ولحيته الكريمة تقطر من دموع عينيه .

فهذا إن دلّ على شيء يدل على قوة إيمان شيخنا المغفور له وقوة عقيدته بالمعاد فهنيئاً له إيمانه وعقيدته فإن الإيمان بالله وبما أرسله إلى الناس كافة مع أنبيائه المرسلين ينفع في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون .

وأقيمت مجالس الفاتحة في النجف الأشرف من قبل أسرة الفقيده والعلماء والجمعيات ومن قبل مختلف الطبقات كما أقيمت مئات الفواتح في العراق وإيران وباكستان والهند وسوريا ولبنان وأقيمت له في النجف بعد مرور أربعين يوماً من وفاته حفلة تأبينية في مدرسة الصدر حضرتها وفود الدول وغيرها ممثلين لحكوماتهم ووردت إلى النجف مئات البرقيات بمختلف اللغات من الشرق والغرب ، من الملوك ورؤساء الجمهوريات ورؤساء الأديان والشخصيات ، تعزي أسرة الفقيه والعلماء خصوصاً سيدنا الحجّة الزعيم الروحي الأواحد إمام الشيعة السيد محسن الطباطبائي الحكيم متع الله المسلمين بطول حياته لأن وفاة شيخنا الراحل كانت ثلثة كبيرة في الدين وخسارة عظيمة على الطائفة لا يعرف مدى تأثيرها إلا الأوحدي من العلماء ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

شروع الإفتراء

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (١) .

من ينعم النظر إلى أحوال الأكابر والنوابغ من علماء الدين ورؤساء المذهب يرى أنه لم يكذب يسلم أحد منهم من تشنيع الأعداء والنقول والظعن عليهم من الخصماء وقد وقعوا أهدافاً لسهام اللوم والظعن والتنفيذ ولم يسلم كثير من الشخصيات العالمية من هذه السهام المسمومة ولم يشذ أحد منهم عن القذف والمروق والشذوذ وما شابه ذلك وأكثرهم سواء في حياتهم أو بعد

(١) سورة ١٦ آية : ١٠٨ .

مماتهم لم يسلموا عن الكلمات الخاطئة في حقهم والتحامل عليهم بالقول الزور وبكل أفيكة .

وغير خفي على الباحث المنقب أن رميهم بالأقوال الشائنة والقوارص الموبقة وبالآفائك والمفتريات ، كان في الزمن السالف ناشئاً في الأغلب من الحسد والحقد ومن افترات الخصوم وأهل الغرض والأهواء أو المخالفين في المذهب والعقيدة ولذا نجد بعد البحث والتنقيب وإمعان النظر والتحليل الصحيح ، إن كل تلك الأقوال عارية من الصحة وخالية عن الحقيقة ولا قيمة لها عند الباحث المنقب والمتحري للحقائق نعم هكذا كان الأمر في الزمن الغابر ولكن في عصرنا الحاضر نجد أن شيوع الإفتراء والإختلاق والتهمة على علماء الدين وكبراء المصلحين أكثرها تصدر من ناحية أذئاب الإستعمار والخائنين وأجراء المستعمرين ليلوثوا بزعمهم ساحة قدسهم وليحطوا عن مقامهم في أنظار الناس كما نسب بعض عمال الأجانب إلى فيلسوف الشرق والإسلام السيد جمال الدين الأسد آبادي الشهير بالأفغاني (ره) بعض الآفائك من تركه الصلاة في بعض أسفاره وأمثال هذه المفتريات التي لا أستحسن نقلها وثبتها في كلامي والإفصاح بها في مقالي وهكذا صار دأب المغرضين والمعاندين للإسلام والخائنين ولكن العجب صدور أفيكة في حق شيخنا الإمام المترجم له من بعض المترجمين لأحواله في كتابه وهو يحسب نفسه في زمرة أحبابه وقال ما هذه عين ألفاظه : (وكان رأيه بالمعاد أنه روحاني ولكنه لم يبح به خوف الفتنة فإن شبهة الأكل والمأكول كانت سداً أمام المعاد الجسماني) .

غفرانك اللهم من هذا البهتان العظيم والأفك الصريح والجرأة العظيمة في حق رجل عظيم من عظماء العالم الإسلامي والمجتمع المذهبي . وايم الله أن التفوه بهذا القول ونسبته إلى الشيخ الإمام (ره) أفك عظيم تقشعر منه الجلود وتكفهر منه الوجوه وتشمئز منه الأفتدة وكان الأحرى والأليق بكتاب هذا المقال وناسج هذا الكذب الصراح أن لا يخرج عن فنه الذي نشأ عليه أعني العلوم

العربية والفنون الأدبية ولا يتداخل بالعلوم التي لم يكن هو ماهراً فيها بل لم يحم حول حماها .

فيا أخي إياك والتداخل في بعض الموضوعات الدينية والعلمية التي ما درستها بالدراسات التحليلية عند أساتذتها ؛ أيسغ وجدان عاقل أن ينسب إلى الشيخ الإمام (ره) قولاً هو على خلاف ضرورة الدين وعلى نقيض من صريح القرآن المبين ؟ أليس هو الذي صرح بالمعادين الروحاني والجسماني معاً في تصانيفه وقد أثبت في الفردوس الأعلى في مسألة المعاد ما هو ضروري دين الإسلام ، والحق وما في الحق مغضبة إن من المصائب ، إن ارتحل بالأمس الإمام كاشف الغطاء إلى عالم البقاء وينسب إليه من يظهر محبته اليوم القول على خلاف ضرورة الدين أليس هذا من المصائب العظيمة في الجامعة الإسلامية هل إنكار الضروريات الدينية صار اليوم من الآراء الصحيحة ؟ كما يؤمى إلى هذا المقال ذلك الكاتب الأديب في كلماته وهل صار إنكار الضروريات الإسلامية من التقاليد الغربية ؟ أو أنّ هذا أيضاً من بعض حيل الصهيونية الشريرة ؟ وقد صرح هذا الكاتب بما في نفسه ونسب ما هو في مكنون خاطره إلى ذلك الرجل العظيم بعد وفاته ، أمّا تسمع أيها الكاتب الأديب قول الله تعالى في كتابه الكريم : يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردّوكم بعد إيمانكم كافرين ﴿١﴾ .

فدع عنك التقاليد الغربية بإنكار الضروريات الدينية ولا تنسب هذا البهتان العظيم إلى الرجل العظيم ﴿ سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ (٣) .

الشاهد على قصور هذا الكاتب أنه حسب أن شبهة الأكل والمأكول

(١) سورة ٣ آية : ٩٦ .

(٢) سورة ٢٤ : آية ١٧ .

(٣) سورة ٤ آية : ١١٣ .

كانت سداً أمام المعاد الجسماني ولم يطلع أن في هذا العصر - عصر الذرة والنور - لم يبق لتلك الشبهة القديمة بعد البحوث العلمية الجديدة وقع في أنظار الباحثين والعلماء المنقبين ، فالأولى الصريح عن هذا الكلام وإنما اندفعت في هذا المقام لما رأيت الأفك الصريح منسوباً إلى شيخنا الإمام (ره) وقلت في نفسي لو لم أتعرض وأنصدع بالتصريح بكذب هذا المقال لعله ربّما يشبه الأمر على الجيل الآتي مع لفت نظري إلى أن عقائد شيخنا الإمام (ره) ، واعتقاداته الدينية ومعارفه الإلهية ممّا لا يخفى على الأنام على مرّ القرون والأعوام مع انتشار مؤلفاته في أنحاء البسيطة فإن مثله لا يقول بالسفساف ولا تدنس ساحة قدسه بهذه القذائف والفواحش إنّما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون .

صنفان من العلماء

جادت يراعة العلامة الكبير الشيخ محمّد جواد مغنية - نزيل بيروت بكتابة مقالة ونشرها في المجلد ٤٧ من مجلّة (العرفان) الأغرّ التي تصدر في صيدا - لبنان ، لصاحبها العلامة المجاهد الشيخ عارف الزين ج ١٠ ص ٩٣٨ .

وجاء في ذلك المقال ما هذا لفظه : (وليس من شك أننا في حاجة ماسة إلى نوعين أو صنفين من العلماء ، أحدهما للتفقه في الدين : وبث الشريعة حلالها وحرامها على أهل المذهب ، وثانيها لإظهار عظمة المذهب وإعلان حقيقته على الأجانب والأقارب ، ودفع الإفتراءات والشبهات عنه ؛ ولدينا من الصنف الأول القدر الكافي وزيادة ، والحمد لله .

لقد توفي السيّد أبو الحسن الأصفهاني فخلفه من السادة الكبار أكثر من العدد المطلوب ، أما الثاني فأندر من الكبريت الأحمر . . .

توفي الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء ، والسيد محسن الأمين ، والسيد عبد الحسين شرف الدين ، فأحدثت وفاة كل منهم ثلثة في الدين ما زالت تنتظر من يملأها .

إلتقى هؤلاء الأقطاب بالعالم ، لا بالمقلدين والأتباع فحسب ؛ ونقلت عنهم فئات شتى في الشرق والغرب ، وعرف بهم البعيد أن في الشيعة معجزات من العبقريّة ، وأن مذهب التشيع يقوم على أقوى وأمتن أساس .

وبالإختصار المفيد أن ما طلب لم يعرض ؛ وما عرض أكثر من المطلوب ؛ إن لدينا الكثير من الأصحاب الذين يعرفون الفرائض والسنن ، أما الذين نباهل بهم ؛ كما باهل النبي (ص) بأهل بيته (عليهم السلام) فأين هم بعد كاشف الغطاء والأمين وشرف الدين ؟! . . .

وقد يسمح لغد ، وما ذاك على الله بعزير . (أ . هـ) .

وليسمح لي الأستاذ الكبير أن أقول أن أمثال كاشف الغطاء وشرف الدين والأمين والبلاغي يندر في القرون فإنهم في عصرهم كالشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي والعلامة الحلّي (ر ه) وإضرابهم من النوابغ وأعلام الدين الشاهقة في زمانهم وكانوا أشبه بسلفنا الصالح من علماء الدين في الإحاطة بأنواع العلوم الإسلامية وفي الذب عن الدين من كل النواحي أين نظائرهم على مرّ القرون ؟ ومتى كثر أمثالهم في الأدوار ؟ بل هم أندر من الكبريت الأحمر كما صدع به الأستاذ .

نعم إننا في هذا العصر في أمسّ الحاجة إلى أمثالهم أكثر من الزمن السالف ولا يكفي في زماننا الإكتفاء بالفقه وأصوله في الذب عن الدين والدفاع عنه وقلع أساس الأباطيل والأضاليل وقمع جرثومة الزندقة والإلحاد ، وبيان حقائق المذهب على الأقارب والأجانب ودفع الأفتاك والإفتراءات ودحض الشبهات ورفع الإشكالات ؛ وقد كنت طالبا للعلم الديني في حوزة (قم) قبل مهاجرتي إلى جامعة النجف وكنت كلّمًا أشكل لي مسألة علميّة أو غيرها كتبتها إلى شيخنا الإمام (ر ه) وهو في النجف الأشرف فكان يأتي الجواب بأسرع الأوقات فأين مثله ؟ ولم غاب نجمه ؟ ومتى يأتي نظيره ؟ .

هيئات أن يأتي الزمان بمثله إنّ الزمان بمثله لضنين ولعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً .

الإطراء عليه

ترجم شيخنا الإمام رحمه الله جمع كثير من المؤلفين في كتبهم - العربية والفارسية - وكل من ترجم له أثنى عليه بكل جميل وأطراه بحسب فكره وعقله السليم ولا نطيل الكلام بذكر تلك المصادر وأساميها وأسامي مؤلفيها فإن الباحث المتبع يقف عليها .

ويعلم كل احد ان شيخنا الامام (ره) في غنى من اطراء الواصفين وثناء المادحين نعم نكتفي هنا نزرأ يسيراً ممّا ذكره وشطراً قليلاً ممّا سطروه ونذكر نص كلماتهم في حقه رضوان الله عليه فعليك أيها القارئ العزيز ممّا اخترناه من تلك الكلمات .

(الكلمة الأولى) كلمة شيخنا البحّثة الأكبر المحقق الطهراني دام ظله في طبقات اعلام الشيعة ج ١ ص ٦١٢ - ٦١٩ فقد ترجم الشيخ (ره) ترجمة طيبة جاءت خلاصة لحياته نذكر شطراً ممّا ذكره هنا بعين الفاظه قال دام ظله : وبعد عودته من القدس عرفت شخصيته في البلاد الاسلامية وغيرها بشكل خاص ، وأخذ البريد يحمل إليه كتباً من الأقطار البعيدة والقريبة تشتمل على مسائل غامضة ومطالب عويصة في الفلسفة وأسرار التشريع ، كل ذلك بالاضافة إلى الاستفتات الفقيهية من الفروع والأصول فكان يقوم بذلك بمفرده ولم تشغله هذه الأمور ولا مرجعيته ولا تدريسه عن التأليف في المواضيع المهمة اللازمة في بناء صرح الاسلام وهيكله المقدس . وقد سمت مداركه ونفذ فكره إلى أعماق الحقائق وأسرار العلوم والفضائل ، حتى تجلى ذلك في نفحات ألفاظه ورشحات أقلامه .

أما هو في خصوص الخطب والأدب والبلاغة والفصاحة فسبحان وائل حسث توسع في ذلك وضرب بسهم وافر منه ولا أعالي إذا قلت أنه أخطب خطباء الشيعة . وقد سجل الكثير من خطبه في مختلف المواضيع وشتى المناسبات وأذيع على أمواج الأثير ففرع سمع القاصي والداني ؛ ودان له القريب والبعيد ونشر قسم منه في المجلات والجرائد . أما غيرته على الإسلام واهتمامه للإلفة وسعيه لاتفاق الكلمة فحدث عنه ولا حرج فقد بذل في ذلك طارفه وتلاده ، وسخى بمهجته في الله سالكاً اوعر السبل وأشق

المناهج ، ولم يترك طريقاً مؤدية إلى ذلك إلا سلكها ولا باباً إلا طرقه وله مواقف مشهودة اعترف له بها المخالف والمؤلف والعدو والصديق .

والحقيقة أنه من مجتهدى الشيعة الذين غاصوا بحار علوم أهل البيت (ع) فاستخرجوا من تلك المكامن والمعادن جواهر المعاني ودرارى الكلم فنشروها بين الجمهور ، وقد أدى رسالة جليلة قل من حصل له التوفيق فأدى مثلها حيث كان مطلعاً على التراث الروحي ، يختار منه ما يتفق مع القرآن والسنة ، ويتناسب مع عقلية الزمن وحاجة العصر (أ . هـ .) .

(الكلمة الثانية) عن العلامة الشيخ جواد الشيبى (ره) ذكرها في آخر كتاب (الدعوة الإسلامية) الجزء الأول طبع بغداد سنة (١٣٢٨ هـ) من ص (٢١٧) إلى ص (٢٢٣) قال ما هذا لفظه :

وأما صاحب الترجمة فحدّث عن البحر ولا حرج فهو وإن كانت قضية عمره ما تعدّها إلى أضعافها صغرى آية في العلم والفضائل كبرى ، ومعجزة يقصر الفكر أن يحيط بها خيراً ، ركب جادة الجدّ قبل أن يقبل عارضه وخاض لجنة الفضل قبل أن يشتد ساعده ، فأدرك ما أملته فيه مدارك العقول وأصبح والمعقول عنه منقول ، والمنقول بحمى إفادته معقول ، حمى الحقيقة وما لسنّه وراء الثلثين من العمر مجاز ، وجاء بمصنّفاته وهي لو أردنا بيان معانيها دلائل إعجاز ومناهل ورّاد ، ورياض رواد ، فمنها هذه الدعوة البالغة بل الشمس البازغة بل الصواعق التي هي للباطل دامغة التي جمع فيها بين العقائد والأخلاق والحكم والآداب والفصاحة المعجبة والبلاغة المغربية ودقائق الفلسفة العقلانية وحقائق الحكمة الإيمانية وتشهد الخبرة والعبرة والإنصاف والتدبير ، أنّه ما سمح الزمان بمثاله ولا نسج أحد على منواله ولا وصف الإسلام واصف كوصفه ولا احتج له كاحتجائه يشهد لك بذلك الجزء الثاني منه المتكفل بتلك الخطة ، المقصور على تلك العناية ، ونحن نستحث كل من يمتّ إلى الإسلام ولو بأضعف عرق وأرهن ربق على نشره وترويجه وإدمان النظر فيه غيرة لهذا الدين الأغرّ ودفعاً لما يتهده من شرر أولى الشرّ بعواصم تستنزل العصم وعزائم تسمع الصم البكم ومصاييح تزهق بالهداية في ظلمات

هذا العالم فبسط أنوار التوحيد على شرعة النبوة وتنصب ميزان العدل مستقيماً للمعاد متوازن الكفة وتكشف عن أستار ورائها أسرار الإمامة مكتنة ونفائس الشرع مستورة ، فوصبح مجد المصنف أن العصر الحالي ليفتخر على العصر الخالي والقرون الأولى بماليء السمع والبصر من هذا العالم المنشورة على النوع الإنساني ذؤابة علمه المسرجة لفتح حصون المعقولات ، كتيبة المسومة التي لا تسأم رداً عن غاية ولا إحجاماً عن مضمار أو رحماً بعثار (فهكذا هكذا وإلاً) فلا يشرع عامل قلمه في معترك المقال متكلم ولا يسبح في تيار هذه اللجة متبحر كيف وخائض غمراتها محمّد النعت الحسين الحجي .

بعلم فصلته يد المعالي عليه وأحكمته له لبوسا
فجاز مجارى القمرين مجدداً بجعفر جدّه وأبيه موسى

على أن نفسه العصاميّة لا ترى ذلك سبب تقدم وعلة رقيّ ما لم يستند إلى علوّ همته وشرف نفسه (فما كان سوى أن أتعب نفسه فأراحها) الخ .

(الكلمة الثالثة) : عن مجلّة (المواهب) لصاحبها الفاضل الصارمي ذكرها بعد وصول نعي شيخنا الإمام (ره) إلى الأرجنتين = أمريكا الجنوبية = وقال ما هذا لفظه :

فاجعة الأمة

بفقيد العرب والإسلام المصلح الكبير الإمام المغفور له الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء .

إن أشر الخطب فلا روعةً وحسبنا الله ونعم الوكيل
إننا إلى الله وإننا له أوعظم الأمر فصبر جميل
(الشريف الرضى)

أجل لقد أشر الخطب ؛ وعظم الأمر ، ودهى المصاب ، وفجعت الأمة العربية بمصلحتها الكبير، وعلامتها الجليل آية الله الحجّة الإمام الشيخ محمّد

الحسين آل كاشف الغطاء ؛ فإننا لله وإنا إليه راجعون .

فجعت به - رضوان الله عليه - وهي أحوج ما تكون إلى منهل علمه ومورد هديه ، وبثّ تعاليمه الروحية والوطنية والأخلاقية ؛ فكانت فاجعة العروبة والإسلام بآية الله آل كاشف الغطاء فادحة . وكانت الداهية به دهياء !!

لعمري : لقد يموت رجل السياسة المحنك ؛ والإقتصادي الخبير ؛ والصناعي الشهير ؛ ويموت المخترع والمهندس والمفن وبطل الحرب وقائد الكتيبة المقدام ؛ يموت كلّ هؤلاء وغيرهم فلا تبخل التربة ، ولا تعقم البطون ، فتعدم الأمة وجود أضرابهم بين ظهرانيها يشغلون الفراغ ويسدّون المسدّ .

ولكن من يموت فيعزّ نظيره ويندر وجوده فلا تكاد تقع الأمة له على نذّ ، ولا تكاد ترى له بين ظهرانيها مثيلاً ولا عديلاً فهو في زماننا هذا - زمن المادّة الصمّاء ، زمن الشرّ والفساد والحديد والنار والدينار - رجل الخير والإحسان والإنسانية الكاملة ؛ رجل الصلاح والسماح ، هو الفقيه بدينه ، العارف بربه ، الخبير بأحكام السنن النبوية والشرائع الإلهية ؛ هو المؤمن الموقن ، التقّي الورع ، الناصح الأمين ، المجاهد في الله والناس والنفس ، هو من كان مشتملاً على هذه الخلال الطيبة والصفات الحميدة كشيخنا آل كاشف الغطاء - عطر الله ثراه - لا تأخذه في جهاده في سبيل الحقّ لومة لائم ولا فريّة كاشح واصم .

أجل : رزئت الأمة - للأسف البالغ - بمنار هداها وعلم أعلامها كاشف الغطاء ؛ فقدت به المصلح العربي الكبير ؛ والعالم المجاهد النحرير ، كما فقدت به الكاتب اللوذعي والأديب الضليع والخطيب الملهم العبقريّ ذلكم العلامة الإمام الذي طبقت مآثره وغمرت فضائله وعمّ نائله ، فكان قرّة عين الزمان والمكان والسكّان ، والذي ما عرف سحابة عمره الطويل غير منهج الصدق في القول والعمل منهجاً ، ولا ولج غير باب الحقّ مولجاً وأمر به ؛ قدّس الله سرّه ومكّن له في ملوكته ، إن كان كذلك ، وهو من أصلب

خلق الله عقيدة ومن أمتهم خلقاً ، وأسدهم رأياً ، وأشدّهم حرباً ونقمة على أهل الظلم والعدوان والمعصية والكفران وكيف ؟ وهو الذي أنبت الله نباتاً حسناً فأخذ نفسه منذ نشأتها بالصقل والتهديب وتعهدا بالترتيب والتدريب ، حتى أصبحت مرآة تتجلّى على صفحتها النقيّة المعارف والعلوم : علوم آل بيت الرسول (ص) أئمة الهدى ومناير الرشد ومصادر الحق والخير والجمال ، وحتى أصبحت تشرق على جنباتها أشعة سناهم وأسرار علاهم ، ولا غرو فشيخنا الراحل سقى الله مشواه ، إن هو إلّا ثمرة طيبة من ثمار علوم موالية ونفحة شديّة من نفحات أئمتّه الطاهرين المطهّرين الذين ما ورد غير موردهم العذب ، ولا صدر إلّا ونفسه الزكيّة ربّياً من فيوضات حكمتهم وبحار علمهم وسحائب جودهم وفضلهم .

وهذه هي تآليفه الغزيرة المادّة الكثيرة التعداد الطافحة بالجهاد والساد والرشاد تنطق بكبير فضله وجزيل برّه في سبيل الأدب والعرب ها هي ذي تتجلّى للأبصار بتصانيفه القيّمة البارعة : « الهدى إلى دين المصطفى (١) » « الدين والإسلام » و« المراجعات الريحانيّة » « الميثاق العربي الوطني » « الفردوس الأعلى » « المحاوره » « المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون » وغيرها . . . التي لا يسعنا عدّها لعدم إطلاعنا عليها وجهلنا معرفة أسمائها . عملاً بقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا نُنْعَمُكُمْ لَوْجِهَ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾

أولئك الطلاب الذين يعدّون بالألوف الكثيرة ، والذين يؤمّون وردها النمير من أقاصي البلدان كأكبر جامعة في الشرق العربي تمنح الشهادات العليا في شتى مناحي العلوم العربيّة والفنون العصريّة ولا سيّما في فقه موالينا آل البيت عليهم السلام ، فقه القرآن الشريف والشريعة الإسلاميّة الغراء .

تلك المدرسة العالية التي هو نفسه - رضي الله عنه - يصف جهودها في

(١) هذا الكتاب القيم من تصانيف العلامة الأكبر البلاغي (ره) لا من تصانيف شيخنا الإمام (ره) .

رسالته إلينا بعض الشيء ، هذه الرسالة الكريمة التي تشرفنا باستلامها في الثاني من محرم الحالي في حين أن وصولها لدينا كان منتظراً في يوم عيد رمضان المبارك الفائت ، كما سيعلم قارؤها ولكنّه البريد والتي ترانا نتشرف بنشرها عقيب هذه السطور . لا لما يتخللها من مدح خطة « المواهب » والثناء عليها ، هذا الثناء الجميل البليغ الذي لا تستحق بعضه بل كله ، وإن كانت استحققت عطف الإمام الفقيه وتشجيعه وتطوّله ، بل نتشرف بنشرها كأثر شريف وكذكرى تاريخية خالدة ، اذ ربّما كانت آخر ما خطت أنامله الطاهرة من الرسائل ، كما أنّ كتابه « المثل العليا في الاسلام لا في بحمدون » ربّما كان آخر ما جرى به قلمه الشريف من التأليف ؛ ونرجّح هذا الظنّ بما نتبيّنه من تاريخ الكتاب وإرساله إلينا في البريد العادي لدن الفراغ من طبعه ، ومن تأريخ الرسالة الذي هو في السادس والعشرين من رمضان اي قبيل إلتحاقه بالرفيق الاعلى - اكرم الله مثواه - ببضعة عشر يوماً .

نعم : وليطلع القراء بهذه الرسالة على مقدار جهود هذا الفقيه العظيم في سبيل نشر العلم وتوزيع الثقافة العربيّة على الناس ومقدار خدماته الجلّي وتضحياته الضخمة في سبيل طلاب معهد الغرباء المعوزين الذين كان يحدب عليهم ويتوجع لهم ويتمنى على كل ذي عاطفة رقيقة وشعور نبيل حسّاس أن ينفق عليهم ويبرّ في سبيلهم . رحم الله آل كاشف الغطاء عداد حسناته ومبرّاته وهباته وعداد جهوده العليا في نصرة أمته ووطنه الذين كان لهما خير نصير وخير معاون فلقد كان والله فرداً في أمته وأمة في فرد .

وأحسن الله عزاء الآل والصحب والدين والدنيا بهذا المصاب الفادح الجلل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

يوسف صارمي

بِسْمِ تَعَالَى شَأْنَهُ وَلَهُ الْحَمْدُ

رسالة كريمة

من الأب الروحي فقيد العرب والإسلام الحجّة الإمام آية الله الشيخ الحسين آل كاشف الغطاء ؛ إلى ولده في الروح : يوسف صارمي صاحب مجلة المواهب :

عزيز مصر الفضيلة ويوسف عصر الأخلاق النبيلة ، الصحافي الحرّ مشعل الغيرة في دنيا العروبة صارم الحقّ ولسان الصدق الأستاذ صارمي أدام الله مواهبه وأعزّ جانبه .

وردني كتابك الأغرّ ، وراقمك البديع في طيّ عدد مواهبك الغراء التي لا تعدّ غرر أياديها ، ولا تحصى لوامع لثاليها فحمدناه تعالى على سلامة الأنامل التي تنظم تلك العقود وتبذل هاتيك الجهود في نثر تلك الدرر البوارق على صفحات المهارق وتجدد بها مواهب تهذيب للبعيد والقريب .

ولا أزال شاكراً تلك العواطف الطافحة بالعوارف والمعارف وهديتكم الثمينة لنا ولعموم المنتهلين من مكتبتنا العامّة في النجف الأشرف أدام الله هداياكم وهداكم وزاد مجدكم وعلاكم .

ذكرتم وصول نسخة من الفردوس الطبعة الثانية وقد عرفنا سماحة السيد القاضي أنّه أرسل إليكم نسخة من تبريز هديّة لكم أيضاً فإذا وصلت تحتفظون بواحدة في مكتبكم العامرة وتهدون الثانية لمن تحبون من إخوانكم أو لإحدى الجمعيات المباركة في بلادكم^(١) وسوف نرسل ما أشرتم إليه عشرين عدداً منه في البريد العادي تدريجاً الإثنين أو الثلاثة ضمن دفعات إن شاء الله^(٢) وطلبتم أن نعرفكم عن الثمن فليعلم عزيزي أعزّه الله أنّ القضية ليست قضية بيع وشراء بل هو منّا إهداء ومن إخواننا في المهجر تفضّل وسخاء وإحسان

(١) نعم ، وصلت دامت هداياه وبركاته فاحتفظنا بواحدة وأهدينا الثانية لأخ أديب غيور .

(٢) لم يصل لدينا منه حتى الساعة سوى تسعة أعداد .

ومعروف وتعاون على البرّ ، وثقوا جميعاً أنّي لا أتناول لنفسي فلساً واحداً^(١) لأنّي بفضلته تعالى في غنيّ عن ذلك ، وكلّما تجود به أنفسهم الكريمة من الإحسان حسب الإمكان في هذا السبيل يوزع قوتاً لأبناء السبيل أعني طلبة العلم والغرباء في مدرستنا بالنجف الأشرف الذين لا يجدون للمؤنة وحفظ الرمق حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، ولو رأيتهم ليلة البارحة ليلة ٢٥ من شهر رمضان المصادف ليلة الجمعة وقد صنعنا لهم وليمة إفطار عشاء وهو أكثر من تسعين وفي حدود المائة ، ولو رأيتهم ساعة الأكل لرثيت لحالهم ولأبصرت مشهداً عجباً ؛ لأبصرت كيف يتهاوى الجوع على القصاع .

ولا غرو فقد يمرّ الشهر عليهم أو أكثر ولا يذوقون مضغّة لحم ولا يقوتهم إلّا الخبز مع التمر الجاف أو لبن المخيض ، فأبّر أفضل من البرّ بهؤلاء المهاجرين^(٢) من أقاصي البلاد لطلب العلم من أعالي تبت والصين وأفغان وغيرها فضلاً عن إيران وهند وباكستان ، وبعضهم يأتي من مسافة شهرين من بلاده هؤلاء يحملون معالم الشريعة الغراء إلى تلك الأقطار النائية واللغات الغريبة ويكون لهم بهذه المساعي أعظم الأجر ؛ والساعي في الخير كفاعله طبعاً بل شرعاً ، وأنّي أشكركم عن نفسي وعن السيد القاضي الطباطبائي وسوف أبلغه عواطفكم الكريمة بنقل كلماتكم إليه حرفياً .

وقد أرسلنا إليكم بالبريد العادي رسالة « المثل العليا في الإسلام لا في بحدون » عرفونا وصولها ؛ وربّما يصادف ورود رسالتنا هذه في أسبوع عيد الفطر إعادته الله عليكم وعلى جميع إخواننا المسلمين ولا سيّما إخواننا في المهجر بالسلامة والعافية والخير والبركة إن شاء الله .

والله يحفظكم ويرعاكم بعنايته وبدعاء الأب الروحي

« محمّد الحسين آل كاشف الغطاء »

(١) حاشي الله .

(٢) سنبدل الجهد في هذا السبيل الخير بين إخواننا هنا أهل البر والمعروف إن شاء الله .
صارمي .

من مدرستنا بالنجف الأشرف ٢٦ رمضان ١٣٧٣ هـ .

أنظر مجلّة (المواهب) عدد ٣ و ٤ السنة العاشرة - ذو القعدة وذو الحجة سنة (١٣٧٣) هـ الصادرة في (بوئنوس ايرس) من الأرجنتين^(١) أميركا الجنوبيّة .

هذا آخر ما وفقنا الله تعالى إليه وأتاح لنا من كتابة تاريخ حياة شيخنا الإمام (ره) على حسب ما سنحت الظروف ووسعت الفرصة .

وراجعنا في تاريخ ترجمته إلى طبقات أعلام الشيعة ، ومجلّة العرفان الأغرّ المجلد (٤٢) العدد الخاص بالعراق وشعراء الغرى المجلد ٨ ، ومقدمة الفردوس الأعلى ، وكلمة المرحوم الشببي في آخر الدعوة الإسلامية وغيرها .

وبعد ذلك نشرع لنقل المقدمة التي كتبها بقلمه الشريف لكتابه « جنة المأوى » وبعدها نشرع لنقل المواد والمطالب التي نالتها أيدينا منها ممّا تيسّر لنا جمعها من المواد التي كان من قصده نقلها وتأليفها في ذلك الأثر الخالد . إن شاء الله تعالى والله الموفق .

محمد علي القاضي الطباطبائي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقَدِّمَةُ الْمُؤَلِّفِ

رَبِّ هَبْ لِي حِكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي
الْآخِرِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ .

ذكرنا في مقدمة (الفردوس) رغبتنا بعد إصداره بأن نشفعه بجزء ثانٍ
يكون عنوانه (جنة المأوى) خاصة بالائمة المعصومين وجدّهم سيّد المرسلين
أو يكون أكثره فيهم ممّا سبق صدوره منّا حسب المناسبات والظروف الخاصّة
والطلبات الملحّة من أرباب الصحف وغيرهم من رؤس الجمعيات والنوادي
والحفلات التي تعقد بمناسبة ولادة أو شهادة ، وأعياد دينيّة أو مذهبيّة كعيد
المولود النبوي أو عيد الغدير أو عيد ولادة الأمير (ع) وما إلى ذلك من
الأفراح والأتراح وفاقاً لقولهم سلام الله عليهم (شيعتنا منّا يفرحون لفرحنا ،
ويحزنون لحزننا) ، وحيث أنّ تلك الآثار التي رشح بها يراعنا قد ذهبت منّا
شعاعاً ولم نحفظها بالأصل ولا بالصحف التي نشرت فيها ، ولم يبق عندنا
إلا أوراق مبعثرة في أماكن متفرقة ، وكنا نحسب موادّه جاهزة لا يعوزها سوى
النظم والترتيب ، واستبان بعد المراجعة أنّ جمعها يحتاج إلى عمل شاقّ
وجهود متبعة وفراغ متّسع ؛ فكيف نتّجه إلى ذلك وقد ضاق وقتنا عن أعمالنا
الضروريّة وأشغالنا اليوميّة من المراجعات وأجوبة الكتب والإستفتاءات
والشفاعات وقضاء الحاجات ، وفصل الخصومات كلّ هذا والأكثر منه يستغرق

ليلي ونهاري ؛ ويستوعب حركة أفلامي وأفكاري ولا يدع لي نصيباً من الراحة لا في قليل ولا في كثير ، فحياتي كلها عناء وإفلاس إلا ما هو وقف على مصالح الناس ، ولكن أتراني مع هذا كله يتبقى لي شيء من الأمل للقيام بذلك العمل أضف إلى ذلك العمر العتي وتراكم العلل ومن ثمّ أوشك أن يستولي اليأس على عزائمتنا المتحجرة فيجعلها كالهباء المنتشر ، وقلت كيف لي وأنى ولا يدرك المرء كلّ ما يتمنى (وكم حسرات في نفوس الكرام) .

ولكنّ السادة الأشراف من أسرة القاضي الطباطبائيين الذين لم تنزل لهم الزعامة الروحانية في عاصمة آذربايجان (تبريز) منذ أكثر من أربعة قرون وما أندر ما يستمرّ العلم والشرف في أسرة تجد كلّ مخائل النجابة في كلّ واحد من أبنائها محتفظة طول تلك المدة بشرف أجدادها وآبائها (من تلق منهم نقل لاقيت سيدهم) .

تبرز في تبريز من هذه الأسرة الجليلة^(١) منذ زهاء خمسة قرون العلماء والقضاة وشيوخ الإسلام ، وكان لهم المقام الرفيع عند سلاطين الصفوية والسفارة إلى ملوك الدول الإسلامية كالحجاز وتركيا وغيرها ، ولبعض الأعلام منهم صلوات وشيخة وعلائق ودّ متينة ومراسلات ثمينة مع جدنا الأعلى كاشف الغطاء وولده جدنا الأقرب موسى بن جعفر كما ألمع إليه في تعليقات (الفردوس) نبغة دوحتهم ونجعة سحابتهم الأخ العزيز العلامة الحجة السيد محمّد علي القاضي دامت بركاته ، وهو أيده الله مع إبني عمه الأماجد الكرام السيد المحترم سيد علي القاضي والسيد الأديب السيد محمّد حسين الطباطبائي أطال الله أعمارهم كما أطاب أعمالهم تقديراً للعلم والمعارف

(١) من أراد الإطلاع على تاريخ أسرتنا وتراجم رجالها فعليه بالرجوع إلى الكتب التي أوعزنا إليها في ذيل صفحة ١٧ من هذا الكتاب وغيرها كتاريخ (عالم آراء) وحبیب السیر وریاض العلماء وروضات الجنان للحفاظ حسين التبريزي المتوفي (٩٩٧) هـ وهذا الكتاب الأخير سيطلع بتصحيح وتعليق صديقنا الفاضل المحقق (آقاميرزا جعفر) سلطان القراني التبريزي إن شاء الله تعالى .

الإسلامية ونظراً إلى تلك المودّة الوراثة (وما في الأباء يسرى إلى الأبناء) بعد أن أنجزوا الطبعة الثانية (للفردوس) (١) بتلك الحلة القشبية وبتلك

(١) لما تم طبع كتاب (الفردوس الأعلى) = الطبعة الثانية = وانتشر في إيران والعراق وغيرها نوه به من العلماء وأرباب الأقسام الزهية في الصحف والمجلات ، وجاء في مجلة (المواهب) لصاحبها الفاضل الصارمي الصادرة في (بوئنوس ايرس) من الأرجنتين (أميركا الجنوبية) ما هذا نصه : (الفردوس الأعلى) = طبعة ثانية = تأليف سماحة الإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء .

كان سبق لنا فنحننا قراء «المواهب» الكرام في عددها ٩ و ١٠ من سنتها الثامنة ، بنشر فصل من «الفردوس الأعلى» - بعض أسرار الحج - لدن إن كان تطول آنذاك مؤلفه البارع الأكرم ياهدائنا نسخة منه ، بعد أن كنا مهدنا له بكلمة عبرت بإيجاز من رأينا الضعيف في «سفر» آية الله المجتهد الأكبر سماحة علامتنا الأجل الإمام حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء مد الله بعمره هدى للمؤمنين ورحمة للعالمين .

هذا السفر الجليل «الفردوس الأعلى» الذي وضعه مؤلفه الأعلّم الأفقه سنة ١٣٧١ هجرية ، على صاحبها وآله الصلاة والسلام في أيدي القارئ وأعين المستبصرين ، سراجاً وهاجاً ، يغوصون به في أعماق بحار العلم والعرفان ، فتستضيء عقولهم وتستتير أفهامهم ومداركهم .

وها إننا الآن ، وقد تشرفنا ثانية بإهداء نسخة جديدة من الطبعة الثانية لهذا الكتاب الشريف ، المزدانة ببعض الزيادات والتفتيحات بقلم سماحة المؤلف ، والمطرزة الحواشي بتعليقات قيمة وضيفة واسعة البيان عظيمة النفع ، بقلم حضرة المجتهد الكبير العلامة المفضل الثقة السيد محمد علي القاضي الطباطبائي التبريزي (إيران) معيد طبعه ونشره بإجازة من جناب المؤلف الكريم عام ١٣٧٢ هـ . ونفعنا الله بعلمهما في الدنيا والآخرة ووفق ملة الإسلام إلى الأخذ بهديهما ورشادهما وتقواهما .

هذه الطبعة الثانية ، الحسنة الوضع ، المتقنة الطبع ، الكريمة الأصل والفرع ، التي يسرنا أن نعود فنعطر أنفاس القراء منها بشذى الفصل التالي (بعض أسرار الصوم) ، والتي أبي العطف وكرم الأخلاق والتبل على ناسج بردتها ، آية الله كاشف الغطاء ، وعلى معيد طبعها ونشرها أستاذنا الجليل القاضي الطباطبائي ، إلا أن يزيد أنابها تشريفاً وتفضلاً وعناية بأن أثبتنا بصدرها ، بعد قدمة الناشر الفاضل ، كلمة «المواهب» بالطبعة الأولى ، كما أثبتنا في كلمتي زميلتنا المجاهدتين في عاصمة الأرجنتين «العلم العربي» و«الرفيق» .

وهذا منهما أيدهما الله ، يد غراء ، وتطول وإحسان وأنعام ، نعود فنكرر عظيم شكرنا لهذه الهدية الثمينة . بل هذه التحفة الفريدة النادرة المثال في زماننا هذا .

ونعود أيضاً فنهنئ رواد العلم بهذا الينبوع الجديد الصافي الذي تفضل به عليهم سماحة الإمام كي ينهلوا من معينه ويعبوا من فيضه قال : الخ . أنظر مجلة «المواهب» عدد (٩) من =

الصورة الفائقة من كل النواحي اقتضى كرم طباعهم وتعشقهم لنشر المعروف والمعارف أن يشفعون المكرمة الأولى بثانية ، فألحوا عليّ بإرسال جزؤات الجزء الثاني (جنة المأوى) للشروع في نشره وطبعه على غرار طبع الجزء الأول ، ولما تظافر الطلب منهم وأنست منهم صدق الرغبة وإخلاص النيّة والقصد لا لشيء سوى وجهه تعالى والنفع العام وخدمة الإسلام ولم أجد بدءاً من الإجابة مهما كلّفني الأمر من المشقة والعناء والتعب والإعياء .

ولكن خطيرات المهالك ضمنت لصاحبها أن الجزء خطير

فاتجهت إلى عيابي وحقائب مهارقي وأوراقى فاستخرجت منها ما لعله يدخل في الموضوع الذي نحاوله ، وأعاني على جمع متفرقاتها بعض السادة الأفاضل المتصلين بنا دام توفيقه ، ثم جعلت لهذه الجنة (ذريعتين) في كل ذريعة وسائل ، ففي الأولى أربعة عشر لكل واحد من المعصومين

= سنتها التاسعة ، رجب ١٣٧٣ هـ ص ٦- ٧ .
 وجاء في مجلة « الغرى » الصادرة في النجف الاشرف لصاحبها العلامة الاستاذ شيخ العراقيين آل كاشف الغطاء = عدد = ١ = من سنتها السابعة عشرة ١٨ رجب سنة : (١٣٧٤) هـ ما هذا لفظه ص ٢٩ :
 الفردوس الأعلى تأليف المغفور له الإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قدس سره لقد طبع هذا الكتاب لأول مرة في مطبعة الحيدرية لصاحبها الأستاذ محمد كاظم الكنتي في النجف سنة ١٣٧١ = ١٩٥٢ م يقع في ٢١٦ ص ولنفاذ الطبعة الأولى وكثرة الطلب من الرواد عليه ، قام سماحة العلامة الشهير السيد محمد علي القاضي الطباطبائي من أشهر العلماء في تبريز تبرعا منه ومن بعض إخوانه المؤمنين من أهل التقوى والصلاح وفقهم الله بخدمة الدين الحنيف فطبع مرة ثانية بمطبعة (رضائي) في تبريز سنة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م يقع في ٣٠٨ ص جميل الطبع صقيل الورق ، وفي مقدمته (بيان) بقلم العلامة السيد محمد علي السالف الذكر ، ذكر فيه آراء العباقرة في الأرجنتين وصحف المهجر والعراق وبقية الممالك العربية وأدبائها حول الكتاب بالإضافة إلى بذل مجهوده في تعليقاته النفسية وشرحه الوافي يدل ذلك على سعة علمه واطلاعه وتتبعاته فنلفت أنظار القراء لاقتنائه . (١ . هـ) .
 وأنظر إلى مجلة : (مسلمين) الصادرة في طهران = عدد (١٠) سنة ١٣٧٥ هـ ص ٢٠ وإلى مجلة : (يغما) الصادرة في طهران = عدد ٧ من سنتها الثامنة سنة ١٣٣٤ هـ ش ص ٣٣٢ .
 وإلى جريدة : (توحيد أنكار) الصادرة في تبريز لصاحبها الدكتور مجتهدى عدد ٧٢ سنة ١٣٧٣ هـ (٨) اسفند ١٢٣٢ هـ ش .

وسيلة^(١) ونشير في كلّ واحدة منها إلى (المعجب) (المعجز) من صاحب تلك الوسيلة ثمّ نذكر ما عثرنا عليه من كلماتنا القديمة بشأن ذلك من ولادته أو شهادته أو غير ذلك .

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

(١) ولكن الموت حجز بين راحلنا العظيم وبين إنجاز تصميمه الفني لهذا الكتاب : « جنة المأوى » . وبما أن مواد الكتاب كانت جاهزة في أوراق معثرة وموارد متعددة أحببنا إبرازها من زاوية الخفاء إلى عالم البروز والنشر ولو بغير ذلك النظم والترتيب الذين كان في نظر الإمام المؤلف . فإن الميسور لا يترك بالمعسور ولأن كل أثر جاد به يراعه الشريف مفيد وكل من يطالع مؤلفات شيخنا الراحل يستفيد فإن نميره عذب سائق للشاربين .

كلمة مجلة "الغري" الصادرة في النجف الأشرف

الإمام المصلح الكبير الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء دام بقاءه أعرف من أن أعرفه إلى العالم البشري عامّة والعالم الاسلامي في آفاق الدنيا خاصّة هو مجموعة كمال حاطت بثّتي العلوم ؛ وقد حاز الأعلميّة التي تستوجب أن تلقى إليه مقاليد العالم الإسلامي في التقليد ، هو مضافاً إلى كل ذلك لقد عرف بجهاده المستميت حول فلسطين المنكوبة ، وإنقاذها من جرائم اليهود التي أخرجتها (إلمانيا) من مملكتها ؛ فأصبحت أيدي سبأ في بقاع الأرض ، كالأنعام بل هم أضل سبيلاً في قيد الأسر والإضطهاد يتطلّبون الصاع فلم يجدوه ، فجمعوا شتاتهم واستعدوا بعدّتهم فكادوا كيدهم وكونوا كيانهم والمسلمون نيام لا يفيقون ولا يفقهون ، فأخرجوهم من أوطانهم وديارهم بعد تشتت كلمتهم وعدم إعتصامهم في مقابلتهم فخلا الجو للصهاينة في الأرض المقدّسة .

ما القدس يحفظ أهله وبها سرى السمّ الأفاعي

فشتوا المسلمين في الأرض أيّما شتات ، ونال الصهاينة بخذلان المسلمين أشنع التجاوزات والتعدّيات ، حيث لم يجدوا في المسلمين فكرة ولا نهضة ولا دفاع .

لا نهضة دينيّة ترجى ولا للحق راعى

ما الأمر إلا غلبة والسيف أحسم للنزاع
قرى على ضيم الهوان وشاطرى ذات القناع
ولم يزل سماحة الإمام يدافع عن فلسطين وأبناء الضاد بقلمه وخطبه
وكتبه في كل حركة أو دعوة يبث بها روح الإصلاح والإعتصام بالوحدة والدلالة
على أهدي السبل الإصلاحية النافعة للمسلمين ولعمامة الحكومات العربية
بندائه وخطبه وآثاره العلمية والأدبية التي ملكت الأسماع والقلوب والصحف
والمجلات الأجنبية والعربية وأنه لفي الطليعة من المجاهدين والعلماء
الأعلام ؛ سرعان ما تتأثر نفوسهم والعالم الإسلامي بأقل رشة من رشحات
قلمه وكلماته الروحية الخالصة لله سبحانه وتعالى لا يرجو منها إلا الأجر
والتواب ؛ والخدمة لدين محمد (ص) وتأييداً لشريعته السمحاء ، فأقرء أيها
القاريء الكريم كلمته التي تفضل بها على مجلة (الغرى) ، بمناسبة المولد
النبي (ص) تجدها حجة ناطقة بصحة ما ذهب إليه ، ولا بد للقاريء أن
يلمس بعد نشرها الأثر العظيم والحركة الإيجابية من المسلمين عامة ومن أبناء
الضاد خاصة (الغرى) (١) .

العدد - ٣ - السنة ١٣٧٣ هـ النجف الأشرف .

(١) « الغرى » مجلة أسبوعية راقية أدبية ثقافية تصدر في النجف الأشرف بالعراق ، وتسعى في
تنوير الأفكار بالأشعة الدينية والعلمية والأدبية وخدمت منذ سنين متطاولة على المجتمع بنشر
العلم والحقائق وبث مزايا الدين الإسلامي ، والسعي في إصلاح التربية الأولية وغرس أصول
الفضائل والأخلاق في نفوس الشبيبة فإن حياة الأمة بصلاح أبنائها وإصلاح نفوس
شبيبتها ، ونحن نقدم الشكر والتقدير إلى صاحبها سماحة العلامة شيخ العراقيين ال كاشف
الغطاء المحترم بما لاقاه في جهاده وجهوده الجبارة في سبيل الإصلاح وخدمة الإنسانية من
المشقات والألام الروحية ونسأل الله تعالى التوفيق له في تلك الخدمات الدينية والاجتماعية
والله الموفق .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المولد النبوي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

صدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ ذرهم يأكلوا ؛ و يتمتعوا ؛ و يلههم الأمل فسوف يعلمون ﴾ (١) .

في هذا الشهر المبارك شهر ربيع الأول الذي قد يطلق عليه شهر النور وشهر المولود المبارك لاتفاق المسلمين على أن أحد أيامه نزلت الرحمة من السماء إلى الأرض ، وانبثق النور الإلهي من الملائكة الأعلى ، أشرفت الدنيا كلها بنور ربها ، وجاء من رب العالمين سيد الأنبياء والمرسلين بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وعلى سطح هذه الكرة حفنة تزعم أنها من البشر وليست هي من البشر ، وتسمي نفسها بالمسلمين وما هي من المسلمين ، تقيم الإحتفالات وتضع المهرجانات تكريماً وتعظيماً لهذا المولود المبارك الذي تقول : إنه نبي الرحمة ، وإن الله أخرجنا به من الظلمات إلى النور ، فيجب علينا إظهار الفرح والسرور وإعادة تلك الذكريات العلية الطيبة .

نعم يحتفل المسلمون بعيد مولد نبيهم الأعظم في هذا الشهر ، ولم يكن شيء من هذه الإحتفالات في القرون الأولى يوم كان الإسلام في أوج

(١) سورة ١٥ آية : ٤ .

عزّه وبرج رفعته وعظّمته ، يوم كان المسلمون يعرفون حقّ المعرفة معنى الإحتفال الصحيح لمولد نبيهم (ص) (١) .

الإحتفال الصحيح الذي يبتهج به النبي (ص) ويسرّه هو الأخذ بتعاليمه وإتباع سنّته والعمل بقرآنه ، الإحتفال الصحيح أن يكون المسلم مسلماً حقيقة ومعنى لا صورة ولفظاً ، وقد جعل سلام الله عليه للمسلم علامات كثيرة أقلّها وأولّها أن يهتم المسلم بأمر المسلمين حيث قال : « من لم يهتمّ بأمر المسلمين فليس من الإسلام بشيء » . وعلى ضوء هذه القاعدة يجب أن نمتحن أنفسنا ونضع في الميزان إسلامنا ، ها هم اليهود في كلّ شهر أو كلّ يوم تشنّ الغارة على قرية من قرى المسلمين في فلسطين تقذفهم بالقنابل الجهنميّة ، وتسفها نسفاً وتذرّها قاعاً صفصفاً ، وتهلك تحت أنقاضها ومبانيها جميع من فيها ، يصنعون بالمسلمين ما لم يصنعه حتّى فرعون مع آبائهم بني إسرائيل ، فإنّه كان يذبح أبنائهم ويستحي نساءهم ، أمّا بنوا إسرائيل اليوم فيذبّحون بالنار والحديد الرجال والنساء والأطفال ، وتكرّر هذه العمليّة منهم في كلّ سنة عدّة مرّات وهم بين سمع المسلمين وبصرهم وبين سبع دول كلّ واحدة تزعم أنّها مسلمة ، وهي مشغولة بنفسها لا يهتمّها من أمر أولئك المساكين مقدار بعوضة ، وهكذا الحال مع المسلمين في المغرب العربي وما تعاني. تونس ، ومراكش ، والجزائر من فرنسا من الشنق والحرق والإعدام لأولئك الأحرار الكرام ، وأعطف بنظرك ثانياً أو ثالثاً إلى المحميات التسع وعدن واسمع إن كنت ذا سمع وبصر ما يصنعه الإستعمار الجبّار في مسلمي تلك الديار من الإستيصال

(١) كان المسلمون في الزمن الغابر جلهم إن لم نقل كلهم آخذون بالحقائق وعاملون بالدين ورافضون التظاهرات والإحتفالات الصورية ولكن اليوم صار الأمر بالعكس لا يعرفون معنى الإحتفال الصحيح كما صدع به شيخنا الإمام (ره) وقد رفضوا الحقائق وأخذوا بالظواهر ، وإنّي أتعجب من بعض الإحتفالات المنعقدة في إيران ولا سيما في بلدنا تبريز حيث يجتمع فيها بعض الأشخاص الذين لا يحضرون في المجالس الدينيّة ولا في المساجد الإسلاميّة طول السنة أصلاً حتّى في الأيام المتبركة والليالي المباركة ولكن في الإحتفالات ومجالس السرور فهم فيها حاضرون وفي الإجماع فيها فرحون ولذا تسمتّر نفسي بالحضور في تلك الإحتفالات فراراً من المجالسة مع هؤلاء الأشخاص الذين لا يعرفون من الدين إلا الحضور في تلك المجالس وأما في سائر الأوقات فهم من أرباب السمر والمجون والملاهي .

والدمار، يقولون: إن عدد المسلمين أجمع على أقلّ تقدير أربعمئة مليون، فلو أن الربع من هؤلاء كانوا مسلمين حقاً وكان فيهم أقلّ علامات المسلم وهي الإهتمام بأمر إخوانهم المسلمين لأنقذوهم من تلك المهالك، ولو أن ما ينفقه المسلمون في هذه الإحتفالات من الأموال، وما يبذلونه في المواليد من مصر وغيرها ليس في مولد النبي (ص) فحسب بل في مواليد مشايخ الطرق: كالبدري، والأحمدي والسوقي وأمثالهم، وما يتفاخرون به من البذخ في السرادق والأضوية الكهربائية والمشروبات الكحولية وغيرها، لو تجمع هذه الأموال وترسل إلى المشردين من عرب فلسطين فتحفظ ما بقي من رمق حياتهم التي أصبحت رهن وطأة الزمهير والمطر الغزير، وتمدّهم بالسلاح والعتاد وتحفزهم إلى الجهاد، أما كان خيراً للمسلمين من تلك الأعمال التي ما كان المسلمون يعرفون شيئاً منها في العصور الأولى، وما تأخر المسلمون واندحروا وأوذّوا إلا من العصر الذي شاعت وانتشرت فيه هذه المحدثات التي أماتت العزائم وسلبت من المسلمين كلّ الحميّة والغيرة، ولو أن ما يبذله العرب بل عموم المسلمين كلّ ليلة على الملاهي وفي المقاهي والخمور والفجور والمقامرات يجمعونه لإنقاذ فلسطين عوض أن تتسرب تلك الأموال إلى جيوب الأجانب والمستعمرين فتعود وبالأعلى علينا وسلاحاً للفتك بنا ولو أن الحكومات العربية بل الدول الإسلامية منعت رعاياها من صرف الأموال في تلك الموبقات، وأنفقتها في تلك المهمّات لحازت الوزن الثقيل بين الأمم وسعدت هي ورعاياها، وأشهد بالله شهادة حقّ لو كان عند المسلمين ذرّة من الغيرة والإسلام بمعناه الصحيح لما صبروا وتطامنوا لهذا الذلّ والصغار وتحمل الخزي والعار، ولما أبقوا على وجه الأرض صهيونياً يذكر نعم وما أصدق قوله سلام الله عليه: ما كره قوم طعم الموت إلا ذلّوا.

وزبدة المختصر والحقّ المحض أنّ البليّة ما أشعل نارها على فلسطين إلا الحكومات العربية، فهي أصل الداء، ويجب أن يكون منها الدواء، ولكنني أخشى أن تأتي هنا كلمة أمير المؤمنين سلام الله عليه لأهل العراق عموماً أو لأهل الكوفة خصوصاً حيث يقول لهم: (أريد أن أتداوى بكم وأنتم

دائي كناقش الشوكة بالشوكة وضلعها معها) ، وإذا لم تبادر الحكومات العربية التي يعبر عنها الصهاينة بالدعائم السبعة المنهارة تارة وبالفئران السبع أخرى ، وأمامها (هرّ) يريد أن يبتلعها ، فإذا لم يحفزها كل هذا التحدي إلى الوثبة وتعجيل الضربة ، وتمادّت على المماطلة والتسويق كرامة لسواد عيون أسيادهم ذوي العيون الزرقاء ، نعم إذا تمادوا في حبال هذا الويال كان لزاماً على الشعوب العربية أن تهض وتشق الطريق بنفسها لتأخذ ثأرها وتغسل عارها ، فأما موة حرّ شريفة او حياة نظيفة :

فأما حياة تبعث الشرق ناهضاً وإمامات وهو ما يقرب الغرب^(١)

وبعد ذلك يحسن منها أن تقيم الإحتفال بالمواليد النبوية والأعياد الإسلامية ، أمّا في هذه الحال فحقّ عليهم إقامة المآتم ، ولبس الحداد والتمائم ، ولا شك أنّ رسول الله (ص) يطل عليكم أيها الناس من سماء عليائه ساخطاً عليكم في هذه الإحتفالات الزائفة التي ما هي إلاّ لهو ولعب ، وتيقنوا أنّكم إذا لم تتداركوا هذا السيل الجارف من البلاء فلا شك أنّ مصيركم جميعاً إلى الفناء ، ولا يبقى للعرب ذكر إلاّ في التاريخ الأسود لا غير ، ونصح فيكم الآية التي إفتتحنا بها كلمتنا هذه : ﴿ ذرهم يأكلوا أو يتمتعوا أو يلههم الأمل فسوف يعلمون ﴾ ، هذا هو الإحتفال الصحيح لعيد المولد النبوي (ص) .

(١) رأيت هذا البيت في ضمن ثلاثة أبيات بخطه قدس سره وهي من أشعاره وأولها :

ولي كل يوم موقف ومقالة * أنادي ليوث العرب ويحكم هبوا ، ثم ذكر البيت المذكور ثم قال : وقفت على إحياء قومي براعتي * وقلبي وهل إلا البراعة والقلب ، كما ذكرناها في المقدمة .

مولد النبي الكريم وبعثته^(١)

وأنت لَمَا ولدت أشرقَت الأر ضُ وضائت بنورك الأفق^(٢)

في أخريات القرن السادس من ميلاد المسيح (ع) كانت الأرض بؤرة فساد وضلالة ، وحمأة طيش وجهالة ؛ من بغى عدوان وعبادة أوثان وحروب طاحنة ؛ وأحقاد ملتبهة وغارات متواصلة ، ليس في ظلمتها المتراكم بعضها على بعض بصيص من نور هدى ولا بارقة أمل في سداد .

لا جرم أن الإنسانية بروحها الطاهرة ونفسها المجردة عن سلطان الهوى والشهوات كانت تعجّ وتضجّ إلى بارئها أن يبرّ بها ويبرئها ويعطف عليها فيبعث

(١) لخص هذا المقال النفيس من كتابه : (الدين والإسلام) الجزء الثالث - المخطوط - المختص بحياة الرسول العظيم (محمد) (ص) وأهل بيته (ع) وأما الجزء الرابع منه فمختص بالتشيع ، وهو من أنفس مؤلفات الإمام الراحل ، ولم يطبع إلى الآن ، وقد طبع منه الجزء الأول والثاني فقط ، وقد نشر هذا المقال في مجلة : (الاعتدال) النجفية في العدد - ٦ - السنة الأولى - لصاحبها الأستاذ الكبير محمد علي البلاغي في سنة : (١٣٥٢ هـ) .

(٢) هذا البيت للعباس عم النبي صلى الله عليه وآله ويعدده قوله :
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق
أنظر الأنوار المحمدية للنبهاني ص ٢٥ ط بيروت .

نقل ابن منظور في لسان العرب البيت الأول ثم قال : يقال ضاعت وأضاءت بمعنى أي استارت وصارت مضية . أنظر اللسان ج ١ ص ١٠٧ ط مصر .

لها من يبلسم^(١) جراحها ، ويصف لها صلاحها ويدلّها على سعادتها الدائمة وحياتها الخالدة ، ويحكم فيها سلطان العدل والعقل فيصلح الفاسد من كلّ نواحيها ، ولا ريب أنّ الربّ - جلّ شأنه - ما خلق الإنسانيّة ليرمي بها في تيار من الشقاء تتقاذف بها أمواجه ، وتترامى بها أعاصيره طول الأبد ، بل خلقها للنعيم والسعادة ، وللهنا والرحمة ونعمة الخلود في الأبدية هنالك حيث الحرّة^(٢) السوداء والجبال الجرداء والحجارة الخشنة والعرصات القاحلة والرمال الملتهبة ، هناك حيث لا زرع ولا ضلوع ولا شجرا ولا نضراء ، هناك بين أطواد تهامة وجبال فاران وربوات حوريث وساعير ، هناك من جوامع الجبروت وصوامع الملكوت وغيب الغيوب وسرّ الهويّة الاحديّة وأعماق الابديّة وأمواج العناية الازليّة ، هناك في غسق الليالي المدلهمة وحناس الجهل والجاهليّة هناك في الوسط الذي أماته الجهل وأعياء الهوى وسخره سلطان الشهوات واستحكمت فيه غرائز الرذيلة .

هناك انبثق بركان^(٣) من النور الإلهي والقبس الربوبي فبزغت أنوار شمس المحمّديّة (ص) وهبت في الأكوان نسمات البشري بحامل مشعل السعادة الأبدية .

ها إن محمّد (ص) (ولذكره المجد والشرف) قد وجد وولد ونمي ونشأ يمثل روح الأخلاق الفاضلة في أبان صباه ، وريعان شببته وفي جميع أطواره وأدواره منيعاً وديعاً ، أميناً رزيناً ، عفيفاً شريفاً ، فكوراً وقوراً ، قويّ الإرادة عظيم الهمة ، فحل العزيمة ، دقيق الإحساس رقيق العواطف ، رحيم القلب حلیم النفس ، جميل الصورة حسن السيرة ، مغناطيس النفوس محبوب القلوب ما كذب قطّ ولا خان ولا مان ، ولا مكر ولا غدر ، ولا سجد لصنم ولا انثنى لوثن كلّ ذلك وما إليها من السجايا الغالية والمزايا الباهرة والمعارف السامية كانت طباعاً لا تطابعاً ومواهب لا مكاسب ، من غير معلّم ولا مرشد ،

(١) البلسم : مادة صمغية تضمّد بها الجراحات .

(٢) الحرّة : الأرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار .

(٣) البركان : جبل النار ، أنظر المنجد ص ٣٣ ط ٩ .

ولا مربّب ولا مدرّب ، ولا مدرسة ولا مدرّس ، ولا مطالعة كتب ولا مراجعة صحف وكأنّه قبل أن يتجاوز شعوب مكّة قد عرف كلّ الشعوب وخبر أحوال الأمم وسبر طبقات البشر . ودرس نفسيات الخلائق وقلوبها بحثاً وعلماً فعلم ما هي أدواء البشريّة وما عللها وامراضها ، وما هو دوائها وعلاجها وما هو السبيل إلى رحمة تلك الانسانيّة المعذّبة وتخليصها من قديم شقائها ومزمن دائها .

ثمّ أنّ محمداً (خلد الله شريعته وأعلى كلمته) عندما بلغ أشدّه واستوى جدّه وشاع في أحياء العرب أريج ذكره ، واستبحر في الأرض خليج فخره ، وبدا للحاضر والبادي عظيم شأنه ورفيع شأوه ، ووقف قومه على منيع مقامه وبازخ أعلامه حتى إذا قرب من الأربعين طفق يطلب الخلوة لنفسه ويعتزل عن أبناء جنسه وصار يترهب تلك الرهبانيّة الصحيحة التي لا تتجفّ بواجب شيء من النفس أو البدن ، بل تعطي كلا من التكميل قسطه وتوفي بحسبه شرطه ، وتستوفي حظوظها منه على مدرجة الصواب وأحسن الانتخاب والإستقامة على حد المركز والوسط والإعتدال بين الأطراف من غير ميل ولا انحراف ، وهذه أوّل ترشيحة الوحي وترشحة للنبوّة ، وتأهل البعثة وتسديد من الغيب فجعل ينقطع ويتجرّد ويروح إلى معلّمه الروح المجرد^(١) ويقيم خارج البلد في شعب

(١) قال أمير المؤمنين سلام الله عليه في خطبته المباركة المعروفة بالقاصعة :

(ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن إن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره . ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالإقتداء به . ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري . ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة ، واشم ريح النبوّة) .

مجاورة رسول الله (ص) في شعب حراء مدة من كل سنة وبعد انصرافه منه كان يأتي إلى الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعمائة ثم يرجع إلى بيته مشهور مسلم في كتب الشيعة والسنة كفاك في ذلك كلام الإمام أمير المؤمنين (ع) كما سمعت وكان الإمام (ع) صاحبه في حراء وهو يراه ولا يراه غيره فإنه (ع) كان مصاحباً لرسول الله (ص) منذ صغره لا يفارقه لا في بيته ولا في حراء وأدبه رسول الله (ص) بأدبه وعلمه وعلومه وفي السنة التي أكرمه الله تعالى فيها بالرسالة جاور رسول الله (ص) في حراء شهر رمضان ومعه أمير المؤمنين (ع) فجاءه جبرئيل بالرسالة وسمع الامام (ع) رنة الشيطان حين نزل الوحي على رسول الله (ص) انظر إلى الخطبة (القاصعة) . *

(حراء) يتحرى مهبّ نفحات العناية من بين وارداته القلبية ، و يترقب خلع التشريف والكرامة من متحف الربوبية ويطالع أسرار الملك والملوك ممّا رقمه قلم الأزل على صحيفة نفسه القدسيّة ، ويتأهب للهبّة بما تفرسه حدسه وحدثه نفسه ؛ وتقدّمت له دلائله ، وهفتت فيه بشائره من تشريفه بتلك المنزلة الشريفة ، وتعيّنه لهاتيك الوظيفة ، وبعثه بتلك المصلحة العامّة والمسألة الهامّة البالغة أقصى مبالغ الصعوبة والحاجة والكلفة والمشقّة ودفعه إلى تقحّم ذلك المأزق المتلاحم والمتهجم على غيوم ذلك البلاء المتراكم ، ولكن - على قدر أهل العزم تأتي العزائم - وعند العظيم تصغر العظام ، فأول ما كان له من طلائع النبوة وقدامى الوحي والبعثة وقوع الرؤيا الصادقة منه التي تجيء كفلق الصبح له ، ثمّ تعقّب ذلك سماع الصوت دون معاينة الشخص قائلاً له غير مرّة : يا محمّد إنّك رسول الله ، فكانت تأخذه عند ذلك من الوحشة والدهشة ، واللذة المشوبة بالعجب والأنس المشتبك بالغرابة حال يقصر أبلغ يراع بليغ عن تصويرها ، ويكلّ لسان كلّ مثل عن تمثيلها ، وكان لتلك الحال روعة تدفع لجسمه الشريف مثل الهزة والفزة^(١) ويصبيه الأفكل والرعدة كدأب المبتهج المستبشر .

نعم ثمّ تدرّج الوحي إليه على مقتضيات الحكمة ، إذ التعاليم ثمة وإن كانت إلهيّة ولكن لها على قداستها وجهة بشريّة ، فلا جرم ترد متدرجة حسب القوابل ومقتضيات الأساليب والعوامل ، فتجلّى له الملاك بالوحي المبين ، والكلام الصادر بألفاظه ومعانيه ، ومقاصده ومبانيه من مصدر الناحية الربوبية والمعمل الإلهي والعلم غير المتناهي ، قائلاً له - وهي أول سورة نزلت عليه من ذلك الكتاب المقدّس والطاراز الأنفس - ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علم الإنسان ما لم

= وحرّاء بكسر الحاء والتخفيف والمدجبل على ثلاثة أميال من شمال مكة وفي أعلاه غار كان رسول الله (ص) قبل البعثة يتخلّى للعبادة في ذلك الغار وكان يصوم ويصلي ويشغل للعبادة فيه وكان تعبه على وفق شريعة نفسه دون شريعة من تقدمه زماناً من الأنبياء (ع) وعليه إجماع الإمامية كما صرح به الأكابر من علمائهم ومذهبهم هو الاستفادة من الكتاب والسنة .
(١) طير فؤاده وأفرغه وأزعجه .

يعلم ﴿١﴾ ، فقرأها وانصرف عنه ثم جاء بعدها بسورة الفاتحة ، ثم انقطع الوحي زماناً ولكن إرفاقاً به وإشفاقاً عليه ، فما أحسبك إلا خبيراً بأن قوى البشرية والأخلاق العنصرية وكل ما عملته أو عملت فيه الطبيعة والمادة يضعف ويكَلِّ ويتأثر وينفعل عند هجوم ما فوق الطبيعة عليها من مشاهدة تلك الأرواح المقدسة والأنوار القاهرة التي هي من عالم الملكوت وصقع الجبروت ، وهذا أمر ضروري محسوس في كيان الطبيعة وبيئة المادة وخليّة العناصر ، فإنك لو حبست طفلاً في مختبأ من الأرض حتى اكتملت فطرته وتمّ تمييزه وعقله . ثم أخرجته فجأة إلى هذا العالم المحسوس فوقع بصره دفعة على شموسه المتألقة ، أجوائه المتسعة ، وأشجاره المتسقة ، وأنهاره المتدفقة إلى غير ذلك من غرائب الصنع وعجائب الإبداع لما شككت أنه ينشق قلبه وينذهل لبّه ، ويأخذه مثل الأدوار والدهشة والإنبهار والهزة والرعدة ، وتأتي الصدمة على عقله ، والصككة^(٢) على جسمه والضغط على فؤاده وقلبه ، ولا شك أن عالم الغيب من عالم الشهادة على تلك النسبة بل وبأضعافها المتضاعفة فما ظنك بهذا الجسد البشري المؤلف من تلك المواد العنصرية السريع الانحلال والإنفعال الضعيف التأليف ؛ وزد عليه الملاك من العوالم الملكوتية ، أو تحل لمن له قبس من سذق^(٣) إليها كل الجبروتية ، كيف تتلاشى عناصره وتتفرق أجزائه وتثور إلى الأثير دقائقه إلا بماسك من يد القدرة التي لا تغلب والقوة التي لا تعجز عن شيء ولا تنكب .

ألا فبعين عناية الله جسد محمد (ص) (ألا فسلام الله على جسمه المقدس وروحه المجرد) ألا لأجرم لو عرضته عند نزول الوحي عليه تلك الهزة والفزة ولا غرو لو اتقدت الحرارة الغريزة في تامور صدره حتى يتغير لها وجهه ويضطرب بدنه ، وتنتقل الرطوبات الداخلية وترشح على سطح بشرته فيتجلله

(١) سورة ٩٦ آية : ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ .

(٢) أي الأضطراب .

(٣) السذق : ليلة الوقود وهي ليلة مشهورة عند الفرس فارسي معرب .

العرق ويأخذه شبه الحياء والفرق^(١)؛ ثم إذا سرى عنه سكنت الحرارة، وقبل الجسم الهواء اللطيف من خارج فيبرد المزاج وتأخذه مثل القشعريرة والنفضة الباردة، لمباغته البرودة للحرارة دفاعاً، فيأتي إلى مرقده الشريف ويقول: زملوني أو دثروني، فترد عليه ثيابه، وتجمع فوقه غطائه ليتسخن ويستريح ويأمن، ففي إحدى ضجعاته ما أهاب به الوحي قائلاً: ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر، وربك فكبر وثيابك فطهر، والرجز فأهجر، ولا تمنن تستكثر﴾^(٢)! ..

(١) أي الفزع .

(٢) سورة ٧٤ آية ٢-٣-٤-٥-٦-٧ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هل كان النبي محمد صلى الله عليه وآله أمياً؟

بعد رفع آيات التعظيم :

نرفع السؤال الآتي إلى سماحة الإمام كاشف الغطاء دام ظله ، ونرجو أن تفضلوا بالجواب الذي سينور لنا سبيل الحقّ الذي قد يكون لنا الحكم الوحيد بذلك

نحن صاحبي التوقيع ، الأول منا يؤيد أن نبينا المحبوب محمد (ص) ليس بأمي وإنما يقرء ويكتب بلغات كثيرة .

بينما أن الآخر يؤيد أنه صلوات الله عليه أمي لا يعرف من القراءة والكتابة شيئاً مذكوراً عليه ، أرجو أن تنازلوا بحلّ هذه القضية ولا زلتم ملجأ لحلّ أمورنا ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الكوت ١١ شوال ١٣٥٠

صاحباً التوقيع الأول عبد الجبار حاج نجم الشمخاني ، الثاني : نجم آل عبد الله .

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد والمجد .

الجواب : عن سؤالكما أنّ كلّ منكما قد وصل إلى طرف من الحقيقة وأصاب جانباً من الصواب ، أمّا القائل أنّ النبي ﷺ كان أمياً فقد أصاب ولكن

بمعنى أنه ما يقرأ ويكتب لا أنه لا يعرف القراءة والكتابة وكونه أمياً بهذا المعنى ، أي عدم تعاطيه للقراءة والكتابة عليه إجماع المسلمين ومنصوص عليه في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذا لارتاب المبطلون ﴾^(١) ولكن لم يثبت من الاجماع لا من الكتاب أنه لم يكن يعرف الكتابة والقراءة بحيث يكون فاقداً لهذا الكمال ، ومن هنا تبين أن الأول يقول أنه ليس بأميّ ان أراد أنه يعرفها فهو مصيب ، وان أراد أنه كتب وقرأ فهو مخطيء ومخالف لنص الآية المتقدمة .

والخلاصة أن النبي (ص) كان حائزاً لكمال الكتابة والقراءة من حيث الملكة والقدرة لأن النبي (ص) يلزم أن يكون متصفاً لجميع صفات الكمالات بل يلزم أن يكون أكمل أهل زمانه ، ولا ريب أن الكتابة والقراءة كمال وفقداهما نقص ، ولكن مصلحة التبليغ ورعاية الإعجاز في محيطه وزمانه إقتضت حسب الحكمة أن لا يتعاطاهما تكميلاً للمعجزة ، وهذه هي الحقيقة الناصعة ، والسلام عليكم .

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

(١) سورة ٢٩ آية ٤٨ .

خاطب الله نبيه (ص) وقال : وما كنت تتلو من قبله من كتاب أي وما كنت تقرأ قبل القرآن كتاباً والمعنى انك لم تحسن القراءة قبل ان يوحي إليك القرآن ولا تخطه يمينك معناه وما كنت ايضاً تكتبه بيدك إذا لارتاب المبطلون أي ولو كنت تقرأ كتاباً او تكتبه لوجد المبطلون طريقاً إلى اكتساب الشك في امرك والقاء الريبة لضعفة الناس في نبوتك ولقالوا إنما تقرأ علينا ما جمعته من كتب الأولين فلما ساويتهم في المولد والمنشأ ثم أتيت بما عجزوا عنه وجب أن يعلموا أنه من عند الله تعالى وليس من عندك إذا لم تجر العادة أن ينشأ الإنسان بين قوم يشاهدون أحواله من عند صغره إلى كبره ويروونه في حضره وسفره لا يتعلم شيئاً من غيره ثم يأتي من عنده بشيء يعجز الكل عنه وعن بعضه ويقرأ عليهم أقاصيص الأولين . أنظر مجمع البيان ج ٤ ص ٢٨٧ ط صيدا .

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد بعد السلام عليكم والدعاء لكم

وردنا كتابكم تذكرون فيه أنكم قد حصل عندكم تحاور وتساؤل حول أمية النبي (ص) وقد تكرر السؤال^(١) علينا عن هذا الموضوع وكنا قد أجبنا عنه بجواب شاع على الألسن وتداوله أهل العلم ، وهو أنّ النبي (ص) ما كان فاقداً لملكة القراءة والكتابة حتى يكون نقصاً فيه ، وإنما اميته أنه كانت النبوة في تلك الظروف الخاصة إقتضت أن لا يستعملها ، وإليه تشير الآية الشريفة وهي قوله تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ﴾^(٢) .

هذا مختصر الجواب الذي سبق منا من عهد بعيد ، أما الآن فعندنا جواب لعله أحق وأدق وأولى بالقبول وهو أنّ الكمالات البشرية جسمانية أو

(١) كان من عادة الإمام كاشف الغطاء رحمه الله أنه لا يحتفظ في أجوبة المسائل التي ترده من مختلف الأقطار وشتى الأشخاص والأصناف إلا التزير منها وقد وجد في خزانة أوراقه خمسة أسئلة عن أمية الرسول محمد (ص) من عدة أشخاص ولم يوجد معها الجواب ، وقد وجد أيضاً هذا الجواب من دون السؤال ، ونعتقد أنه رحمه الله أجاب على السؤال في ذيله وأرسله معاً .

(٢) سورة ٢٩ آية : ٤٨ .

روحية إنما هي كمال نظراً إلى حصول الغاية التي ترتب عليه - وهي رؤية الأشياء - والعمى نقص نظراً إلى عدم حصول الرؤية فيه ، فلو أن شخصاً يرى الأشياء من دون حاجة إلى العين ، فهل عدم العين نقص فيه في حال أنه يرى الأشياء أحسن مما يراه صاحب العين فالقراءة والكتابة كمالهما بالنظر إلى معرفة الأشياء والإطلاع على مقاصد الغير أو إبلاغ مقاصده إلى الغير ، فلو أن شخصاً يبلغ مقاصده إلى الناس من غير حاجة إلى الكتابة ، فهل هذا نقص فيه أو هو كمال بل هو فوق الكمال ؟ وهذه هي صفة النبي (ص) في أميته ، وهذا جواب مبتكر لم يسبق إليه أحد وهو عين الحقيقة والواقع هذا ودمتم موفقين بدعاء .

محمد الحسين كاشف الغطاء

صدر من مدرستنا العلمية في النجف ٢٤ ربيع الأول ١٣٧٣ هـ .

هل القرآن أفضل من محمد ^ص أم محمد أفضل ؟

حضرة العلامة حجة الإسلام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء دام ظلّه بعد تقبيل أياديكم الطاهرة ، ان الحب الذي أكنه لهذا الدين الحنيف وما أضمره من حبّ وولاء لآل البيت (ع) هذه الأسباب أدت بي إلى التجاسر بين سماحتكم والتطرّق إلى أمور أنا لست من أهلها ، ولكن النبيّ (ص) قال : سل عن أمور دينك حتى يقال لك مجنون ، فأرجو أن يتفضّل سماحتكم بالإجابة على سؤالني : هل القرآن أفضل من محمد (ص) أم محمد أفضل من القرآن ، وكيف ذلك ! وإذا كان محمد أفضل من القرآن فهل أنّ عليّاً (ع) أفضل من القرآن ؟ وما هو الدليل على ذلك ؟ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

علي عبد عون القطبي

الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم

بمقتضى الحديث المشهور والمتفق عليه عند الفريقين وهو قول النبيّ (ص) : إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، مقتضاه تساوي القرآن والعترّة ، ويؤيد ذلك أنّ عليّاً

(ع) هو الكتاب الناطق والقرآن هو الكتاب الصامت وكلّ منهما محتاج إلى الآخر ، فالإمام يفسّر القرآن ويوضح ما أشكل منه ، فالقرآن محتاج إلى الإمام والإمام محتاج إلى القرآن ، لأنّه يشتمل على أحكام الله ونواميسه وشرائعه ، فكلّ منهما محتاج إلى الآخر ، والنبّيّ وعليّ صلوات الله عليهما نور واحد وما يجري لأحدهما يجري على الآخر عدا النبوة . وإعلم أنّ السؤال عن الأفضليّة هنا هو من مقام الفضول ، لا يجوز عند ذوي العقول ، ولا يسأل العبد عنها يوم القيامة ، وما كلّنا الله سبحانه وتعالى بها ولا يعاقبنا على عدم معرفتها^(١) وإنما كلّنا العبادات : الصلاة ، والصوم وغيرهما ، وهي التي

(١) وقد جاء في الأثر استكثروا عما سكت الله عنه .

نظراً إلى ذكر حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين في جواب الشيخ الإمام (ره) نذكر هنا ما ذكره السيد الرضي (ره) في كتابه : (المجازات النبوية) حول هذا الحديث الشريف قال ، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في الكلام الذي تكلم به يوم الغدير وأسئلكم : « عن ثقلي كيف خلفتموني فيهما فقليل له : وما الثقلان يا رسول الله ؟ فقال الأكبر منهما كتاب الله سبب طرف منه بيد الله وطرف بأيديكم » هذه رواية زيد بن أرقم ، وفي رواية أبي سعيد الخدري : « جبل ممدود من السماء إلى الأرض ، والأصغر منهما عترتي أهل بيتي ، إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض » . وفي رواية أخرى : « جبلان ممدودان من السماء إلى الأرض » ، فإن الكلام يعود على الثقلين . وهذه إستعارة لأنه عليه الصلاة والسلام شبه كتاب الله بالجبل الممدود بين الله وبين خلقه يعصم منهم من اعتصم به ، ويستنقذ من المهاوي والمعاطب من اعتلق بطرفه ، وليس هناك يد على الحقيقة تعصم المتعلق بها وتستشيل المتورط ، وإنما ذلك على التمثيل والتشبيه ، لأن المستنقذ من الورطة والمنهض من السقطة في الأكثر إنما يجتذب بيده ويستعين بسببه فأخرج عليه الصلاة والسلام كلامه على العرف والمعروف والأمر بالمعروف . ومن روى جبلان ممدودان وأراد بأحد الجبلين العترة فالمعنى أنه عليه الصلاة والسلام أقام عترته مقام الجبل الممدود الذي يكون عصمة المستعصم ونجاة المستسلم كما قلنا في القرآن . وهذا الخبر بتمامه هو خبر يوم الغدير الذي يقول فيه صلى الله عليه وآله : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وآل من وآله وعاد من عاداه وأخذل من أخذله وأنصر من نصره . . . - إلى أن ذكر رحمه الله - وفي هذا الخبر أيضاً مجاز وذلك تسميته عليه الصلاة والسلام الكتاب والعترة بالثقلين ، وواحدتهما ثقل ، وهو متاع المسافر الذي يصحبه إذا رحل ويسترفق به إذا نزل فأقام عليه الصلاة والسلام الكتاب والعترة مقام رفيقه في السفر ورفاقه في الحضر وجعلهما بمنزلة المتاع الذي يخلفه بعد وفاته فلذلك احتاج إلى أن يوصي بحفظه ومراعاته : وقال بعض العلماء إنما سميا ثقلين لأن الأخذ بهما ثقل ، وقال بعضهم : إنما سميا بذلك لأنهما العدتان اللتان يعول في الدين عليهما ويقوم أمر العالم بهما ، ومنه قيل للأنس والجن ثقلان =

يعاقبنا على الجهل بها ، وهي التي يلزمك أن تسأل عن أحكامها وفروعها فاللازم عليك أن لا تسأل عن مثل تلك الأسئلة التي لا فائدة فيها ولا طائل تحتها ؛ إذا سئلت فقل لكلّ فضل . وعلم الأفضليّة عند الله ، وهذه من أحسن النصائح لك ، ولم يثبت هذا من قول النبي (ص) سل عن أمور دينك ألخ - وهذه الأسئلة ليست من أمور الدين ولا من أصول الدين ولا من فروعها ، فافهم وفقك الله بدعاء .

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

= لأنهما اللذان يعمران الأرض ويثقلانها .

أنظر « المجازات النبوية » ص ١٦٦ ط مصر .

ما معنى قول النبي "ص" رأيت رؤس المؤمنين^ع إذا فاظت نفسي؟

وأجاب عن سؤال : ورد في الحديث عن النبي (ص) قال : يا عليّ إذا فاظت نفسي^(١) فتناولها بيدك وامسح بها وجهك ، فإلى أيّ نفس كان يشير ؟ .

(١) ثبت في كتب التواريخ والسير ولاسيما سيرة رسول الله (ص) أنه لما قرب وفاته (ص) وحان خروج نفسه المقدسة قال لأمير المؤمنين (ع) : ضع يا علي رأسك في حجرك فقد جاء أمر الله فإذا فاظت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك ثم وجهني إلى القبلة وتول أمري وصل عليّ أول الناس ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي واستعن بالله تعالى ، فأخذ علي رأسه فوضعه في حجره . قال الشيخ المفيد (ره) ثم قبض صلى الله عليه وآله وسلم يد أمير المؤمنين (ع) اليمنى تحت حنكه ففاظت نفسه فيها فرفعها إلى وجهه فمسحه بها ثم وجهه وغمضه ومد عليه أزاره واشتغل بالنظر في أمره (أ.ه) .

قال أمير المؤمنين (ع) في خطبته الشريفة في نهج البلاغة : « ولقد قبض رسول الله (ص) وأن رأسه لعلى صدري ولقد سألت نفسه في كفي فأمرتها على وجهي » .

قال ابن أبي الحديد السني المعتزلي في شرح النهج يقال : إن رسول الله (ص) فاء دماً يسيراً وقت موته وإن علياً (ع) مسح بذلك الدم وجهه .

وقال ابن ميثم البحراني (ره) في شرحه أراد بنفسه دمه ثم ذكر ما نقلناه عن ابن أبي الحديد وتبعهما المفتي الشيخ محمد عبده المصري في شرحه أيضاً فراجع .

أقول فيء رسول الله (ص) دماً يسيراً وقت موته لم يثبت صحته ولم يصرح به الأكثر في سيرة رسول الله (ص) ولعل منشأ هذا النقل هو حمل لفظ « نفس » على معنى الدم ولذا قال الشارح =

الجواب

فاعلم أنه قد ورد في الأخبار المعتبرة أن كميلاً وهو من خواص أصحاب

الخوئي (ره) ؛ والأظهر عندي أن يراد بالنفس نفسه الناطق القدسية التي هي مبدء الفكر والذكر والعلم والحلم والنباهة ولها خاصية الحكمة والنزاهة فيكون محصل المراد بالكلام أن روحه الطيبة الكاملة التي هي المصدق الحقيقي لقوله : قل الروح من أمر ربي والمقصود الأصلي بقوله : ونفخت فيه من روحي ، لما فارقت جسده الطاهر فاضت بيدي فمسحت بها على وجهي ولعل هذا أمر مراد من قال أن المراد بسيلان النفس هبوب النفس عند انقطاع الأنفاس هذا وإنما مسح بها وجهه إما تيمناً أو لحكمة عظيمة لا نعرفها (أ.هـ) .

ثم على تقدير صحة ما سمعت من شرح نهج البلاغة : « أن رسول الله (ص) جاء دماً يسيراً وقت موته وأن علياً (ع) مسح بذلك الدم وجهه » يشكل الأمر من جهة نجاسة الدم ظاهراً مطلقاً في الشريعة الإسلامية ولذا قال ابن ميثم البحراني (ره) في شرحه : ولا يتنافى ذلك نجاسة الدم لجواز أن يخصص دم الرسول (ص) كما روى أن أبا طيبة الحجام شرب دمه حين حجمه فقال (ص) إذا لا ينجع بطنك (أ.هـ) وفيه أن مسح أمير المؤمنين (ع) بذلك الدم وجهه لا يتنافى نجاسة الدم مطلقاً فإن تنجيس البدن والوجه لا دليل على عدم جوازه وقال الشارح الخوئي (ره) أما طهارة دم النبي (ص) فلا ريب فيها ويشهد بها آية التطهير (أ.هـ) .

الحكم في مسألة الدم مطلقاً بحسب ظواهر الأدلة الفقهية هو النجاسة فإن الأدلة الشرعية دالة على أن الدم مطلقاً نجس وعمل بتلك الأدلة الشيعة والسنة ودم المعصوم (ص) داخل في جملة الدماء فيكون من جزئيات تلك المسألة ومن صغريات تلك الكبرى الكلية . والنبي (ص) والأئمة (ع) كانوا مواظبين لحفظ ظواهر الشرع والعمل بأحكام الإسلام والنبي (ص) هو المشرع الأول والمحافظ على العمل بجميع أحكام الشريعة التي اتانا بها من الله تعالى ولا يصدر منه أية مخالفة للشرع الذي جاء به من جانب الله وأما ما ذكره ابن ميثم البحراني (ره) من جواز أن يخصص دم الرسول (ص) فهو مجرد احتمال لا دليل عليه . وأما آية التطهير كما أشار إليه الشارح الخوئي (ره) فلا دلالة فيها على نفي النجاسات الظاهرية فإن مصبها نفي الأرجاس الباطنية من الذنب والسهو والنسيان والخطأ والجهل وغيرها .

فالقول بأن حكم الدم مطلقاً في شريعة الإسلام هو النجاسة ظاهراً مما لا محيص من المصير إليه وينبغي أن يقال أن اللازم على جميع المسلمين بحسب شرع الإسلام المقدس وفي رأسهم النبي (ص) نفسه ثم الإمام (ع) بعده الإلتزام بجميع أحكامه والعمل بها فكيف يصدر من النبي (ص) أو الإمام (ع) المخالفة عليها وأما حقيقة المسألة في الباطن فهل دم المعصوم (ع) طاهر أو نجس واقعا؟ فلا ينبغي لنا التكلم فيها أصلاً لخروجها عن مورد ابتلائنا في هذه الأزمنة وعدم كونها من الاعتقادات أو الفروع فلو حضر المعصوم (ع) واتفق لنا الملاقاة بدمه الشريف ففي ذلك اليوم هو حاضر يسأل عن حكم المسألة باطنا فلا فائدة في إصرار جمع =

أمير المؤمنين سلام الله عليه قال : سيدي أريد أن تعرّفني نفسي فقال : يا كميل عن أيّ نفس تسأل ؟ فقال : يا مولاي وهل هي إلاّ نفس واحدة ؟ فقال يا كميل إنّما هي أربع : النامية النباتية ، والحسيّة الحيوانية والناطقة القدسيّة^(١) والإلهيّة الملكوتيّة^(٢) ثمّ ذكر له خواص كلّ نفس في بيان وافي ، ولا ريب أنّ لكلّ واحدة من هذه النفوس مراتب ودرجات ، وإنّ النباتية والحيوانية تضمحلّ وتفنى بموت الإنسان وإنّما يبقى الناطقة القدسية الموجودة في عامّة البشر ، وأدناها ما يقارب نفس البهائم : ﴿ إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً ﴾^(٣) ، وأعلى ما يتصل بنفوس الملائكة وهي أوّل مراحل النفس الإلهية الملكوتيّة ، وأعلىها روح القدس المتّصلة بمبدأها الأعلى وهي أرواح الأنبياء والأئمة (ع) التي إتّصلت به وما أنفصلت عنه ، وتتصل بهذه الأبدان البشريّة للتبليغ والهداية مدّة ثمّ تنفصل عنها وهي في جميع أحوالها لا تنفك متعلقة بحظيرة القدس وسدرة المنتهى ، وفي دعاء الناحية المقدّسة من أدعية رجب ؛ لا فرق بينك وبينها إلاّ أنّهم عبادك وخلقتك ، وهي العقل الأوّل الكلّي وأوّل ما خلق الله الذي به يثيب وبه يعاقب ، وهو الحقيقة المحمّديّة^(٤) التي تحمّل

من الناس من أصحاب الوسواس الذين صاروا سبباً للتفرقة بين الشيعة بإبداء الآراء السخيفة والعقائد الباطلة على التكلم في حكم دم الإمام (ع) أو بوله وتجوالهم في ميادين هذه المسائل الخارجة من ابتلائنا في هذا الزمان . وقد تسببت هذه الفرقة بأن ابتلى مجتمعنا المذهبي سنين متمادية بالبحث والتكلم حول أمثال هذه المسائل الواهية نسأل الله أن يهديهم إلى سواء السبيل .

- (١) يعبر علماء النفس عن هذه النفس بالشعور أو الوعي .
(٢) يعبر عنها بـ (أنا) العالم النفسي فرويد ، ويعبر عنها بعض علماء النفس (فوق الشعور) وفوق الشعور مرتبط باللاشعور .
(٣) سورة ٢٥ آية : ٤٧ .

(٤) وبمناسبة ذكر شيخنا الإمام (ره) (الحقيقة المحمدية) في كلامه يجدر بنا أن نذكر فيما يلي من هفوات بعض من صدر منه الآراء السخيفة وادعي أنّ كل أسماء الله تعالى وصفات الله العليا لا يجوز إطلاقها على الله تعالى لا حقيقة ولا مجازاً ولا يقع عليه تعالى إسم ولا صفة فإن كل الأسماء والصفات والعبادات والأذكار والخطابات ألفاظ ومخلوقات وحادثات ، والحادثات غير مربوطة بالواجب تعالى ، ولا يمكن أن يكون المرجع للحادث هو الواجب فإن تعلق الحادث إلى ذات الله تعالى وارتباطهما لا يعقل فلا بد من ربطه إلى حادث مثله وذلك الحادث من فعل الله تعالى فيكون هو معنى هذه الألفاظ من الأسماء الحسنى والصفات العليا وتلك الألفاظ دالة =

الرسالة العظمى وزعامة الأنبياء الكبيرة والسيادة على كل ما خلق الله ؛ لما انفصلت من بدنه العنصري الشريف أمر خليفته أن يتحملها بأمر الله ويتوجه إليها ويمسح بها وجهه كناية عن قبولها والتبرك بها كما يمسخ الإنسان وجهه بالأشياء المقدسة من القرآن أو التربة ، وكان النور واحداً من بدء الخليقة

= على ذلك المعنى الحادث وهو مدلولها وذلك المعنى المدلول هو الحقيقة المحمدية ونورانية محمد وآل محمد (ص) وقال ما هذا لفظه : (وحيث لا يمكن أن يدعي بذاته لعدم إمكان ذلك تعين أن يدعى بالأسماء الحسنى فانحصرت العبادة التي هي فعل ما يرضى والعبودية التي هي رضى ما يفعل فيهم عليهم السلام وبهم لأن التقديس والتحميد والتكبير والتهليل والخضوع والخشوع والركوع والسجود وجميع الطاعات وأنواع العبادت وكذلك العبودية كل ذلك أسماء ومعانيها تلك الذوات المقدسة والحقايق الإلهية التي خلقها الله لنفسه وخلق خلقه لها وهي أسمائه الحسنى ومثاله العليا ونعمه التي لا تحصى وهي التي اختص بها وأمر عباده أن يدعوه بها قال تعالى والله الأسماء الحسنى فأدعوه بها (أ.هـ) .

وله أمثال هذه الكلمات السخيفة كثيرة وما ذكرناه هو ملخص مقصوده المفضى إلى الهلكة الهلكاء والشقة السوداء واساس هذه العقيدة وامثالها مأخوذة من التعاليم الباطنية وتعاليمهم غير مأخوذة من التعاليم الاسلامية .

ومن أفحش أغلاط هذه العقيدة الباطلة هو نسبة الشرك والكفر - العياذ بالله - إلى خاتم الانبياء (ص) واوصيائه المعصومين (ع) فإن على هذا المسلك يلزم ان يكون خطابات رسول الله (ص) وكذا الأئمة (ع) في صلواتهم وادعيتهم وجميع عباداتهم راجعة إلى نفوسهم المقدسة ويكون قول رسول الله (ص) في صلواته : « اياك نعبد » راجعاً إلى قوله : « اياي أعبد » وكذا سائر الاسماء والصفات التي كانوا يدعون الله تعالى بها راجعة إلى نفوسهم الشريفة فكانوا - العياذ بالله - يدعون الناس إلى العبادة بانفسهم المقدسة .

ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله (سورة ٣ آية : ٧٤) .

والقائل بهذه العقيدة الفاسدة لما لم يقدر على تصحيح مسألة كيفية ربط الحادث بالقديم ولم يتحققها بالبحث والتحليل العلمي الصحيح ولذا تورط في المسالك والمهالك الوعرة والغيايب المدهشة والمطالب المطرودة وأما معتقده كما ذكرناه إجمالاً فهو من أفحش الأباطيل والأضاليل وأغلاطه أكثر من أن يذكر ويدل على بطلانه وجوه كثيرة لا مجال لذكرها في المقام وقد ذكرها على نحو التحقيق المجتهد الكبير السيد إسماعيل النوري الطبري (ره) في كتابه كفاية الموحدين في المجلد الأول .

وأما ما ورد في بعض الأخبار عن الأئمة الأطهار(ع) نحن الأسماء الحسنى أو نحن الصلاة في كتاب الله أو نحن وجه الله أو في بعض الزيارات : السلام على إسم الله الرضي ونظائر هذه الكلمات فهي كلها من المجازات والكنائيات أو إشارة إلى معاني أخرى صحيحة وليس المراد منها تلك الخزعبلات كما هو مذكور في المطولات .

وقبلها في الأزل ؛ لم يزل ينتقل في الأصلاب الطاهرة والأرحام المطهرة إلى أن وصل عبد المطلب فانشطر شطرين : شطر لعبد الله ، والآخر لأبي طالب ، فكان الأوّل رسول الله والثاني أمير المؤمنين ، وبوفاة رسول الله رجع النور واحداً في عليّ (ع) كان هذا مختصر ما يمكن أن يقال في هذا المجال ، هنا أسرار إلهية ، وحقائق عرفانية لا يتسع المقام للكشف عنها ، وفيما ذكرناه كفاية إن شاء الله تعالى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الامام كاشف الغطاء
ليلة ولادة أمير المؤمنين سلام الله عليه

” ١٣ رجب ١٣٦٨ هـ في حسينية مملته باب السيف ” بشار“

ربّ إشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، وأحلل عقدة من لساني
يفقهوا قولي . (١)

يعزّ عليّ أيها الأعزة أن أحل مجلسي لانتهاز هذه الفرصة الثمينة وإلقاء
ما يناسب هذه الليلة المباركة ، وهذا الحفل الكريم ، مع أنّي في دور النقاهاة
منهوك القوى ، خافت الصوت ، رهين العلة والمعالجة ، ومن يقول عن مقال
له تواضعاً هذا جهد المقلّ أو هذه نفثة مصدر ، فأنا أقول حقاً لا تنازلاً
والبيان أصدق شاهد على ذلك .

نعم نبديء كلمتنا متفائلين بقوله تعالى : ﴿ فإذا استويت أنت ومن معك
على الفلك ؛ فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ؛ وقل رب أنزلني
منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين ﴾ (٢) وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها
إنّ ربي لغفور رحيم ﴾ (٣) هذه السفينة في الزمن الأوّل والعهود المتوغلة في
القدم أوّل مركب نجى به جميع من على وجه الأرض من المؤمنين

(١) سورة ٢٠ آية : ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ .

(٢) سورة ٢٣ آية : ٣٠ - ٣١ .

(٣) سورة ١١ آية : ٤٤ .

المستضعفين ، تخلصوا من سطوة الغاشمين ، وسيطرة الظالمين ، بعد الجهود الطائفة ، وإتمام الحجّة من شيخ الأنبياء زهاء ألف سنة ، وبعد أن عامت السفينة في أمواج الطوفان الذي غمر هذه الكرة بأجمعها سنة كاملة ، قيل : ﴿ يا نوح أهبط بسلام منا وبركت عليك وعلى أمم ممن معك ﴾ (١) نعم هذه السفينة هي السفينة التي شبه رسول الله (ص) أهل بيته بها في الحديث المشهور بين الفريقين : أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجي ، ومن تخلف عنها هلك وهوى .

ومن يتدبّر حال العصور التي قبل الإسلام وما كان العالم فيه لا جزيرة العرب فقط ، بل حتّى الدول العظمى في تلك القرون من الفرس والروم ، من يتدبر ما كانت فيه تلك الأمم من الجهل والجور والإستبداد يعرف طوفان البلاء الذي غمر الدنيا يوم ذاك ، ويعرف شدّة الحاجة إلى من ينقذ ذلك الخلق البائس من تلك الغمرات ، فبعث العناية الأزليّة المنقذ الأعظم حبيبه محمّداً (ص) ولكن قبل أن يتم رسالته ، وينقذ عموم البشر من ذلك الشرّ الذي توغلّ في النفوس واستفحل من عهد قديم قضت الحكمة الغامضة أن يعود إلى الملكوت الأعلى الذي جاء منه ، وإكمالاً للرسالة ، وإبلاغاً للغاية أشار إلى من يتمّ به الغرض ، وتقوم به الحجّة ، فقال قبل رحلته بقليل : إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وبهذا إتجه أن يصدع الوحي بقوله تعالى ؛ ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ﴾ (٢) وجد نبيّ الرحمة عند قرب رحيله أنّ العالم لا يزال بعد مغموراً بطوفان الجهالة ؛ والضلالة لا تزال مستحكمة ، وأنّه لا بد لهذا الطوفان من سفينة تنجي من أراد النجاة ؛ فقال : أهل بيتي هم السفينة . وفي دعاء شعبان : اللهم صلّ على محمّد وآله الفلك الجارية في اللجج الغامرة ، يأمن من ركبها ويغرق من تركها بيد أنّ سفينة نوح ما نجت من الطوفان ورست على الجودي إلاّ بمحمّد

(١) سورة ١١ - آية : ٥١ .

(٢) سورة ٥ آية : ٦٠ .

وآله كما أشار إلى ذلك العباس بن عبد المطلب^(١) في مقطوعة تنسب إليه
يمدح ابن أخيه ﷺ فيقول :

من قبلها طبت في الظلال وفي مستخصف حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لأبشر أنت ، ولا نطفة ولا علق
بل ملك تنقذ السفين وقد ألحم نوحاً وقومه الغرق

صانع السفينة الأولى شيخ المرسلين ؛ وواضع السفينة الثانية سيّد المرسلين ،
السفينة الأولى خشب يجري على الماء ، والسفينة الثانية نور هبط على
الأرض من السماء ، وأضعها محمّد (ص) وربّانها ومسيرها أخوه وصنوه
وصهره الإمام الذي احتفلت هذه الجمعية جمعيّة المقاصد الخيريّة العراقيّة
بذكرى ولادته في هذه الليلة المباركة ؛ ﴿ أنا أنزلناه في ليلة مباركة ، أنا كنا
منذرين ﴾^(٢) .

ولا نستطيع في مقامنا هذا أن نأتي على اليسير من فضائل هذا الإمام
العظيم فضلاً عن الكثير ، ومن ذا يقدر على إحصاء نجوم السماء من مناقبه
من شجاعته وبلاغته وزهده وسوابقه في الإسلام ، التي هي كلمات الله ،
﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما
نفذت كلمات الله ﴾^(٣) ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ
كلمات ربي ﴾^(٤) .

(١) عباس بن عبد المطلب عم رسول الله (ص) سيد من سادات أصحابه وأصحاب أمير المؤمنين
(ص) ولد قبل عام الفيل بثلاث سنين على قول الواقدي وقال ابن حجر في الإصابة : ولد
قبل رسول الله (ص) بستين .

كان طويلاً جميلاً أبيض مات سنة اثنتين وثلاثين .

أنظر تنقيح المقال ج ٢ ص ١٢١ ط النجف . والإصابة ج ٢ ص ٢٦٣ ط مصر .

(٢) سورة ٤٤ آية : ٣ .

(٣) سورة ٣١ آية : ٢٧ .

(٤) سورة ١٨ آية : ١١٠ .

إنما المناسب في المقام هو التعرّض لولادته في هذه الليلة المباركة
وإنما نتعرّض لشأن واحد من شؤون ولادته سلام الله عليه ، وهو ولادته في
الكعبة على أشهر الروايات^(١) ، ولعلّ غيرها من مدسوسات النواصب الذين
يريدون أن يسترُوا ضوء الشمس بأكفهم وولادته في الكعبة طفحت بها الكتب
ونظمتها الشعراء حديثاً وقديماً وآخرهم عبد الباقي الشهير^(٢) في مستهل
قصيدة له :

أنت العلي الذي فوق العلي رفعا بطن مكة وسط البيت قد وضعنا
وهي منقبة لم يشاركه فيها أحد في الإسلام ، وقد ذكروا أنّ مريم لما
جاءها المخاض بعيسى (ع) آوت إلى بيت المقدس لتضعه فيه ، فنوديت
أخرجي يا مريم فهذا بيت العبادة لا بيت الولادة ، وفاطمة بنت أسد لما

(١) قال الحاكم في «المستدرک» ٣ : ٤٨٣ : وقد تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة .

وقال أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي الشهير بشاه ولي الله والد عبد العزيز الدهلوي مصنف
(التحفة الأثني عشرية في الرد على الشيعة) في كتابه : إزالة الخفاء :

تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علياً في جوف الكعبة فإنه ولد في يوم
الجمعة ثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة في الكعبة ولم يولد فيها أحد سواه
قبله ولا بعده .

(٢) عبد الباقي بن سليمان بن احمد العمري الفاروقي شاعر كبير ومؤرخ ولد بالموصل في بيت
علم وادب سنة : (١٢٠٤) هـ وانتقل إلى بغداد فاستمر فيها إلى ان توفي (١٢٧٨) هـ ق
وله اشعار وقصائد في مدح أهل البيت وبيت الوحي (ع) ولا سيما امير المؤمنين (ع) .

وفي بعض النسخ : المصراع الأخير كما يلي :

« بطن مكة عند البيت أذ وضعنا »

قال شهاب الدين الألوسي صاحب التفسير الكبير في « سرح الخريدة الغيبية في شرح القصيدة
العينية » عند شرح البيت المذكور ما هذا لفظه :

« وكون الأمير كرم الله وجهه ولد في البيت أمر مشهور في الدنيا وذكر في كتب الفريقين السنة
والشيعة - إلى ان قال - ولم يشتهر وضع غيره كرم الله وجهه كما اشتهر وضعه بل لم تنفق
الكلمة عليه ، وما أحرى بامام الأئمة ان يكون وضعه فيما هو قبلة للمؤمنين ؟ وسبحان من
وضع الأشياء في مواضعها وهو احكم الحاكمين . انظر ص ١٥ وانظر الاعلام للزركلي ج ٣
ص ٤٧٤ وريحانة الأدب ج ٣ ص ١٧٦ .

أحسّت بالطلق وهي في الكعبة إنسدت أبوابها ولم تقدر على الخروج حتى وضعت علياً سلام الله عليه . لعلّ في هذه الحادثة الغريبة أسراراً ورموزاً أجلاً وأجلاًها أنّ الله سبحانه كأنه يقول : أيتها الكعبة إنّي سأطهرك من رجس الأوثان ، والأنصاب والأزلام بهذا المولود فيك ، وهكذا كان فإنّ النبيّ (ص) دخلها عام الفتح والأصنام معلقة على جدرانها ولكلّ قبيلة من قبائل العرب صنم ، فأصعد علياً (ع) على منكبها وصار يحطمها ويرمي بها إلى الأرض ؛ والنبيّ (ص) يقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً ﴾^(١) وقد نظم الشافعي هذه الفضيحة بأبيات تنسب له ؛ يقول في آخرها :

وعليّ واضع أقدامه في محلّ وضع الله يده^(٢)

فإنّ النبيّ (ص) كان يحدث عن المعراج قائلاً : إنّ الله عزّ شأنه وضع يده غلى كتفي حتى أحسست بردها على كبدي .

وفي ولادته رمز آخر لعلّه أدقّ وأعمق : وهو أنّ حقيقة التوجّه إلى الكعبة هو التوجّه إلى ذلك النور المتولّد فيها ، ولو أنّ القصد مقصور على محض التوجّه إلى تلك البنية وتلك الأحجار لكان أيضاً نوعاً من عبادة الأصنام (معاذ الله) ولكن التناسب يقضي بأنّ البدن وهو تراب يتوجّه إلى الكعبة التي هي تراب ؛ والروح التي هي جوهر^(٣) مجرد تتوجّه إلى النور المجرد ، وكلّ جنس

(١) سورة ١٧ آية : ٨٤ .

(٢) أنظر إلى الإرشاد للدليمي (ره) ج ٢ ص ٢٥ ط النجف ولكنه نسبه إلى بعض الشعراء ولم يسمه . وذكر في أشعاره قبل هذا البيت ما أشار إليه شيخنا الإمام (ره) بقوله : « إنّ النبيّ (ص) كان يحدث عن المعراج الخ » .

(٣) الجوهر على خمسة أقسام : لأنه أما محل فهو الهيولي وأما حال فهو الصورة وأما مركب منهما فهو الجسم وأما أن يتعلق البدن تعلق التدبير والتصرف فهو النفس (الروح) وإلا فهو العقل . والعرض منحصر في المقولات التسع على المشهور :

الأول : الكم وهو الذي يقبل القسمة لذاته كالجسم والسطح والخط وهو قسمان : متصلة إن كان بين الأجزاء حد مشترك كالنقطة . ومنفصلة إن لم يكن بين أجزائه حد مشترك كالعدد ، والمتصلة أما قار الذات فكالخط والسطح والنخن أي الجسم التعليمي . وأما غير قار الذات فهو الزمان فإنه كم متصل بذاته وإن عرض له العدد فيصير كمّاً منفصلاً بالعرض من حيث انه قد يقسم إلى ساعات وأيام وشهور واعوام .

لاحق بجنسه : النور للنور ، والتراب للتراب وإلى بعض هذا أشار بعض شعراء الفاطميين^(١) إذ يقول عن الإمام :

بشر في العين إلا أنه من طريق العقل نور وهدى
جل أن تدركه أبصارنا وتعالى أن نراه جسدا
فهو في التسبيح زلفى راعع سمع الله به من حمدا
تدرك الأفكار منه جوهرًا كاد من إجلاله أن يعبدا
فهو الكعبة والوجه الذي وحد الله به من وحدا

الثاني : الكيف وهو عرض لا يقتضي لذاته قسمة ولا نسبة كالوان والرطوبة والبرودة والحرارة =
والكيفيات الاستعدادية والكيفيات النفسانية كالعلم والقدرة والحدة والشجاعة ونظائرها .

الثالث : الإضافة وهي نسبة معقولة بالقياس إلى نسبة أخرى معقولة بالقياس إلى الأولى ونفس الإضافة تسمى مضافاً حقيقياً والمجموع المركب منهما وهو ما يعرضه الإضافة مضافاً مشهورياً والنسبة المتكررة كالأبوة والبنوة .

الرابع : الأين وهو كون الشيء في الحيز وأنواعه أربعة الحركة والسكون والإجماع والإفتراق .

الخامس : المتى وهو النسبة إلى الزمان وهو كونه فيه .

السادس : الوضع وهو هيئة تعرض للجسم كالقيام والقعود .

السابع : الملك وتسمى الجدة كالتمعم والتقمص والتنعل .

الثامن : الفعل كالمقطع ما دام يقطع .

التاسع : الإنفعال كالنسخن والتسود .

(١) الخلفاء الفاطميون يقال لهم : العبيديون أيضاً ، صارت السلطة والسلطنة بعنوان الخلافة لهم في مصر ونواحيها من سنة - ٢٩٦ - إلى - ٥٦٧ وعدهم أربعة عشر نفساً ، وهم من السادات الأشراف والمحققون متفقون على انهم من السادات العلويين ولا شك في انتسابهم إلى اهل البيت (ع) وانكار نسبهم كما صدر عن بعض المؤرخين ناش من التعصب البغيض - خذ اول صفحة (٤) ط مصر - من تاريخ الخلفاء للسيوطي فإنك ترى من آثار العداوة والبغضاء والحكم بالكفر والإلحاد في حق الخلفاء الفاطميين شيئاً عجيباً وذنبهم في هذا التحامل عليهم من خصمائهم ليس إلا كونهم من الشيعة والأزهر الشريف من آثارهم ، ومن صدق بالحق ودافع عنهم كالمقرزي يرمونه بأعدائهم بالكلمات الخاطئة وبالبهتان والإفراء وبكل أفكحة .

وسياتي في كلمات شيخنا الإمام (ره) الدفاع عن الفاطميين . وانظر أيضاً لمزيد البصيرة في =

وهذان السطران من الشعرَ إن كان فيه شيء من الغلوّ ففيه كثير من الحقيقة ، وفيه لمعات من التوحيد ، نعم نتوجّه بأبداننا في صلواتنا إلى الكعبة وبأرواحنا إلى النور الذي أشرق وأضاء فيها ، نتوجّه إليه فنجعله الوسيلة إلى الله كما قال عزّ شأنه ﴿ إتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ نتوجّه إليه كي يوجّهنا الخير والسداد ، فالتوجّه منّا إليه والتوجيه منه لنا .

نعم كتاب الله والعترة سفن النجاة والعروة الوثقى التي لا انفصام لها ولا يضل ولا يزل من تمسّك بها ، ولكن ليس التمسّك قول باللسان ، وثرثرة^(١) بالألفاظ ، التمسّك عقيدة راسخة ، وأعمال صحيحة بنية خالصة ، وقلب طاهر سليم ، وأخلاق فاضلة التي هي روح الدين وجوهر الإسلام والتي طفح^(٢) بها الكتاب والسنة ، ولكن أين نحن من مراحل هذه الفضائل والأخذ بهذه الوسائل ، أبهذا التفسّخ الأخلاقي والتفكك الاجتماعي ، ونبذنا الكتاب والسنة وراء ظهورنا ، نريد أن نعدّ أنفسنا من المسلمين ، وبالعروة الوثقى متمسكين ، كلاً وكلاً لو كان لنا من الإسلام ذرواً^(٣) وذرةً لما سقطنا هذا السقوط الشائن ولما فشلنا هذا الفشل المخزي .

إمتحت (فلسطين) بمحنة الصهيونية منذ أربعين سنة ، وما زالت تتقدّم والعرب والإسلام تتأخّر . وقد اقتحمت معاركها الأولى ولم أزل منذ عشرين سنة أقرع المنابر وأقرع الأسماع بالخطب النارية ؛ وأنشر المقالات الملتهبة في الصحف وغيرها وأهيب بالمسلمين وأدعوهم إلى الوحدة وجمع الكلمة ، وإنّ الإسلام بني على دعامتين (كلمة التوحيد ، وتوحيد الكلمة) وأصرخ صرخات الداوية أن يصلحوا الوضع بينهم لإنقاذ فلسطين الدامية وكنت من زمن بعيد أبتّ شجواي في أبيات منها :

= حقهم إلى مقدمة : « تبين المعاني في شرح ديوان ابن هاني » الأندلسي المغربي للدكتور زاهد علي الهندي ط مصر سنة ١٣٥٧ هـ .

(١) ثرثرثرة (الشيء : بدده - الكلام : كثرة في تردد وتخليط .

(٢) طفح الإناء : إمتلاء وفاض . الإناء ملئه (لازم متعد) .

(٣) ذرا يذرو ذرواً (الريح التراب : إطارته وفرقته - الحنطة : نقاها في الريح .

نهضت فقيل فتى فلما
 وإني بعد مجهدة وقومي
 وحيد بينهم ولعل يوماً
 لنا في الشرق أوطان ولكن
 نقيم بها على فقر وذل
 مواعيد السياسة بينات
 وعود كلها كذب وزور
 إذا ما الملك شيد على خداع
 إذا لم تبتن ملكاً صحيحاً
 خبرت القوم طاب لي القعود
 كضاربة وقد برد الحديد
 عصياً فيه يفتقد الوحيد
 تضيق بنا كما ضاقت لحود
 ونظماً لا يساغ لنا ورود
 تكيد بها السياسة من تكيد
 فكم وإلى مَ تخدعنا الوعود
 فلا يبقى الخداع ولا المشيد
 فلا تغني الجيوش ولا البنود^(١)

ومن هذه الشعلة ثلاثة أبيات ذكرتها في مقدمة الجزء الأول من مؤلفنا
 (الدين والإسلام) الذي طبع في مطبعة العرفان قبل ٣٨ سنة وهي :

فلا طلعت عليّ الشمس يوماً
 أموت وقد بلوت النفس جهداً
 كذلك فلتكن للعرب نفس
 إذا عن مجد قومي لا أذود
 كما تحمي عرينها الأسود
 وإلا ما الحياة وما الوجود^(٢)

نعم كنا نعترّ بذكر العرب ونرتاح بالإنساب إليهم ، ثم دارت رحى
 الزمان فصرنا نخجل من ذكر العرب والعروبة وما يشتق منها ، ونودّ لو كنا من
 الخزر والبربر ولم نكن من هذه الأمة ، وانطبق علينا تماماً قول القائل :

ورثنا المجد عن آباء صدق
 إذا الحسب الرفيع تواكلته
 أسأنا في ديارهم الصنيعا
 بناء السوء أو شك أن يضيعا

(١) نقلنا هذه الأشعار من خطه قدس سره في المقدمة ص ٤٤ وفيها زيادة وتغيير في بعض الألفاظ
 ولعله غيرها هنا نظراً إلى بعض المناسبات المقامية .

(٢) أنظر الجزء الأول من « الدين والإسلام » ص ١٣ ط صيدا ولكن البيت الثاني فيه كما يلي :

أموت وقد بلوت النفس دفعاً
 كما تحمي مواطنها الأسود

فلسطين قلب البلاد العربيّة تحقيقاً ، تحفّ بها كالهالة ، مصر وبلاد
المغرب ، وسوريا ولبنان ، والعراق ، والأردن ، والحجاز ، وأقطار الجزيرة
فإذا هلك القلب فما حال بقية الأعضاء ؟ ولا شكّ أنّ الوضع إذا بقي على
هذا فلنا فلسطينات أخرى في زمن قريب (لا سمح الله) ألا يخطر على بالكم
قول الشاعر الفردوسي العربي حيث يقول :

حَتّوا رواحلكم يا أهل أندلس ليس البقاء بها إلّا من الغلط
من جاور الشرّ لا يأمن من عواقبه كيف الحياة مع الحيات في سفظ
العقد يبتترّ من أطرافه وأرى عقد الجزيرة مبتوراً من الوسط

مصيبة المسلمين عظيمة ، وأعظم منها أنّ المصائب من شأنها أن تنبه
الشعور ، وتعطي لأهلها دروساً وعبرة ، وتجمع الشمل وتوحد الكلمة ، أمّا
مصيبتنا بفلسطين فما صنعت شيئاً من ذلك ، وتلقاها زعماء العرب وقادتها
الذين ذبحت فلسطين على مذبح مطامعهم الدنيّة وجشعهم^(١) الخبيث ، نعم
تلقوها ، برحابة صدر ، وبرودة دم وما كفاهم ذلك حتى مكّنوا اليهود طابعين
من البقية الباقية من أراضي فلسطين التي يسكنها الألوّف من عرب المسلمين
وجعلوهم عبيد اليهود ، يعطون ﴿ الجزيرة عن يد وهم صاغرون ﴾^(٢) وكانت
أهالي فلسطين تأمل من ملوك العرب نصرهم ، ويا ليتهم كفّوها شرّهم ولم
يكونوا سمسارة^(٣) للمستعمرين ؛ ومنفذين لإرادتهم ، وسوف يعلمون كيف
تدور الدائرة عليهم ، ﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف
يعلمون ﴾^(٤) .

نعم كلّ ما أصابنا إنّما هو من محاربتنا للدين ونبد القرآن ، وترك العمل

(١) جشع حرص وطمع أشد الحرص وأسوأ الطمع .

(٢) سورة ٩ آية : ٣٠ .

(٣) السمسار المتوسط بين البائع والشاري والسعي للواحد منهما في استجلاب الآخر . مالك

الشيء وقيمه . سمسار الأرض : العالم بها . جمع سمسارة .

(٤) سورة ١٥ آية : ٤ .

بتعاليم الإسلام ، وما أفسد هذا الشباب الخليع المستهتر إلا هذه المدارس التي جعلت الدين فيها قشر الألب فيه . وجسداً لا روح له^(١) ولكن قد أحييت الأمل ما بشرني به معالي الوزير النجيب الراوي^(٢) حفظه الله من أنه جعل في المدارس قريباً للدين والقرآن درجة وإمتحاناً ، ينتخب المعلمين من ذوي الثقافة الدينية والعفة والأمانة وفقه الله لهذه الخدمة الجليلة ، وأنه الجدير بمثلها ولا ترتجى إلا من مثله ، أيها المسلمون عودوا إلى ما كان عليه أسلافكم تعد لكم عزتكم ، أكرموا القرآن بالعمل به كي يعيد لكم كرامتكم ، أترجون صلاحاً أو إصلاحاً من هذا الشباب الواهن المنجرف في تيار شهواته ، وقد فسد المعلمون والمتعلمون فإننا لله وإنا إليه راجعون ؛ ضاع الرعييل وقائده .

أصل بليتنا معاشر المسلمين هو الإستعمار ، وكل رزية وبلية

(١) هذه المدارس الرسمية للشباب في الشرق سواء كانت في العراق أو في إيران أو غيرهما من الممالك الشرقية . فاقدة للفضائل كلها فإن الروح الغربي نفذت في جسدها وسلبت منها كل الفضائل الإنسانية والكمالات النفسانية والتعاليم الدينية الروحية وقد جاءت روح الغربي بالتوحش باسم التمدن فنزعت كل الفضائل منا . قال شيخنا الإمام (ره) في الجزء الأول من كتابه : « الدين والإسلام » ما هذا لفظه :

نفذت الروح الغربية في جسد الشرق وجسم العالم الإسلامي فانزعت منه كل عاطفة شريفة وإحساس روحي وشرف ومعنوي ومجد باذخ واستقلال ذاتي - إلى أن قال - تسمع بالمسلم الشرقي الذي يلهج بالمحاماة والذب عن الدين الإسلامي والتناصر له فإذا وقع بصرك عليه وجدته غريباً من قرنه إلى قدمه غربي الاهواء غربي الازياء غربي الاميال ، غربي الشكل ، غربي اللباس غربي الظاهر كله ، (والله اعلم بالباطن) غريباً في كل شيء وليس عليه من اثر الاسلام شيء تقليداً اعمى ، وجهلاً مطبقاً ، واعجاباً بزخارف الدنيا وسفاسف الامور ، واغترار بالعرضيات عن الحقائق والجوهريات (ا هـ) .

ولذلك ليس في أكثر المعلمين وغيرهم في هذه المدارس في الشرق حفظ مجدهم وشرفهم الديني والوطني وحفاظة الإستقلال الذاتي وإنما همهم واهتمامهم على أخذ الرواتب من وزارة المعارف وتحصيل الدرهم والدينار من أي طريق حصل وأي سبيل وصل ولا اهتمام لهم لتربية الشباب بالتعاليم الروحية والآداب الدينية ولا نتيجة لهذا الطريق الذي سلكوا إلا الفوضى وجر الشباب إلى الشيوعية الحمراء أو السوداء .

(٢) يقصد معالي نجيب الراوي الإبن الثاني للشيخ إبراهيم الراوي وكان معاليه حين ذاك وزيراً للمعارف في العراق سابقاً .

فالإستعمار أصلها وفرعها ومنبعها ومطلعها . وما جرّ علينا بلاء الإستعمار
ومكّنهم من نفوسنا وأموالنا وأولادنا وأخلاقنا وتقاليدنا إلّا زعمائنا وقادتنا^(١) .

وملوكننا قد أسلمونا للعدى لله درّ ملوكننا ما تصنع

* * *

وما أفسد الإسلام إلّا عصابة تأمرّ نوكاها^(٢) ودام نعيمها

* * *

وأضحت قناة الدين في كفّ فاجر أقيم لإصلاح الورى وهو فاسد

* * *

وهل يستقيم الظل والعود أعوج يقولون بالزبيبة عود

أما قضيتنا ففي الزبيبة عمود^(٣) كلّ أحد يراه ويشكوبته إلى الله .

لمثل هذا يذوب القلب من أسف لو كان في القلب إسلام وإيمان

أيها المسلمون إحتفظوا أولادكم من هذا الشرّ المستطير والداء الذي
يفسد دينهم ودنياهم ، أنشؤا لهم مدارس أهليّة مثقفة ثقافة دينيّة تتلائم مع
روح العصر ، واستحضروا لهم معلّمين من أهل الصلاح والفضيلة ، فإنّ أهمّ
واجب على المدارس الأهليّة أو الحكوميّة جعل الدروس الدينيّة في الدرجة
الأولى من الأهميّة ، وتجعل إمتحاناً وشهادة ولا يتسنى للأهلين إنشاء
المدارس الكافية للتعليم إلّا بتشكيل الجمعيات الخيريّة المخلصة كي تتعاون
على هذه الأعمال الجليلة ، والمشاريع الحيويّة ، وهذه (جمعيّة المقاصد
الإسلاميّة الخيريّة) بادرة خير من أهالي الكرخ وهي بذرة صالحة يرجى
بتوفيقه تعالى وهمّة المؤسسين لها ومعاونة إخوانهم لهم أن تنمو نماء حسناً ،
وتثمر ثمراً جنيّاً يجدون فيه الهدى والهناء ، والخير والبركة في أنفسهم

(١) هم السبب الوحيد على فساد أخلاق الناس وسوقهم إلى التوحش والهمجية ونعم ما قيل :

وما أفسد الناس إلا الملوك وأحبار دين ورهبانها
(٢) أي حمقاها .

(٣) ولا يخفى لطفه .

وأولادهم وأموالهم ، ومن المعلوم أنّ الجمعيّات مثل كلّ كائن يحتاج في نموّه وبقائه إلى غذاء ، وغذائه المال ، فلا تنهّاونوا في التعاون والمساعدة كلّ حسب إمكانيه ومقدوره ، القليل من الكثير كثير فتعاونوا واجتمعوا فإنّ يد الله مع الجماعة والاجتماع خير وبركة .

وإخر وصيتي ونصيحتي أقولها بدءً وعوداً ولا أخص بها المسلمين بل أقول : أيّها البشر عليكم بالقرآن^(١) ففيه سلامتكم بل سعادتكم ، ولو عمل

(١) أعلم أيّها القاريء الكريم إني حينما كنت أكتب هذه الكلمات المتوقّدة من كلمات شيخنا الإمام الراحل (ره) للمطبعة وقد اشتهر في الدنيا أنّ الدولة الإيرانيّة اعترفت بإسرائيل - الصهيونيّة الشريرة - وإنّ فضيلة العلامة الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ جامع الأزهر الشريف استنكر ذلك وشكى من هذا العمل المنكر بريقاً إلى سماحة إمام الشيعة آية الله العظمى السيد محسن الطباطبائي الحكيم في جامعة النجف الأشرف بالعراق وبادر سيدنا الإمام الحكيم إلى إبلاغ الإستنكار الشديد إلى المسؤولين في إيران بواسطة السيد محمد البهبهاني في طهران فأحببت أن أثبت هنا استنكار سيدنا الإمام المرجع الأعلى إلى فضيلة شيخ جامع الأزهر فأليك نص كلماتهم فيما يلي :

إلى . . . البهبهاني دامت بركاته - طهران .

إنّ بناء اعتراف إيران بإسرائيل أحدث ضجة عظيمة في المسلمين واستنكاراً شديداً في أوساطهم فالمأمول نصح المسؤولين بالمحافظة على واجبهم الإسلامي ورعاية شعور المسلمين والله سبحانه الموفق المعين .

محسن الطباطبائي الحكيم

ملخص جواب السيد محمد البهبهاني :

النجف الأشرف . سماحة حجة الإسلام آية الله السيد محسن الحكيم دام ظلّه العالی وصلت بريقتكم الكريمة وأعلمنا صاحب الجلالة الشاهنشاهي بما تضمنته البرقية فأجاب بعدم صدور أي شيء من الحكومة الإيرانيّة يدل على الاعتراف بحكومة إسرائيل وكما أنّ الحكومة الإيرانيّة ليست بصدد ذلك في المستقبل وإنّ صاحب الجلالة حريص على حفظ مصالح المسلمين في جميع أقطار العالم . وسوف تجدون تفصيل ذلك في جواب العلامة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت في الصحف الرسميّة وغيرها التي تنشر في طهران دام ظلّمك العالی متع الله المسلمين بطول بقائكم .

الاحقر محمد الموسوي البهبهاني عفى عنه

برقية امام الشيعة الحكيم إلى فضيلة شيخ جامع الازهر :

فضيلة العلامة الجليل الشيخ محمود شلتوت شيخ جامع الازهر - القاهرة .

تلقينا بريقتكم الكريمة تستنكرون فيها اعتراف إيران بإسرائيل فشكرنا لكم اهتمامكم بأمر =

الناس به أخذت الدول بتعاليمه لاستراحت البشرية من هذا التكالب والتحارب ، وعرف كلّ حدّه وحقّه ، القرآن القرآن يجعلوه الجامعة العربيّة والوحدة الإسلاميّة ، وتجنّبوا الخلافات المذهبيّة ، والخصومات الطائفيّة ، وليعمل كلّ على مذهبه في فروعه بغير جدال ولا خصومة ؛ وأقصى الآمال والأمني أن تتوحّد الحكومة والأمة فتكون الحكومة كأب بارّ بالرعيّة ، والرعيّة كأبناء في معاونة الحكومة كي يسعد الجميع ويكون العراق كما يقال عن جمهوريّة أفلاطون والمدينة الفاضلة للفارابي ، وأهمّ ما يجب على المراجع المسؤولة إنتخاب الموظفين المهذّين الذين لا يقطعون الصلة بين الحكومة

= المسلمین وحرصکم على تقوية الرابطة الإسلامية بينهم وإنما منذ بلغنا بناء الإعتراف بادرنا إلى إبلاغ استنكارنا الشديد إلى المسؤولين في إيران بواسطة بعض إخواننا العلماء في طهران وأوضحنا لهم خطورة الموقف واستياء الأمة الإسلامية ونصحنا لهم بالإحتفاظ بواجبهم الإسلامي ورعاية شعور المسلمين وتلقينا الجواب موضعاً عدم صدور أي اعتراف من إيران بإسرائيل وإنه ليس في نية الحكومة ذلك لا في الوقت الحاضر ولا في المستقبل ومظهراً للعطف على قضايا المسلمين في كل مكان .

وإننا إذ نستنكر كل خطوة تخذ لتعزيز كيان إسرائيل من أي جهة كانت نلفت أنظار المسلمين كافة إلى الظرف العصيب الذي يحيط بهم وندعوهم جميعاً إلى رص صفوفهم وتوحيد كلمتهم ليقفوا جبهة موحدة أمام التيارات العاتية من قوى الظلم والكفر والطغيان والتي جعلت همها الأول محاربة الإسلام وإبعاده عن واقع المسلمين وما إقامة إسرائيل في فلسطين الامثل من الأمثلة الكثيرة على محاولة ضرب الإسلام والوقوف في طريقه .

ومن هنا كان لزاماً على المسلمين عامة والحكومات القائمة في بلاد المسلمين خاصة أن يرجعوا إلى حظيرة الإسلام ويلتفتوا حول لوائه الظافر الذي هو عنوان نصرهم وعزتهم ويستمدوا تشريعاتهم من ينبوعه الشري ومنهله الصافي ليستعدوا مجددهم وكرامتهم ويحللوا ما حلل الإسلام ويحرموا ما حرمه .

وما هذه المآسي التي ضجت بها حياة المسلمين إلا أثر من آثار تهاونهم في الإسلام وأبعاده عن إدارة شؤون الأمة الذي يندهم بالخطر ويهددهم بالخذلان وختاماً نبتهل إلى العلمي القدير أن يجمع كلمة المسلمين على التقوى والهدى ويأخذ بأيديهم إلى ما فيه صلاحهم ونجاحهم إنه سميع مجيب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محسن الطباطبائي الحكيم

في هذه الكلمات النيرة إيقاظ أن نكبة الأمة والحكومات الإسلامية عامة ليست إلا بسبب عدم تمسكهم بالقرآن وعدم أخذهم بتعاليمه المقدسة وقد نبذوا أحكام الإسلام وقوانينه على ورائهم ظهرياً فوقعوا في الإنحطاط والخزي والعار ورزايا الذل والإستعمار .

والرعيّة بسوء تصرّفاتهم ولا يجعلون الحكومة كذئاب مفترسة لهذا القطيع
الوديع باستعمال الضغط الفظيع من الغطرس^(١) والكبرياء والشره إلى الرشوات
وارتكاب المنكرات ، حاسبوا أنفسكم أيّها الناس قبل أن تحاسبوا واجعلوا
نصب أعينكم المسؤوليّة العظمى ؛ ﴿ يا أيّها الناس إن وعد الله حق فلا
تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾^(٢) .

(١) غطرس غطرسة على فلان : تكبّر- الرجل : تناول على أقرانه .
(٢) سورة ٣١ آية : ٣٤ .

خطبة الشيخ «ره» في يوم ميلاد مورانا أمير المؤمنين عليه السلام

قال الله سبحانه في محكم كتابه : ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء ﴾^(١) نعم في مثل هذا اليوم أو هذه الليلة أشرقت الأرض بنور ربها وجيء بوارث النبيين وجامع علوم الأولين والآخرين ، أمام الشهداء وسيد الصديقين ، واحتفالنا بانبثاق هذا النور الإلهي في مثل هذا اليوم ليس كاحتفال الأمم بيوم ولادة ملوكها وعظماؤها وسلاطينها ورجال نهضتها ، بل إحتفال بالنعمة العظمى والآية الكبرى والمثل الأعلى الذي تنزلت الأحديّة به من عليا ملكوتها الشامخ وجبروتها الباذخ وقديسي تجردها إلى عوالم الناسوت ، وتقمّص المادّة لتعود المادّة روحا والجسد عقلاً ، والموت حياة ، نحتفل بذكرى ولادة بحر العلم الخضم الذي تدفق بنهج البلاغة وهو نبع من ينابيعه ، وشرعة من مشاريعه ، ولا جاءت العصور ولا انجلت الدهور عن كتاب بعد كتاب الله العظيم أنفع ولا أجمع ولا ألمع وأنصع منه في إقامة براهين التوحيد ودلائل الصنعة ، وأسرار الخليقة ، وأنوار الحقيقة وتهذيب النفس ، وسياسة المدن ، وحكمة التشريع والعظات البليغة ، والحجج الدامغة ، وإنارة العقول ، وطهارة النفوس ، بينما تراه يفيض ينابيع الحكمة النظرية والعملية ، ويرهق على توحيد الصانع ويغرق في

(١) سورة ٣٩ آية : ٧٠ .

وصف الملائكة والمجردات بياناً ، ويمثل لك الجنة والنار عياناً كفيلسوف إلهي ، وملاك روعي وإذاً به يعطيك قوانين الحرب وسوق الجيوش وتعبئة العساكر كقائد حربي ومغامر^(١) عسكري ، لا تلبث أن تجد فيه ما يبهرك من عجيب وصف الطاووس والخفاش والذرة النملة فيصفها دقيقاً ويستوعب فيها من عجائب التكوين ، وغرائب التلوين ، وما أودع صانعها فيها من مزايا الفكرة ، وبدائع القدرة ، حتى يخيل لك من دقة الوصف أنه هو الذي أبدع تصويرها ؛ وقدّر مقاديرها وركّب أعضائها ، وربط مفاصله ، هو صانعها ومبدعها وصورها وقدّرها ، وشقّ سمعها وبصرها .

نحتفل بذكرى ولادة الإمام الذي وضع الدنيا تحت قدميه ، وكانت - وهي العزيزة لغيره - أحقر شيء لديه ، الإمام الذي عرف حقيقتها وأعطأها حقها ، فقال : يا دنيا غرّي غيري قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك يا صفراء ويا بيضاء ، غرّي غيري ، الإمام الذي لولا ضرب ماضيه ما اخضر للإسلام عود ، ولا قام له عمود ، بل لولاه لما استقام الوجود ولا عرف المعبود ، الإمام الذي إليه تنتهي سلاسل الصوفية ، ومنه نشأت علوم العربية ، ومنه عرف حكماء الإسلام الاستدلال بالأدلة العقلية ، الإمام الذي قال للسائل وهو يخطب على المنبر (عاد ثمنها تسعاً)^(٢) ثم استمرّ في خطبته وهي آية من

(١) أي مقاتل ذو بطش الذي لا يبالي بالموت .

(٢) إشارة إلى الجواب الذي أجاب به الإمام (ع) للسائل في المسألة المعروفة بالمنبرية ونقلها أهل السنة عن أمير المؤمنين (ع) أنه سأل عنه وهو على المنبر يخطب عن رجل مات وترك امرأة وأبوين وإبنتين كم نصيب المرأة فقال صار ثمنها تسعاً فلنعت بالمسألة المنبرية . واستدل بها أهل السنة على صحة العول في الفرائض يعني :

إذا زادت السهام المقدره على قدر الفريضة يجعل النقص موزعاً على جميع الورثة . وأول مسألة وقع العول في الإسلام في زمان عمر حين ماتت امرأة في عهده عن زوج وأختين فجمع الصحابة وقال لهم فرض الله تعالى للزوج النصف وللأختين لم يبق للزوج حقه فأشيروا علي فاتفق رأيهم على العول ثم أظهر ابن عباس رضي الله عنه الخلاف وبألف فيه وقال من شاء بأهله عند الحجر الأسود أن الله تعالى لم يذكر في كتابه نصفين وثلاثاً .

وبطلان العول من ضروريات مذهب أهل البيت عليهم السلام وعليه إجماعهم واتفقت الشيعة الإمامية على بطلانه تبعاً لأئمتهم عليهم السلام وقالوا أن الزوجين يأخذان حقهما وكذا الأبوان =

آيات العلم النظري ومعجزة من معجزات العقل البشري ، وهي واحدة من
آحاد وفريدة من أفراد ، فماذا يقول لمادح والمطري بعد آيات القرآن ومدائح
الفرقان ، فمن الحق أن يقول القائل :

غاية المدح في علاك إبتداء ليت شعري ما تصنع الشعراء
فصلوات الله عليك يا أمير المؤمنين وعلى المعصومين من أولادك
الميامين وعلى الصالحين من شيعتك ومحبيك .

= ويدخل النقص على البنات ومن تقرب بالأبوين أو بالأب من الأخوات وقد صح عن أمير
المؤمنين (ع) أنه قال : إن الذي أحصى رمل عالج ليعلم أن السهام لا تعول على ستة لو
يبصرون وجهها لم تجز ستة .

فالقاريء العزيز جد خبير بأن المسألة المعروفة بالمنبرية التي رواها أهل السنة على خلاف
ضرورة مذهب أهل البيت (ع) ولذا فقهاء الإمامية قالوا لعلها صادرة من باب التقية ومماشاة
على وفق رأي القوم أو استفهام إنكاري أو هو تهجين للقول أي صار ثمنها الذي فرض الله
تعالى له عند القائل بالقول كذلك أو سأل كيف يجيء الحكم على مذهب من يقول بالقول
فبين الجواب والحساب والقسمة والنسبة فإن على مذهب من يقول بالقول : للأبوين السدسان
وللبنتين الثلثان وللمرأة الثمن عالت الفريضة . فكان لها ثلث من أربعة وعشرين ثمنها فلما
صارت إلى سبعة وعشرين صار ثمنها تسعاً فإن ثلثة من سبعة وعشرين تسعها ويبقى أربعة
وعشرون للإبنتين ستة عشر وثمانية للأبوين سواء .

وأما على مذهب أهل البيت عليهم السلام فلا يدخل النقص على المرأة والأبوين بل ينقص من
البنتين وأخبارهم وأحاديثهم بطلان القول متظافرة ولفقهاء الإمامية على بطلانه أدلة كثيرة
وإلزامات وفيرة وتشيعات مفصلة في الكتب الفقهية الإستدلالية فراجع .

وغرض شيخنا الإمام (ره) هو الإشارة إلى ما نقله أهل السنة أنفسهم في كتبهم من استحضاره
عليه السلام في الجواب في أثناء خطبته وإلزام لهم بإقرارهم في هذا الموضوع مع قطع النظر
عن أن مضمون هذا المنقول على خلاف ضرورة مذهب أهل البيت (ع) في مسألة العول .

أنظر إلى مطالب السؤل للشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي ص ٢٨ وتاسع البحار
ص ٤٦٣ ط أمين الضرب وغيرهما .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقالة الشيخ «ره» بمناسبة يوم الغدير كتبها شيخنا الامام الغفوري له بمناسبة يوم الغدير والقيت في احتفال اقيم في تلك المناسبة

سلام الله ورحمته وبركاته عليكم أيها المؤمنون الذين من الله عليهم بالهداية فخرجوا من الغواية إلى عصمة الولاية واستمسكوا بالعروة الوثقى وحبل الله المتين .

إخواني وأولادي حرسكم الله ، أمدكم كلمتي هذه من مائدة الغيب وأقدم لكم هذا الغذاء الروحي من طعام الإلهام ، وأملي عليكم هذا من الولاء الأعلى والروح الأمين واستفتح مقالي بالآية النيرة التي تنزلت من المبدء الأسمى في هذا اليوم الأغرّ السعيد :

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ؛ وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾^(١) ، ولإستضاءة بكلّ واحدة من هذه المصابيح الثلاثة يستدعي البيان الكثير والشرح الوافي ، ولكن نكتفي بلمحة من الكلمة الأولى (اليوم أكملت لكم دينكم) أرأيتمكم لو أنّ رجلاً من ذوي العقل والحجى ، منقطع النظير في عقله وشرفه ونبله يتكفل بتربية أولاد له صغار وكبار والمحافظة على ما لهم من أموال وعقار ، وأشرف على الرحيل من هذه الدار إلى دار القرار ، وهم بعد لم يبلغوا رشدهم الكامل ، ولا يزالون في أشدّ الحاجة إلى من يقوم

(١) سورة ه آية : ٦ .

بشؤ ونهم ، وينهض بأعباء تربيتهم وحلّ مشكلاتهم ورفع خصوماتهم ، فلو تركهم ولم ينصب قيماً عليهم يحسن التربية ، ويحلّ المشكلة ، ويدفع المعضلة ، ويرفع الخصومة ، ولا نص على وليّ فيهم ، أفلا يكون ذلك نقصاً في مروّته ، وإخلاقاً برسائته وتفريطاً في أمانته ، نعم وإنّ شريعة الإسلام المقدّسة ما تركت شيئاً إلّا وجعلت له حقّه ، ولا عملاً إلّا وعيّنت حكمه ، ولا موضوعاً إلّا وقدرت حدّه ، وأودعت كلّ ذلك في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ولكن هذا الفرقان المجيد في آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم ؛ وهم من يستمدّ من ينابيع الوحي ومطالع الأنوار الأزليّة ، ولو أنّ الرسول لم يعرف الأمة بمن اختصّه الله بمعرفة التنزيل والتأويل ، والمحكم والمتشابه والمجمل والمبيّن والناسخ والمنسوخ ، لو لم ينصب للناس إماماً ولم ينصّ على خليفة يقوم مقامه لكانت رسالته ناقصة ، والأبصار إلى كمالها شاخصة ؛ نعم لولا تعيين الوليّ على المسلمين لخان الأمانة فيهم ؛ ولو ترك التعيين إليهم لزادت المحنة وعظمت بالإختلاف البلية ؛ ولو تركوا هلكوا في أيّ واد سلكوا ، والشريعة التي ما تركت شيئاً إلّا وذكّرت حكمه ، وقدرت حدّه ، وعيّنت حقّه حتّى أُرش الخدش ، وقصّ الشعر ، وتقليم الأظافر كيف يسوغ للعقول القبول بأنّها قد أهملت هذا الأمر العظيم ، أو فوّضته إلى اختيار الضعفاء القاصرين مهما كانت منزلتهم في الدين ، ومن ذلك يفتح لك الطريق إلى معرفة وجوب عصمة الإمام ، ويتضح مغزى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ (١) ، يا رسول الله إن لم تبّلع النصّ على خليفتك بعدك فكأنك ما بلّغت شيئاً ممّا أرسلت به ، يعني إذا لم تبّلع ما أمرك الله به ، إذا لم تعين الإمام فكلّ ما بلّغته من الشرائع والأحكام أعدام . ولذا لا يقبل الله عملاً بدون الولاية ، وهي الدعامة التي لا يستقر الإيمان إلّا عليها .

(١) سورة ه آية : ٧٢ .

ومنذ عرف الرسول (ص) أنه قد أذف^(١) رحيله من الدنيا لم يجد بدءاً من امتثال أمره تعالى لإكمال الدين وإتمام الرسالة ؛ وأداء واجب الوظيفة ورفع المسؤولية فجمع المسلمين في غدير خمّ عند منصرفهم من حجة الوداع وكان الجمع ينيف أو ينفو على الالف ، فنصّ على عليّ (ع) وقال : من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، ويعني هذا بالواضح المكشوف أن الولاية التي كانت لي من الله هي لعليّ فعلاً ويقوم بها من بعدي عملاً ، وبعد أن أنهى النبيّ (ص) تلك الخطبة البليغة^(٢) دخل المسلمون بأجمعهم على عليّ وسلموا عليه بإمرة المؤمنين وفيهم من قال له : بخّ لك يا عليّ أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة . ونظم شاعر الإسلام وشاعر النبيّ (ص) حسان تلك الواقعة بصورتها الصحيحة في أبيات مشهورة أولها :

يناديهم يوم الغدير نبيّهم بخمّ وأسمع بالنبيّ مناديا^(٣)
وفي هذا اليوم أو ذلك اليوم اتجه أن يتنزّل الوحي بقوله تعالى : اليوم أكملت لكم دينكم ؛ ولولا ذلك لكان الدين ناقصاً غير كامل ولا يرتضي هذا النقص أيّ عاقل ، ولا يتجه أيّ معنى للآية بوجه من الوجوه بدون ذلك النصّ والنصب .

(١) أذف أي إقترب .

(٢) أنظر الخطبة الشريفة في الإحتجاج للطبرسي (ره) وتفسير الصافي للعلامة الكاشاني (ره) وبحار الأنوار ج ٩ ص ٣٢٤ - ٣٢٨ ط أمين الضرب .

(٣) وبعده قوله :

فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا	فقال : فمن مولاكم ونبيكم ؟
ولم تلق منا في الولاية عاصيا	إلهك مولانا وأنت نبينا
رضيتك من بعدي إماماً وهاديا	فقال له : قم يا علي فإِنني
فكونوا له أتباع صدق مواليا	فمن كنت مولاه فهذا وليه
وكن للذي عادا علياً معاديا	هناك دعا اللهم وال وليه

ولد حسان قبل مولد النبي (ص) بثمان سنين وتوفي سنة : (٥٥) أو (٥٤) ولحسان ترجمة ضافية في الغدير للعلامة الكبير الشيخ عبد الحسين الأميني ج ٢ ص ٣٤ - ٦٥ وصار حسان عثمانياً بعدما كان علوياً وقال له الصحابي الكبير سيد الخزرج قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري : يا أعمى القلب وأعمى البصر والله لولا أن ألقى بين رهطي ورهطك حرباً لضربت عنقك ثم أخرجه من عنده . أنظر تاريخ الطبري ٥ - ٢٣١ وشرح النهج لابن أبي الحديد ٢ ص ٢٥ .

نعم قد كمل الدين وتمت النعمة من حيث التبليغ والرسالة وإتمام
الحجّة ، أمّا من حيث التطبيق والعمل به من الأمة فذاك شيء آخره لا أريد أن
أخوض فيه كي لا أجدش عاطفة أو أمسّ كرامة طائفة ، أو أثير غبار جدل
وخصومة ولكنني أختتم في بيتين لشاعر أهل البيت في الصدر الأول من
الإسلام ، حيث يقول في إحدى هاشمياته المشهورة^(١) :

ويوم الدوح دوح غدِير خمّ أبان له الولاية لو أطيعا
ولكنّ الرجال تباعوها فلم أر مثلها خطراً مبيعاً

وبارك الله في الشباب الحسيني وفي مقدمتهم الأديب السيد محمّد
صلوات حفظه الله ووقفهم لإقامة الإحتفال بذكرى هذا العيد السعيد واليوم
التاريخي الخالد . في كلّ حول وعلى كلّ حال ، وإليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه ، رفع الله درجاتنا أجمعين في أعلى عليين مع النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

١٨ ذي الحجّة ١٣٧٢ هـ

محمّد حسين آل كاشف الغطاء

(١) هو شاعر أهل البيت الطاهر ومادحهم والصادع بالحق في حقهم الكميّ بن زيد الأسدي
صاحب القصائد ولد سنة : ٦٠ ومات مقتولاً شهيداً سنة : ١٢٦ هـ . قوله : يوم الدوح
دوح ...

مذكور في الهاشميات بتفسير أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيس ص ١٥٢ - ١٥٣ طبع
ليدن . وفي الغدير ج ٢ ص ١٨٠ - ١٨٣ .

قال الشيخ أبو الفتوح في تفسيره ٢ ص ١٩٣ : روى عن الكميّ قال : رأيت أمير المؤمنين
عليه السلام في المنام فقال : أنشدني قصيدتك العينية فأنشدته حتى انتهيت إلى قولي فيها :
ويوم الدوح دوح غدِير خمّ أبان له الولاية لو أطيعا

فقال صلوات الله عليه : صدقت ثم أنشد عليه السلام :

ولم أر مثل ذلك اليوم يوماً ولم أر مثله حقاً أضيعاً

وروى القاضي ابو الفتح الكراچكي (ر ه) في كتابه القيم كنز الفوائد ص ١٥٤ باسناده عن
هناد بن السرى قال : رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في المنام فقال لي : يا هناد ؟ قلت :
لييك يا أمير المؤمنين ؟ قال : انشدني قول الكميّ :

ويوم الدوح دوح غدِير خمّ ...

قال فأنشدته فقال لي : خذ إليك يا هناد ؟ فقلت : هات يا سيدي

جواب سماحة الشيخ "ره" عن سؤال ورد من زنجبار وفيه إشارة إلى إمامة أمير المؤمنين عليه السلام

كان قد ورد إلى سماحة الإمام كتاب من زنجبار من عبد الله صالح
الفارسي بتاريخ ٣ جمادي الأولى سنة ١٣٧٣ هـ ما يلي نصّه :
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد فإنني شافعيّ المذهب ولكن صديق حميم لبعض الأثني عشرين
الأقحاح^(١) نخوض بعض الأوقات في الخلافات المذهبية ، وقد أخبروني أنّ
السادة أبا بكر وعمر وعثمان وسائر العشرة المبشرة بالجنة عندهم هم من أهل
النار ، أفيمكن هذا بعد أن قال الله في كتابه العزيز ﴿ والسابقون الأولون من
المهاجرين والأنصار والذين أتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ،
وأعدّ لهم جنّات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها يبدأ ذلك الفوز العظيم ﴾^(٢) ،
أليس هؤلاء هم السابقون الأولون من المهاجرين ؟ أليس هم كذلك ؟
وسيدنا عمر بن الخطاب من الذين قال الله فيهم : ﴿ لقد رضي الله عن
المؤمنين إذ يبائعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم ﴾^(٣) وأخبروني أنّهم
يلعنون أكثر الصحابة بدل أن يترحموا عليهم ، فهذا هو حقنا لسلفنا ؟ أما قسم

(١) إقحاح جمع قح الخالص من كل شيء يقال : « فلان كريم قح وإعرابي قح » .

(٢) سورة ٩ آية : ١٠١ .

(٣) سورة ٤٨ آية : ١٩ .

الله المؤمنين إلى ثلاث درجات المهاجرون والأنصار والذين جاءوا من بعدهم ؟ وقد وصفهم بأنهم يقولون : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) ما وصفهم بأنهم يقولون رَبَّنَا العن - فلانا وفلانا - ولا تمح في قلوبنا غلاً .

وأرجو من عميم فضلكم وخالص علمكم أن لا تبخلوا عليّ بالجواب فقد قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (٢) ولا زلتُم موثلاً للعلم ومعقله (٣) ولقد صدق الإمام ولا زال الصادق المصدّق حين قال :

ما الفخر إلا لأهل العلم أنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء

من طالب المعرفة والهدى

عبدكم عبد الله صالح الفارسي

المفتش بالمدارس الحكوميّة في الديانة واللغة العربيّة

وإجابه سماحة الإمام (ره) بما يلي :

وردني كتابك تذكر فيه أنك شافعيّ المذهب ولكنك صديق حميم لبعض الشيعة الإثنا عشريين الأقياح ، وقد أخبروك أنّ السادة . . وسائر العشرة المبشرة بالجنة عندنا من أهل النار ، ثمّ تقول : أفيمكن هذا بعد أن قال الله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ أُولَٰئِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ إلى آخر الآية ، ثمّ قلت : أفيمكن أن يرتدّوا على أعقابهم وقد رضي الله عنهم بعد أن علم ما في قلوبهم ؟ أفينقلب علم الله جهلاً ؟ ثمّ قلت فيه ، وأخبروني أنّهم يلعنون أكثر الصحابة

(١) سورة ٥٩ آية : ١١ .

(٢) سورة ٢ آية : ١٥٩ .

(٣) أي ملجأه .

بدل أن يترحموا عليهم ، وختمت الكتاب بقولك فيه : وأرجوا من عميم فضلکم وخالص علمکم أن لا تبخلوا عليّ بالجواب إلى آخر ما ذكرت في كتابك وجميل خطابك ، وما أوردت فيه من الآيات البيّنات ، والكلمات الطيّبات .

واعلم أولاً وكن على يقين أن العقلاء والمهذّبين من الإثني عشرين ليسوا بلعّانين ولا سبّابين ، وإنّ أئمتنا أهل البيت سلام الله عليهم حرّموا علينا السبّ والشتم فنحن لا نسب الخلفاء الراشدين والصحابة المرضيّن الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ولكن لا بدّ لنا في الجواب أن نكشف لك الغطاء عن الحق الناصع والأمر الواقع ، ونوضح لك على وجه الإجمال والإشارة ولا شك أنك حرّ تكفيه الإشارة . والحوّ الذي لا يسعك إنكاره ولا شك أنك تعرفه ويلزمك أن تعترف به هو أنّ الصحابة الذين صحبوا النبيّ (ص) من المهاجرين الذين هاجروا معه والأنصار الذين نصره ليس كلّهم مرضيّن ومشمولين بقوله تعالى : رضي الله عنهم ورضوا عنه . ولا داخلين في إخواننا الذين سبقونا ، والقرآن الكريم يفسّر بعضه بعضاً ويدلّ بعضه على بعض ، ويلزم ضمّ بعض الآيات إلى بعض حتّى تتجلّى الحقيقة ناصعة لامة ولو كان كلّ الصحابة مرضيّن قد رضي الله عنهم ورضوا عنه إذاً فأين محلّ قوله تعالى : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل إنقلبتم على أعقابكم ﴾^(١) ، وليت شعري وما أدري ولعلني أدري من هؤلاء الذين انقلبوا على أعقابهم ؟ ومن المعلوم أنّ الإستفهام في الآية إنكاري ، ومعناه ومورده أن يقع عمل من شخص أو أشخاص فينكره المتكلّم بصورة الإستفهام ، ومعنى إنكاره الإشارة إلى أنّه عمل منكر وشيء شنيع .

وأزديك إيضاحاً ودلالة ودفعاً لما عرضك من الشبهة ذاك أنّه كما أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً كذلك السنّة النبويّة والأحاديث تفسّر القرآن وتوضحه وتشرحه ، أنظر صحيح البخاري الذي هو أصحّ كتب الحديث عند الشافعية

(١) سورة آية : ١٤٤ .

وغير الشافعية من المذاهب الأربعة فإنك تجد فيه وفي أخيه صحيح مسلم عدة أحاديث عن رسول الله (ص) مختلفة الأساليب متحدة المعنى ، ويأخذ بعضها بيد بعض ، منها قوله (ص) : أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إلي رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول أي رب أصحابي ، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فيؤمر بهم إلى النار ، فأقول سحقا سحقا لمن غير وبدل بعدي . ويقول في بعضها لأصحابه : لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض . ويقول في حديث ما لفظه أو مضمونه : يؤمر بجماعة من أصحابي إلى النار ، فأقول ما شأنهم ؟ فيقال إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري وهذا الذي أمليه عليك هو من مطالعاتي ومخطوطاتي قبل خمسين سنة ولا فرصة حالاً على تجديد المراجعة فراجع أنت إذا شئت حتى يتضح لك جلياً أن ليس كل الأصحاب ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأن الكثير والأكثر قد ارتدوا بعد رسول الله (ص) وانقلبوا على أعقابهم بنص القرآن والأحاديث النبوية من كتبكم أنتم لا من كتب الشيعة الإثني عشرية ، وأتخطر إلي أحصيت من الصحيحين البخاري ومسلم أكثر من عشرين حديثاً بأسانيد متعددة وعبارات مختلفة كلها تنص صريحاً أن أكثر الأصحاب بعد رسول الله (ص) غيروا وبدلوا ، ورجعوا إلى جاهليتهم الأولى ، وارتدوا على أدبارهم وانقلبوا على أعقابهم ، وما رضي الله عنهم ولا رضوا عنه ، وأسخطوا الله ورسوله بأعمالهم راجع الصحيحين^(١) تجد ذلك جلياً واضحاً .

ثم هب أننا أغمضنا النظر عن الكتاب والسنة وتلك الأدلة الباهرة فلنرجع إلى الحسّ والوجدان ، فإنه أقوى شاهد وبرهان ، لنرجع إلى الأمر الواقع والقضية الراهنة ، أرأيت لو وجدت شخصين يختصمان في أمر معين حتى تبلغ بهما الخصومة إلى حدّ أن يستحل أحدهما قتل الآخر فهل تجد بعقلك مجالاً للحكم بأن الحق مع كل واحد منهما ؟ أي أن الحق في جهتين

(١) يأتي نصوص الروايات الواردة عن النبي (ص) في حق الصحابة نقلاً عن الصحيحين في تعاليفنا الملحقه بآخر الكتاب إن شاء الله تعالى .

تناقضتين في السلب والإيجاب ، كلاً ، فالحق لا يتناقض والسلب والإيجاب نقيضان ، والنقيضان لا يجتمعان كما لا يرتفعان ، أليس الخليفة عثمان من الصحابة المبرزين والمهاجرين الأولين ؟ أليس قد اجتمع على قتله أهل المدينة ؟ وكلهم أو جلهم من الصحابة بالضرورة ، ومعهم جمع من رجال الأقطار الإسلامية ، ثم قتلوه تلك القتلة الشنيعة ، وقد قال رسول الله (ص) في حديث متواتر لا يحلّ قتل المسلم إلاّ بواحدة من ثلاث : ردّة عن إيمان ، أو زينة في إحصان ، أو قصاص في قتل نفس محرمة ، وأنا لا أدري بأيّ واحدة من هذه الثلاث استحلوا قتل الخليفة ، ولعلّ أهل المدينة أعلم وأدرى .

ثمّ أليس طلحة والزبير من أخص أصحاب رسول الله (ص) ومن المجاهدين السابقين والمهاجرين الأولين وسيف الزبير هو السيف الذي طالما كشف به الكرب من وجه رسول الله ؟ ثمّ ألم يخرجنا على أمير المؤمنين عليّ (ع) وخدعا المرأة المسكينة عايشة أمّ المؤمنين التي تجملت ثم تبغلت ، وقد قتلا في تلك الحرب الضروس ، وما قتلا حتى قتل بسبب بغيهما على إمام زمانهما الذي باعاه ثم نكثا بيعته بغياً عليه ، ما قتلا إلاّ بعد أن قتل في تلك الواقعة أكثر من عشرة آلاف قتيل تقريباً أو تحقيقاً ، وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي ﴾ (١) ، وما أدري هل أن طلحة والزبير (والهفي عليهما) هل هما من الذين عناهم رسول الله بقوله أرى جماعة من أصحابي يؤخذ بهم إلى النار فأقول ربّ أصحابي أصحابي ، فيقال لي ما تدري ما أحدثوا بعدك ، إنهم رجعوا القهقري وارثدوا بعدك .

أما معاوية الذي تعدّونه أيضاً من الصحابة وبغيه على أمير المؤمنين (ع) في حرب صفّين التي قتل فيها من الفريقين أكثر من عشرين ألف قتيل على ما خطر ببالي ، فلا أعدّها في عداد تلك الحوادث لأنّ معاوية وأباه أبا

(١) سورة ٤٩ آية : ٩ .

سفيان والحكم وإبنة مروان ما أسلموا ولا آمنوا بالله طرفة عين لا قبل الفتح ولا بعده وإنما دخلوا في صورة الاسلام لهدم دعائم الاسلام ، وقد قتل معاوية غير من قتله من المسلمين في صفين خيرة الرجال من الصحابة كعمرو بن الحمق^(١) وحجر بن عدي^(٢) وأصحابه العشرة قتلهم صبراً وظلماً وعدواناً ، وفضايع معاوية ومحاربتة لله ولرسوله ، وقتله لريحانتي رسول الله الحسن والحسين أكثر من ان تحصى وتعدّ ، وهو عندكم صحابى من الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه فان كان هذا هو الاسلام فعلى الاسلام السلام ، والبقاء على الكفر خير من هذا الاسلام أي إسلام معاوية وأبى سفيان والحكم ومروان الوزغ ابن الوزغ كما قال رسول الله (ص) وعلى كلّ فلا أحسب إلا أنّ الحقّ قد تجلّى لديك وسطعت شمس الحقيقة عليك والكناية أبلغ من التصريح^(٣) .

(١) عمرو بن الحمق الخزاعي صحابي جليل في غاية الجلالة والوثاقة من أصفياء أمير المؤمنين (ع) وخواصه وصاحب أسراره ، سقى النبي (ص) فقال صلى الله عليه وآله : اللهم أمته بشباهه فمرت عليه ثمانون سنة لا ترى في لحيته شعرة بيضاء علمه أمير المؤمنين (ع) إسم الله الأعظم وقال سيد الشهداء (ع) في كتابه إلى معاوية : « أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله (ص) العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه وصفر لونه » ورأسه أول رأس حمل في الإسلام وشهروه على قناة إلى معاوية .

الحمق بالحاء المهلة المفتوحة والميم المكسورة والقاف خفيف اللحيتة أنظر تنقيح المقال ، أسد الغابة ، الغدير ج ١١ رجال الكشي .

(٢) حجر بن عدي الكندي الصحابي جلالته أشهر من أن يحيط بها القلم ويجري عليها الرقم من جلة الشهداء الأحرار المجاهدين بالحق والصادقين بمحبة أمير المؤمنين (ع) قتله معاوية سنة : (٥١) أو (٥٣) هـ أنظر تنقيح المقال وأسد الغابة وغيرهما .

(٣) يوضح هذا الجواب رد قيس بن سعد الأنصاري على النعمان بن بشير الأنصاري في صفين عندما دعاه إلى اللحوق بمعاوية قائلاً : والله ما كنت أراك يا نعمان تجترئ على هذا المقام .

أما المنصف المحق فلا ينصح أخاه من غش نفسه ، وأنت والله الغاش لنفسه المبطل فيما إنتصح غيره ، أما ذكر عثمان فإن كل الإنجاز يكفيك فخذ : قتل عثمان من لست خيراً منه وخذله من هو خير منك ، وأما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكت ، وأما معاوية فلو اجتمعت العرب على بيعته لقاتلتهم الأنصار ، وأما قولك أنا لسنا كالناس فنحن في هذه الحرب كما كنا مع رسول الله (ص) نلتقي السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ، ولكن أنظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلا طليقاً إعرابياً أو يمانياً مستدرجاً ، وأنظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان الذين رضى الله عنهم ورضوا =

ويشهد الله والمسلمون أنني أكره الخوض في هذه المكربات التي تثير الدفائن ، وتشر الضغائن في صدور طوائف المسلمين ولكن إلحاحك في طلب الجواب بعثني إلى تحرير هذه الكلمة على جري القلم وعفو الخاطر ، وكره مني ، وليس هذا من خطتي وخطواتي وأنا منذ خمسين سنة وأدعو إلى توحيد كلمة المسلمين ونبذ الشحناء والبغضاء ، والإعتصام بحبل الله المتين من الإلفة وعدم الفرقة ، والأخذ بالأخوة التي عقدها القرآن بين المسلمين ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾^(١) : ويشهد لذلك مؤلفاتي كمقدمة (أصل الشيعة) الذي طبع زهاء عشر طبعات وترجم إلى عدّة لغات وغيرها ، ولكنني وجدتك قد أحرجتني وهددتني بقوله تعالى : ﴿ إِن الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ﴾^(٢) ولم أجد بداً لرفع المسؤولية من الإشارة إلى طرف من الواقع . إن لم يكن الحقّ كلّه فناحية من نواحيه ، ولعلّها تلقي ضوئها الصاحي على سائر ضواحيه ؛ وأختم كلمتي هذه بكلمة وجيزة لجدي الأعلى الشيخ جعفر الكبير صاحب كتاب كشف الغطاء (قده)^(٣) حيث يقول في خاتمة كلام له : أحضر أحوال القوم بين يديك وتوجّه للنظر فيها بكلتي عينيك وتفكّر

= عنه . أنظر كتاب (الإمامة والسياسة لابن قتيبة) الذي أثبتنا أنه من تأليفات ابن قتيبة في مقالنا الإضافي المنتشر في مجلة (العرفان) المجلد ٤٣ ص ٥٠٨ وأجينا جواباً تحليلياً عن الإشكالات الواهية التي أوردها الأستاذ أحمد صقر المصري في مقدمة « تأويل مشكل القرآن » لابن قتيبة ص ٢٧ ط مصر حققنا أن كل ما ذكره تبعاً وتقليداً لبعض المستشرقين في نفي ذلك الكتاب عن ابن قتيبة كذب واختلاف فراجع واطالع مقالنا مع إمعان النظر .

(١) سورة ٤٩ آية : ١٠ .

(٢) سورة ٢ آية : ١٥٩ .

(٣) الشيخ جعفر بن الشيخ خضر الجناحي النجفي أمام الطائفة وشيخها الأكبر من أساطين الدين وأركان المذهب وزعيم الشيعة الأعظم وشيخ الفقهاء صاحب كشف الغطاء وغيره من المؤلفات النفسية .

وقد جاء الشيخ الأكبر (ره) إلى - إيران - تبريز في أوائل الثورة الروسية حينما تداخلت أيديهم الغاشمة على - إيران في أيام فتح علي شاه القاجاري ليحرض الناس على الدفاع عن البلاد الإيرانية واتفق في تبريز لقاء الشيخ (ره) مع جدنا القاضي الكبير الحاج ميرزا محمد مهدي القاضي الطباطبائي (ره) المتوفي : « ١٣٤١ هـ » وأوجد ذلك أثراً عظيماً في النفوس توفي الشيخ (ره) سنة (١٢٢٨ هـ) .

في الفروع والإيقاع لتعلم حال الأصول وينقطع النزاع ، لعلّ البصرة تبصرك
وجملها يندرك وصفين تصفيك ، وكربلاء والكوفة تكفيك ، واختلاف ذات
البين وحصول الشقاق في الجانبين أبين شاهد على أنّ الحقّ في جانب
واحد ، وإن الحكم بحقيّة الطرفين إعتقاد فاسد (إنتهى) وأقول ﴿ إنك لا
تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾^(١) سبحانك ﴿ ربنا عليك توكلنا وإليك
أنبنا وإليك المصير ﴾^(٢)

٧ رجب ١٣٧٣ هـ في مدرستنا العلميّة

محمد حسين آل كاشف الغطاء

(١) سورة ٢٨ آية : ٥٦ .

(٢) سورة ٦٠ آية : ٤ .

فاطمة الزهراء "ع"

طفحت واستفاضت كتب الشيعة من صدر الإسلام القرن الأول : مثل كتاب سليم بن قيس^(١) ومن بعده إلى القرن الحادي عشر وما بعده بل وإلى

(١) كتاب جليل معتمد صنفه سليم بن قيس الهلالي المتوفي حدود سنة (٩٠) هـ من أولياء أمير المؤمنين (ع) وصاحبه ومن خواصه .

وكتابه من الأصول الشهيرة المعتمدة عند الخاصة والعامة قال الإمام الكبير النعماني (ره) في كتاب الغيبة ما هذا لفظه : وليس بين جميع الشيعة ممن حمل العلم ورواه عن الأئمة عليهم السلام خلاف في أن كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من أكبر كتب الأصول التي رواها أهل العلم وحملة حديث أهل البيت (ع) وأقدمها لأن جميع ما اشتمل عليه الأصل إنما هو من رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) والمقداد وسلمان الفارسي وأبي ذر ومن جرى مجراهم ممن شهد رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) وسمع منهما وهو من الأصول التي ترجع الشيعة إليها وتعول عليها (أ.هـ) .

وقال ابن النديم في الفهرست : هو أول كتاب ظهر للشيعة . ومراده أنه أول كتاب ظهر فيه أمر الشيعة كما أشير إليه في الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام في توصيفه بأنه أوجد الشيعة قال عليه السلام : (من لم يكن عنده من شيعتنا ومحبينا كتاب سليم بن قيس الهلالي فليس عنده من أمرنا شيء ولا يعلم من أسبابنا شيئاً وهو أوجد الشيعة وهو سر من أسرار آل محمد صلى الله عليه وآله) .

وقال القاضي بدر الدين السبكي المتوفي سنة (٧٦٩) هـ في كتابه محاسن الوسائل في معرفة الأوائل : إن أول كتاب صنف للشيعة هو كتاب سليم بن قيس الهلالي (أ.هـ) ولكن القاريء العزيز خبير إن كتاب السنن تصنيف أبي رافع المتوفي في العشر الخامس الذي اشترى معاوية داره بعد موته هو مقدم عادة على تصنيف سليم المتوفي سنة (٩٠) .

يومنا كل كتب الشيعة التي عنيت بأحوال الأئمة ، وأبيهم الآية الكبرى وأمهم الصديقة الزهراء صلوات الله عليهم أجمعين ، وكل من ترجم لهم وألف كتابا فيهم ، أطبقت كلمتهم تقريباً أو تحقيقاً في ذكر مصائب تلك البضعة الطاهرة : إنها بعد رحلة أبيها المصطفى ضرب الظالمون وجهها ولطموا خدّها ، حتّى احمرّت عينها وتناثر قرطها ، وعصرت بالباب حتّى كسر ضلعها ، واسقطت جينها ، وماتت وفي عضدها كالدملج ، ثم أخذ شعراء أهل البيت سلام الله عليهم هذه القضايا والرزايا ، ونظموها في أشعارهم ومراثيهم وأرسلوها إرسال المسلمات : من الكميت^(١) والسيد الحميري^(٢) ودعبل الخزاعي^(٣) والنميري^(٤) والسلامي^(٥) وديك الجنّ^(٦) ومن بعدهم ومن قبلهم إلى هذا العصر ، وتوسع أعظم شعراء الشيعة في القرن الثالث عشر والرابع عشر الذي نحن فيه ، كالخطي^(٧) والكعبي^(٨) والكوازين^(٩) وآل السيد مهدي

- (١) الكميت الأسدي شاعر أهل البيت (ع) وخطيب بني أسد وفقه الشيعة توفي (١٢٦) هـ .
(٢) السيد الحميري إسماعيل بن محمد سيد الشعراء له شهرة طائلة وفضائل جمّة توفي ببغداد (١٧٩) هـ .
(٣) دعبل بن علي الخزاعي من مشاهير شعراء أهل البيت (ع) صنف كتاب طبقات الشعراء توفي (٢٤٥) هـ .
(٤) النميري منصور بن سلمة الزبير قان الشاعر الجزري البغدادي شاعر أهل البيت (ع) ومادحهم في ستار التقيّة توفي (٢١٠) هـ .
(٥) محمد بن عبد الله السلامي البغدادي الشهير من أشعر شعراء العراق قال الشعر وهو ابن عشر سنين في المكتب توفي (٣٩٣) هـ .
(٦) عبد السلام الملقب بديك الجنّ أستاذ أبي تمام ولقيه أبو نواس في « حمص » لأنه لم يخرج منها فلم يذهب للعراق ولا غيرها من الأقطار توفي (٢٣٦) هـ .
(٧) (٨) راجع ترجمتهما في شعراء الغرّى للشيخ علي الخاقاني النجفي صاحب « مجلة البيان » الصادرة في النجف الأشرف .
(٩) الشيخ حمادي الكوازي توفي (١٢٨٣) هـ ولم يتجاوز عمره (٣٨) سنة وأخيه الشيخ صالح الكوازي توفي (١٢٩٠) هـ وعمره (٥٧) سنة ونجله الأصغر الشيخ عبد الحسين الكوازي ابن الشيخ صالح المذكور توفي حوالي سنة : (١٢٩٥) هـ ابن نيف وعشرين سنة تقريباً .

أنظر البابليات ج ٢ ص ٥٨ - ٨٧ - ١٠٨ للشيخ محمد علي العيقوبي التبريزي - عميد جمعية الرابطة العملية الأدبية في النجف الأشرف . قيل أن أباه أو أحد أجداده نسب إلى « تبريز » خوفاً من الجندية في زمن الإتراك العثمانيين . ويقال أن أصله من بلدنا العزيز « تبريز » وهو عجمي الأصل ولكنه يقصد من أدعاء سبب الإنساب الذي ذكرناه إثبات أنه عربي صميم =

الحليين^(١) وغيرهم ممن يعسر تعدادهم ، ويفوت الحصر جمعهم وآحادهم ، وكل تلك الفجائع والفظائع وإن كانت في غاية الفظاعة والشناعة ومن موجبات الوحشة والدهشة ولكن يمكن للعقل ان يجوزها وللأذهان والوجدان أن يستسيغها ، وللأفكار أن تقبلها وتهضمها ، ولا سيما وأن القوم قد اقترفوا في قضية الخلافة وغصب المنصب الإلهي من أهله ما يعد أعظم وأفظع .

ولكن قضية ضرب الزهراء ولطم خدّها ممّا لا يكاد يقبله وجداني ويتقبّله عقلي ، ويقتنع به مشاعري ، لا لأن القوم يتحرّجون ويتورّعون من هذه الجرأة العظيمة ، بل لأنّ السجايا العربيّة والتقاليد الجاهليّة التي ركزتها الشريعة الإسلاميّة وزادتها تأييداً وتأكيداً تمنع بشدّة أن تضرب المرأة أو تمدّ إليها يد سوء ، حتى أنّ في بعض كلمات أمير المؤمنين (ع) ما معناه : أنّ الرجل كان في الجاهلية إذا ضرب المرأة يبقى ذلك عاراً في أعقابه ونسله .

ويدلّك على تركّز هذه الركيزة بل الغريزة في المسلمين وأنها لم تفلت من أيديهم وإن فلت منهم الإسلام : أنّ ابن زياد وهو من تعرف في الجرأة على الله وإنتهاك حرّماته لمّا فضحته الحوراء زينب (ع) وأفلجته وصيّرته أحقر من نملة ، وأقدر من قملة وقالت له ثكلتك أمك يا ابن مرجانة . فاستشاط غضباً من ذكر أمّه التي يعرف أنّها من ذوات الأعلام ، وهمّ أن يضربها ، فقال له عمرو بن حريث وهو من رؤوس الخوارج وضروسها إنّها إمراة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطلقها ، فإذا كان ابن مرجانة إمتنع من ضرب العقيلة خوف

= - والحق وما في الحق مغضبة - إنه لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي إلا بالقوى كما صدع به صاحب الرسالة المقدسة (ص) وقال تعالى : إنما أكرمكم عند الله أتقاكم . هذا هو الميزان الحقيقي في الإسلام وأما هذه التعصبات القومية والعصبية الممقوتة التي صارت من أمراضنا الإجتماعية بإيعاز وبعث من أرباب السياسة الغاشمة وأذئاب الإستعمار فلا تجدي إلا تفرقة كلمة المسلمين ومحقّ إتحادهم الصحيح ومحوه .

وعلى أي نحو كان - من كون الشيخ اليعقوبي تبريزي الأصل أولاً - فهو خطيب شهير عربي في جامعة العلم النجف الأشرف وشاعر كبير أديب مفلق مجيد وكتابه البابليات من الكتب الممتعة وفي أوله تصدير بقلم شيخنا الإمام الراحل زاد عليه بهجة وجمالاً باهراً .
(١) أنظر إلى تراجمهم في البابليات للخطيب المصقع الشيخ محمد علي اليعقوبي .

العار والشنار وكله عار وشنار ، ويؤرة عهار مع بعد العهد من النبيّ (ص) فكيف لا يمتنع أصحاب النبيّ (ص) مع قرب العهد به من ضرب عزيزته ، وكيف يقتحمون هذه العقبة الكؤود ولو كانوا أعتى وأعدى من عاد وثمرود . ولو فعلوا أو هموا أن يفعلوا أما كان في المهاجرين والأنصار مثل عمرو بن حريث فيمنعهم من مدّ أليد الأثيمة ، وإرتكاب تلك الجريمة ، ولا يقاس هذا بما ارتكبهوا واقترفوه في حقّ بعلها سلام الله عليه من العظائم حتّى قادوه كالفحل المخشوش فإنّ الرجال قد تنال من الرجال ما لا تناله من النساء .

كيف والزهاء - سلام الله عليها - شابة بنت ثمانية عشر سنة ، لم تبلغ مبالغ النساء وإذا كان في ضرب المرأة عار وشناعة فضرب الفتاة أشنع وأفظع ، ويزيدك يقيناً بما أقول أنّها - ولها المجد والشرف - ما ذكرت ولا أشارت إلى ذلك في شيء من خطبها^(١) ومقالاتها المتضمنة لتظلمها من القوم وسوء صنيعهم معها مثل خطبتها الباهرة الطويلة التي ألقتها في المسجد على المهاجرين والأنصار ، وكلماتها مع أمير المؤمنين (ع) بعد رجوعها من المسجد ؛ وكانت نائرة متأثرة أشدّ التأثر حتّى خرجت عن حدود الآداب التي لم تخرج من حظيرتها مدّة عمرها ، فقالت له : يا ابن أبي طالب إفرست

(١) لعل عدم إشارة الصديقة الطاهرة سلام الله عليها إلى أعمال القوم من الضرب والطم وكذا عدم إشارة أمير المؤمنين (ع) إلى تلك الأعمال الصادرة منهم في حق الزهراء البتول (ع) إنما هو من جهة عدم الإعتناء لما صدر منهم من تلك الأعمال الرذيلة فإنّ الأكابر والأعاضم من الرجال فضلاً عن هو في مقام العصمة والولاية لا يعابون بما يصدر من الأراذل والأخسة في حقهم من الرهن وعدم رعاية الإحترام بمثل الضرب والطم فإنّ تلك الأشخاص في أنظارهم المقدسة كالأنعام بل هم أضل . فهل ترى أن حيواناً إذا ركض شخصاً جليلاً أن يقابله بمثل عمله وسوء صنيعه ؟ أو يأتي هذا الشخص إلى حشد من الناس وأندية قوم شاكياً من عمل هذا الحيوان ؟ بل إذا خاطبهم الجاهلون بالأقوال الشائنة والأفعال الشنيعة كالضرب والطم والشتيم وأمثالها مروا كراماً وقالوا سلاماً وكان عدم إشارة أمير المؤمنين (ع) وكذا الصديقة الطاهرة (ع) إلى أعمال القوم لهذه العلة . وأما شكواها من غضب الخلافة وغضب فذلك فإنّ لهذين الأمرين من الأهمية والإعتناء ما ليست لغيرهما .

وقضية مالك الأشتر وسخرية رجل ووهنه عليه وعدم اعتناؤه له معروفة فما ظنك بسيد وسيد الموحدين أمير المؤمنين (ع) وسيدة نساء العالمين (ع) ولكن شيخنا الأستاذ (ره) هو أعرف وأبصر بما جادت به براعته الشريفة . عليه من الله شأ بييت الرحمة .

الذئاب وإفترشت التراب - إلى أن قالت : هذا ابن أبي فلانة يبتزني نحلة أبي بلغة إبني ، لقد أجهد في كلامي ، وألفيته الألد في خصامي ولم تقل أنه أو صاحبه ضربني ، أو مدّت يد إليّ وكذلك في كلماتها مع نساء المهاجرين والانصار بعد سؤالهنّ كيف أصبحت يا بنت رسول الله ؟ فقالت : أصبحت والله عائفة لديناكنّ ، قالية لرجالكنّ ، ولا إشارة فيها إلى شيء عن ضربة او لطمة ، وإنما تشكو أعظم صدمة وهي غضب فذكّ واعظم منها غضب الخلافة وتقديم من أخرّ الله وتأخير من قدّم الله ، وكلّ شكواها كانت تنحصر في هذين الامرين وكذلك كلمات امير المؤمنين (ع) بعد دفنها ، وتهيج أشجانه وبلابل صدره لفراقها ذلك الفراق المؤلم : حيث توجه إلى قبر النبي (ص) قائلاً : السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك إلى آخر كلماته^(١) التي ينصدع لها الصخر الأصمّ لو وعأها ، وليس فيها اشارة إلى الضرب واللطم ولكنه الظلم الفظيع والامتهان الذريع ، ولو كان شيء من ذلك لأشار إليه سلام الله عليه ، لأنّ الامر يقتضي ذكره ولا يقبل ستره ، ودعوى أنّها أخفته عنه ساقطة بأنّ ضربة الوجه ولطمة العين لا يمكن اخفاؤها .

وأما قضية قنفذ وأن الرجل لم يصادر أمواله كما صنع مع سائر ولاته وأمرائه وقول الإمام (ع) : أنه شكر له ضربته فلا أمنع من أنه ضربها بسوطه من وراء الرداء وإنما الذي أستبعده أو أمنعه هو لطمة الوجه وقنفذ ليس ممن يخشى العار لو ضربها من وراء الثياب أو على عضدها^(٢) وبالجملة فإنّ وجه

(١) نقلها سيدنا الرضي (ره) في نهج البلاغة فراجع .

(٢) يظهر من هذا الكلام أن مراد شيخنا الإمام (ره) من أول هذا المقال إلى آخره هو استبعاد أن تصل يد أئيمة من أجنبي إلى بدن الصديقة الطاهرة ووجهها سلام الله عليها بالضرب واللطم وهذا الإستبعاد في محله فإنه لا يمكن أن يصل يد اجنبي إلى بدنها قطعاً وإما الضرب من وراء الثياب والرداء فلا استبعاد في ذلك في نظره رحمه الله كيف وقد طفحت واستفاضت كتب الشيعة من صدر الإسلام إلى اليوم وأطبقت كلماتهم إنها ضربت بعد أبيها حتى كسر ضلعها وأسقطت جنينها وماتت وفي عضدها كالدملج .

ووافقهم على هذا الرأي كبير علماء المعتزلة وريسهم إبراهيم بن سيار البصري المعروف بالنظام المتوفي (٢٢١ هـ) أستاذ الجاحظ . قال : (كما في الجزء الأول من كتاب الملل والنحل للشهرستاني ص ٧٧ ط مصر ١٣٦٨ هـ) ما هذا لفظه : أن عمر ضرب بطن فاطمة عليها السلام يوم البيعة حتى ألقت المحسن من بطنها وكان يصيح أحرقوا الدار بمن فيها وما =

فاطمة الزهراء هو وجه الله المصون الذي لا يهان ولا يهون ويغشى نوره
العيون ، فسلام الله عليك يا أم الأئمة الأطهار ما أظلم الليل وأضاء النهار ،
وجعلنا الله من شيعتك الأبرار ، وحشرنا معك ومع أبيك وبنيك في دار
القرار .

= كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين (أ.هـ.) .

وهكذا نقله عنه صلاح الدين الصفدي في الوافي بالوفيات كما في العباة للعلامة السيد
حامد حسين الهندي (ره) .

وقال المؤرخ الكبير علي بن الحسين المسعودي (ره) في كتابه « إثبات الوصية » ما هذا
لفظه : أقام أمير المؤمنين (ع) ومن معه من شيعته في منزله بما عهد إليه رسول الله (ص)
فوجهوا إلى منزله فهجموا عليه ، وأحرقوا بابه واستخرجوه منه كرهاً ، وضغطوا سيدة النساء
بالباب حتى أسقطت محسناً وأخذوه بالبيعة فامتنع وقال لا أفعل فقالوا نقتلك فقال اقتلوني فإني
عبد الله وأخو رسوله وبسطوا يده فقبضها ، وعسر عليهم فتحها فمسحوا عليها وهي مضمومة
(أ.هـ.) أنظر ١٢١ - ١٢٢ ط النجف .

علي فوق العبقريات

شاع في هذه العصور الأخيرة بين حملة الأقلام والمؤلفين في أرض الكنانة إنتاج مؤلفات تنشر بعنوان (العبقريات) أي عبقرية كبير من رجالات الصدر الأول في الإسلام ، فهذا عبقرية الخليفة الأول ، وذاك عبقرية الثاني وهكذا ، وفي غضون هذه المحاولات أو الحالات وردتني برقية مفصلة من جماعة من شخصيات ممن لهم مكانة في العاصمة يندبونني فيها أحرّ ندبة إلى تأليف كتاب في عبقرية الإمام (علي بن أبي طالب) سلام الله عليه ؛ ويتعهدون بنشره من فوره فكتبت إليهم معذراً بأنني لم أجد نفسي كفاية لإيفاء هذا الموضوع حقّه ، وما كانت القضية قضية إعتذار ومدافعة بل هي حقيقة راهنة ، وقضية مبرهنة فإنّ الكتابة عن عبقرية شخصية بارزة كالخليفة الأول أو الثاني أمر ممكن ، وموضوع قريب التناول ، ليس بينك وبينه إلا أن تراجع كتب التاريخ ، وهي على طرف التمام منك فتذكر فتوحهم وخدماتهم للإسلام ، كحرب أهل الردّة ، وتنفيذ جيش أسامة ، وتجهيز الجيوش إلى حروب القادسية والشام وما إلى ذلك ، أما الكتابة عن شخصية كعلي بن أبي طالب (ع) الذي لا تعدّ مناقبه ، ولا تحصى فضائله بل لو أراد الكاتب مهما كان أن يكتب في كلّ واحدة من مزاياه وخصائصه مؤلفاً ضخماً لما استطاع أن يوفيهما حقّها ، ويستوفي جميع خصوصياتها ، أنظر مثلاً إلى شجاعته ومواقفه في سبيل الدعوة إلى الإسلام وتضحياته العظمى وهو ابن عشرين أو دونها .

أنظر كيف اشتبك مع مشاهير الفرسان ، وبارز جمهرة الأبطال الذين يعدّ واحدكم بألف ، فغلبهم وسقاهم الحنف ، وهو يومئذٍ غلام لم يمارس الحروب . ولم يتمرن على التقمّح في لهوات المنايا ، وقد سارت بل صارت وقائعه ، وفوزه الباهر في بدر وأحد وحنين والأحزاب وما إليها ، نعم سارت مسير الأمثال ولا حاجة إلى ذكره ، ولكن لو أراد الكاتب مهما كان مطلعاً ومضطلعاً بالكتابة ، ومالكاً أعنة البيان أن يستوفي خصوصيات هذه الشجاعة من صبيّ نشأ وتربى في بيت أبيه شيخ البطحاء أبي طالب . وفي حجر ابن عمّه محمّد (ص) ربيب نعمة ، وفي ظلّ راحة ودعة ، لم ينشأ في الصحاري والقفار والبيداء ولم يتعلّم الفروسية وتقمّح الهيجاء ، فمن أين أخذ هذه الدروس ؟ وكيف استطاع التغلّب على تلك النفوس ؟ نعم لو أراد الكاتب تحليل هذه القضية المعماة ، واستكناه أسرارها وبواعثها وتطبيقها على مجاري العادة نكص حائراً ووقف مبهوراً ، دع عنك صفين والجمال والنهروان وهو شيخ كبير قد لهذه القتيير^(١) فلم يختلف حاله في الشجاعة والبسالة بين إبان صباه وهو ابن العشرين وبينها وقد جاز عتبة الستين ، وهكذا لو أراد أن يكتب عن بلاغته ، ومعجز يراعته في كلماته القصار ، والجمال الصغار فضلاً عن خطبه الطوال كالقاصعة والأشباح والملاحم ، وخطبه في وصف الطاووس والخفّاش وأمثالها .

نعم لو أردت أن تدفع الكاتب إلى أن يكتب عن بلاغة (نهج البلاغة) فقد يهون عليه قلع كلّ واحد من أضراره دون أن يتسلق هذه العقبة الكؤود وهكذا كلّ واحدة من مزاياه وخصائصه التي إختصّ بها ، ولم يشاركه أحد فيها من الكبراء في صدر الإسلام . مثل سبقه إلى الإسلام وعدم سجوده لصنم ، وما عبد غير الله جلّ شأنه ، ولا شرب خمراً في جاهليّة ولا إسلام ، أمّا لو ضربت بفكرك إلى زهده وعزوفه عن الدنيا جراب سويق الشعير الذي

(١) القتيير أول الشيب . ولهزه خالطه والمعنى خالطه الشيب .

(الفقيه الإمام)

يحدثنا عنه الأحنف بن قيس^(١) حين وصفه لمعاوية سويق الشعر الجاف بنخلته الذي عاش عليه طيلة حياته وهو خليفة المسلمين ، وأمير المؤمنين ، والأموال تجبى إليه من خراسان إلى الكوفة ؛ وهو يقول : ألا وأنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ، ومن طعمه بقرصيه ، فوالله ما كنت من دنياكم تبراً ، ولا أدخرت من غنائمها وفراً ، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً^(٢) . فهل يستطيع المتبحر والمتحرّي أن يأتينا بشخص منذ عرفت الدنيا نفسها ، وعرفها أهلها ، يحوي واحدة من هذه الصفات بتلك الخصوصيات وهذا الذي ذكرناه قطرة من بحر ولحظة من دهر^(٣) ، وقد قال رسول الله (ص) فيه : يا عليّ ما

(١) الأحنف بن قيس أبو بحر التميمي السعدي البصري تابعي كبير من العلماء الحكماء ولد في عهد رسول الله (ص) ولم يصحبه قال ابن الأثير : إنه كان أحد الحكماء الدهات العقلاء (أ.هـ) .

وكان لجلالته إذا دخل المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة لا تبقى حبة إلا حلت أعظماً له شهد صفين مع أمير المؤمنين (ع) وبقي بعده إلى زمان تولي مصعب بن الزبير على العراق وتوفي بالكوفة سنة : (٦٧) هـ .

أنظر إلى تنقيح المقال والكنى والألقاب للمحدث القمي (ره) وأسد الغابة وغيرها .
(٢) ذكر أمير المؤمنين (ع) هذه الكلمات النيرة في كتاب له (ع) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامله على البصرة وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها . أنظر إلى نهج البلاغة . الطمر - بالكسر - أثوب الخلق .

قوله (ع) : ولا أعددت أي ما كان يهيء لنفسه طمراً آخر بدلاً عن الثوب الذي يبلى ، بل كان ينتظر حتى يبلى ثم يعمل الطمر ، والثوب هنا عبارة عن الطمرين فإن مجموع الرداء والأزار يعد ثوباً واحداً فبهما يكسى البدن لا بأحدهما قاله الشيخ محمد عبده المصري .

(٣) وقد وصف ضرار بن ضمرة الكناني أمير المؤمنين (ع) في مجلس معاوية حينما دخل ضرار عليه فقال له : صف لي علياً فقال له : أو تعفيني ؟ فقال : لا أعفيك ؟ قال : أما إذ لا بد فإنه كان بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة نواحيه (عن لسانه) يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل وظلمته ، كان والله عزيز العبرة ، طويل الفكرة . يقلب كفيه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس العبرة ، ومن الطعام ما خشن (جشِب) كان والله كأحدنا يدنينا إذا أتينا ، ويجيبنا إذا سألناه ، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبة له فإن تبسم فعن مثل لؤلؤ منظوم ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطعم القوى في باطله . ولا يياس الضعيف من عدله .

أنظر نهاية الأرب لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ج ٣ ص ١٧٦ ط مصر وروى

عرف الله إلا أنا وأنت ، وما عرفنا إلا الله .

وعلى إفتنان الواصفين بوصفه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

فالبشر يستطيع أن يفوه عن عبقرية بشر مثله من هو في أفقه ، وإن كان أعلى منه درجة أو درجات ، ولكن عليّ (ع) الذات المترفعة عن أفق البشرية المتصلة بالعوالم الملكوتية فليست هي من ذوات العبقريات بل تجدها مشابهة للأنبياء فوق المخلوق دون الخالق ، فلا يستطيع بشر أن يدركها أو يأتي على خصوصيات مزاياها إلا بمقدار ما يرى الناظر المتطلع إلى إسمي كوكب في وسط السماء لا يبصر منه سوى ضوئه ولا يعرف شيئاً من حقيقته وكنهه وباقي مزاياه ، فعبقريه علي بن أبي طالب (ع) عبقرية روحانية ربوبية لا عبقرية بشرية ، فلا يستطيع البشر أن يتطرقها ويحيط إلا بالحواشي والوتوش^(١) منها . فإنها خارجة عن مقاييس العقول ومدارك أفهام الأنام ، فيا أيها الناس لا تظلموا علياً (ع) وهو في الدار الأخرى كما ظلمه أسلافكم يوم كان في هذه الدار الدنيا ، ولو لم يكن له إلا قوله : ما هلك امرء عرف قدره وقيمة كل امرء ما يحسنه ، وقوله الظلم مودع في النفوس ، القوة تبديه والعجز يخفيه ، لكفى .

وهذه شعاعة من أنواره الساطعة وأثماره اليانعة وكلمة الختام أن علياً - وعلى ذكره آلاف التحية والسلام - فوق العبقريات ولا يقاس بمقاييس العقول .

وبمناسبة هذا المقال الضافي نذكر لشيخنا الإمام الفقيه (ره) قصيدة^(٢)

هذه القصة بتمامها العلامة الكراكجي (ره) بإسناده في كتابه القيم « كنز الفوائد » ص ٢٧٠ ط تبريز فراجع .

(١) الوتش القليل من كل شيء .

(٢) إنما اخترنا هذه القصيدة لوجود كلمتي : « جنة وفردوس » فيها اللتان تشيران إلى « جنة المأوى » و « الفردوس الأعلى » .

وقد نظم هذه القصيدة شيخنا الإمام الفقيه بمناسبة عيد الغدير قبل زهاء أربعين عاماً وتحتوي أكثر من خمسة وعشرين بيتاً مثبتة في ديوانه الموجود في مكتبته العامة في النجف الأشرف .

بديعة نظمها في مدح أمير المؤمنين (ع) :

لمعناه أسمى منك شأنا وأشمخا
لصرخته إلا حسامك مصرخا
وهدّ عروش المشركين ودوخا
بديع مزيالك العبير المضمخا
لما اختار أن تغدو له دونهم أخوا
ومن ذا الذي بالنفس من دونه سخا
ذووا الغدر فيها كيدهم قد تفسّخا
إلى الحشر لا تزداد إلا ترسّخا
أتى نحوه الثاني (فحياً بخبخوا)
فيا لك من عهد مع الغدر أرخا
وفضلك يأبى أن يزول وينسخا
على رغمهم تزداد بالفخر فرسخا
ولكن بوحدانيّة الحق أرخا
من النار ان حطّ العذاب ونوخا
وأنت الرخا للخلق إن أعوز الرخا

إمام الهدى هل أبدع الله آية
كم استصرخ الإسلام يدعو فلم يجد
وكم شاد للتوحيد عرشا من الهدى
وهل فاح للأصحاب نشر ولم يكن
ولو وجد المختار مثلك فيهم
فمن ذا الذي قد ذبّ عنه بسيفه
لذا اختصّه يوم الغدير برتبة
بها عقد الباري على الخلق بيعة
فأصبح مولى المؤمنين وعندها
وسرعان ما خفوا لنقض عهودهم
وقد تنسخ الأيام فضلاً لذي حجة
فإن حاولوا أن ينقصوك قلامه
نبوة حقّ عاضدتها إمامه
فيا (جنّة الفردوس) حسبك جنّة
فأنت إمام الحق إن ضلّت السورى

يوم التاسع من ربيع الأول

سؤال : أخبرونا عن أيام الربيع العشرة المنسوبة إلى فرحة الزهراء سلام الله عليها ومتى فرحت والرجل طعن في اليوم السادس والعشرين من ذي الحجة ، ومات يوم التاسع والعشرين منه وذلك بعد وفاتها فكيف فرحت ؟

الجواب : إن المعروف عند كثير من الشيعة من قديم الزمان أن هذه الأيام أيام فرح وسرور كما ذكر ذلك السيد ابن طائوس في الإقبال حيث قال : وجدنا جماعة من العجم والأخوان يعظمون السرور في هذا اليوم أي اليوم التاسع من ربيع ويذكرون أنه يوم هلاك كذا ، وأشار إلى الرواية الضعيفة المنسوبة إلى الصدوق^(١) وقال السيد رضوان الله عليه لم أجد رواية يعتمد عليها تؤيد تلك الرواية ، ولكن لعل فرح الشيعة بذلك اليوم من جهة أن الإمام الحسن العسكري سلام الله عليه توفي على أصح الروايات يوم الثامن من ربيع الأول ويكون يوم التاسع أول يوم من إمامة الحجة عجل الله فرجه ، وينبغي أن يتخذه المؤمنون عيداً كما يتخذ الناس أيام جلوس ملوكهم عيداً ، ثم ذكر بعض التوجيهات لاحتمال كون قتل الرجل في ربيع وكلها في غاية البعد ، انتهى ما أفاده قدس سره مع شرح وتوضيح منا .

(١) الظاهر أنها الرواية التي نقلها السيد نعمة الله الجزائري (ره) في الأنوار النعمانية ولنا كلمات حول تلك الرواية الضعيفة ذكرناها في تعليقاتنا على ذلك الكتاب أنظر ج ١ ص ١٠٨ = ١٠٩ ط تبريز .

وأقول أيضاً ويحتمل أن يكون سبب فرحة الزهراء سلام الله عليها هو أنّ اليوم التاسع والعاشر من ربيع الأوّل هو يوم إقتران أبيها رسول الله (ص) سيّد الكائنات بوالدتها البرّة الطاهرة خديجة الكبرى ولا شك أنّ الزهراء كانت تظهر الفرح والسرور بذلك اليوم من كلّ سنة إفتخاراً بذلك الشرف العظيم والخير العميم ، ويكون قد بقيت عادة إظهار هذا الفرح متوارثاً عند مواليها من الشيعة في ذلك اليوم كلّ سنة ، ولكن على مرور السنين جهلوا السبب ثمّ حوّره بعض الدسّاسين إلى غير وجهه الصحيح ؛ وبقي الإسم معروفاً عندهم وهو فرحة الزهراء (ع) والسبب مجهولاً .

ومهما كان الأمر فليس كونه يوم فرح وسرور عند الشيعة أن يؤذي بعضهم بعضاً ويتجاسر بعضهم على بعض بيد أو لسان ، أو يستعملوا بعض المفرقات المزعجة كما يستعمله بعض عوام النجف حاشا عقلائهم وأفضالهم ، وسرى ذلك الشعار الخبيث إلى جملة من بلاد الشيعة ، فإنّ جميع ذلك من أسوء الكبائر وإيذاء المؤمن محاربة مع الله عزّ وجلّ وإيذاء فظيع للأئمة ، ومن أكبر المصائب على الزهراء - سلام الله عليها - وقد قاومنا هذه العادات السيئة منذ عدة سنين وخطبنا الناس في الصحن الشريف ووعظناهم حتّى خفّت وطأة هذه المنكرات ولم يبق منها إلّا الشيء اليسير بالنسبة إلى السابق وأرجو بتوفيقه تعالى أن لا يبقى لها أثر إن شاء الله ، وإنّما الفرح والسرور أن يجلس المؤمنون في نواديبهم الخاصّة ويتلون القصائد والأشعار البديعة في مدائح أهل البيت (ع) وذكر مناقبهم ولو بالأصوات الحسنة التي لم تبلغ حدّ الغناء المحرم^(١) وفقنا الله جميعاً للأعمال الصالحة والتجارة الرابحة في الدارين إن شاء الله .

محمّد الحسين

آل كاشف الغطاء

(١) يظهر من هنا أن الغناء في نظر الشيخ (ره) غير صوت الحسن فما نسه إليه بعض من أن الشيخ (ره) كان يجوز الغناء إفتراء عليه وناشيء عن عدم فهم كلامه .

كسائر الإفتراءات التي ذكروها في حقه وقد أشرنا إلى واحد منها في مقدمة هذا الكتاب .

هل النار محرمة على ذرية الزهراء "ع"؟

السؤال الأول : حدّثنا طائفة من الأخبار أن ذرية الزهراء (ع) قد حرمت عليهم النار حتّى لو كانوا من المخالفين ، نعم يستثنى منهم من ادّعى الإمامة لنفسه في تفسير قوله تعالى ؛ فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد الآية ؟ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الجواب : - يخطر على بالي كلام للإمام الرضا (ع) مع أخيه زيد المعروف بزید النار الذي خرج على المأمون ولما ظفر به عفى عنه ووهبه للإمام (ع) فقال الإمام لزيد ما مضمونه أو لفظه : أغرّك يا زيد ما بلغك أنّ رسول الله (ص) قال : إنّ الله حرّم فاطمة وذريتها على النار ، فإنّ ذلك مختصّ بذريتها من صلبها كالحسن والحسين وزينب سلام الله عليهم ، والادّلة القطعية عقلية ونقلية تؤيّد ذلك وتدلّ عليه كالحديث المشهور : خلق الله الجنّة لمن أطاعه^(١) الخ ، نعم باب العفو والشفاعة والغفران باب آخر ولا يختص بأبناء فاطمة سلام الله عليها بل يعمّ جميع شيعتها ومواليها ، والجميع ابنائها بالبنوة الروحانية - رزقنا الله شفاعتها والموافات على ولايتها .

السؤال الثاني : لقد سجل لنا التاريخ المتواتر في تصرف رسول الله

(١) لنا تعليقة هنا نذكرها في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى .

(ص) وأهل بيته في هذا العالم (أي عالم المادّة) بل وفي العوالم الأخر كعالم المثال ، وعالم الصورة ، حتى إنتهت الحقيقة المحمّدية إلى عالم السرمد كما في حديث الأسراء ، وكسير أمير المؤمنين (ع) من المدينة إلى المدائن ، وكصلاة ألف ركعة وكجواب الجواد (ع) عن ثلاثين ألف مسألة في مجلس واحد وكما أخبرتنا صوادر قدسيّة من الله عزّ وجل كقضية عزرة وعزير وأمثالها لأمثالهم ، فهل صدور هذه الكرامات منهم إلّا تصرف في الاكوان كقصر الدهر ومدّه وهي ليست محالات عقليّة لا يجوز وقوعها ؟ فأرجو الجواب المقنع لأهل العصر الراقي مهد الحضارة المدنيّة ؟ .

الجواب : القضية تحتاج إلى مزيد بسط وسعة بيان لا يسع المقام منه إلّا الإجمال والإشارة وهو أنّ العوالم أربعة : اللاهوت ، والجبروت ، والملكوت والملك ، والثلاثة الأولى كلّها مجردة عن المادّة والمدّة ، أما عالم الملك وهو العالم المادي وما تحت العرش فهو قسمان : قسم يحتاج إلى مادّة فقط وهو عالم الأفلاك والكرات النيرة المعلقة في الفضا التي ينشئ الزمان من حركاتها فتكون المدّة ، وقسم يحتاج إلى مادّة ومدّة معا وهو عالم الصنع وما تحت فلك القمر ، وكلّ عالم له الهيمنة على ما دونه والتصرف فيه ، فعالم الملكوت المجرد عن المادّة والمدّة له التصرف في عالم الملك للإبداع والإيجاد من دون إعداد ولا استعداد ، ولا مادّة ولا امتداد ، وبهذا المفتاح تنحل جميع المشكلات في باب المعجزات والعروج (الجسماني) وأضرابها

(١) ومما هو جدير بالذكر هنا أن لبعض المحققين في تحقيق تعدد الأمكنة كلمة قيمة لا مجال في المقام لذكرها تفصيلاً وأما إجمالها فهو أنه قسم المكان على ستة أقسام ثلاثة منها للأجسام : من الأجسام الكثيفة والمتوسطة واللطيفة ، وثلاثة منها للأرواح : من الأرواح الأدنى والوسطى والعليا ويختلف تراحم الأجسام في تلك الأمكنة بعضها مع بعض وعدمه وسرعة الحركة والسير أيضاً فيها مختلفة وللأنبياء والأولياء المعصومين (ع) مراتب ودرجات ولهم بحسب نفوسهم القدسية القدرة والإستعداد بالتصرف في جميع تلك الأمكنة والإحاطة بجميع عالم الملك والملكوت بإذن الله تعالى وأقداره ، وبعد إمعان النظر والتأمل فيما ذكره ينحل بعض الشبهات والإشكالات التي يتخيلها الإنسان كحضور الأئمة (ع) في آن واحد في أمكنة متعددة وسيرهم في مدة قليلة إلى مسافة كثيرة بعيدة وأمثال ذلك وأظن أن وجود تلك الأمكنة وسرعة الحركة فيها وتفاوتها وإمكان وجود حركات سريعة ووجودها في هذا العصر من البديهيات وأكثرها من المشاهدات =

فإنَّ العبد إذا تحقَّق بحقيقة الحقِّ وتخلَّق بأخلاق الروحانيين غلبت عليه صفات الأرواح المجردة وصار له السلطنة على العوالم المادّية يتصرّف فيها كيف يشاء بمشيئة الله^(١)، فكما أنّه جلّ شأنه يوجد المادّة من غير مدّة ولا موادّ ولا قوّة ولا إعداد ولا استعداد فكذلك وليّه أو نبيّه ، وبالجملة فالوجودات المجردة أو العقول الفعّالة (والمدبّرات أمرا) كما في لسان الشرع تمرّ على الزمان ولا يمرّ الزمان عليها وتحكم على المادّة ولا تحكم المادّة عليها ، والمادّة التي تعلّقت بها كأجسامها العنصريّة الشريفة مقهورة لروحها المجردة ويجري عليها حكم التجرد فلا يعوقها عن الإتّصال بالمأ الأعلى فضلاً عن الأدنى عائق ، وهذا رمز وإشارة ولا مجال للبسط ولكنّه من طريقة الفلسفة الإلهيّة والحكمة الروحيّة ؛ وأما من حيث الحكمة الطبيعيّة والثقافة العصريّة فيعد أن توصل علماء المادّة وفلاسفة الطبيعة إلى استخراج جملة من القوى والعناصر المودعة في الكون المحسوس التي ما كان يحلم بها أحد من السابقين فاستخرجوا الكهرباء والعناصر المشعة كالراديوم والأورانيوم وأمثالها ممّا يدهش الألباب فيما ترتّب عليها من الآثار والأسرار وعجائب المخترعات النافعة كالسيارة والطيارة ، والهاتف والحاكي ، وما إليها فضلاً عن الإكتشافات الفلكيّة والطبّ والجراحة وأضرابها ، وبعد هذا كلّه أيّ مجال للإستنكار أو الإستبعاد في أن يكون في الكون قوى كامنة وأسرار خفيّة أطلع الله عليها أنبيائه وأوليائه فيستطيع أحدهم أن ينقل بلحظة عرش بلقيس من سبأ (اليمن) إلى أورشليم (القدس) أو تكون لأمير المؤمنين (ع) قوّة طبيعيّة فضلاً عن القوّة الروحانيّة يستطيع بها أن ينتقل من المدينة إلى المدائن في دقيقة واحدة ، أو أنّ الجواد (ع) يجيب عن ثلاثين أو ثلاثة آلاف مسألة في مجلس

= والحسيات اليوم ، راجع إلى كتاب « وسيلة المعاد » للعلامة الجليل المولى حبيب الله الكاشاني (ره) تجد تفصيل ما ذكرناه .

(١) الظاهر أن المراد من المجلس الواحد هو المجالس المتوالية التي هيأها الخليفة العباسي لإظهار عظمة الجواد (ع) مع صغر سنه وإطلاق المجلس الواحد على المجالس المتوالية شائع عند العرف كما تطلق الحرب على القتال في الأيام المتعددة المتوالية كحرب صفين مع أنها طالت عدة أشهر .

واحد^(١) أي استبعاد أن يكون في الكون مثل هذه القوى الغريبة بعد أن رأينا بأعيننا (أشعة رنتجن) التي يرى الإنسان فيها بعين رأسه ما وراء الأجسام الكثيفة كصناديق الحديد بل من وراء الجدار ، ومع كثرة هذه الإختراعات الباهرة لا يزال يقول كبار فلاسفة الطبيعة ورجال المادّة ، إنّ العلم لا يزال طفلاً ، فإذا بلغ أشده وأصاب رشده سوف يستكشف ما هو أدق وأعمق وأرفع وأنفع من هذه المآثر والآثار والفوائد والأسرار .

وحقاً إنّ العلم لا يزال طفلاً فإنه حتّى الآن لم يصلوا إلى معرفة حقيقة الكهرباء مع كثرة تصرفاتهم فيها ولا أصابوا كنه الحياة وجوهرها ، ولا كنه القوة ودقائق المادّة ، ولا حقيقة العناصر التي تتركّب منها المواليد العنصريّة فضلاً عن جوهر الكواكب والشموس سوى تخمينات وتخريصات لا يعول عليها ، وكلّما ازداد الإنسان علماً ازداد علماً بجهله واعترافاً بقصوره .

والغرض من هذا كسر سورة الإستنكار والإستبعاد وأنّ أمثال (الراديو) أو (الراديوم) و (أشعة رنتجن) وأمثالها من مكتشفات هذا القرن لم تبق مجالاً للإعتماد على القواعد المقرّرة في الفلسفة الطبيعيّة القديمة مثل إستحالة الخرق والإلتام^(١) وتناهي الأجسام وأضرابها ، نعم طيّ الزمان والمكان وطيّ الأرض وبسطها ومدّ الوقت وقبضه ربّما يشكل القول بها لاستلزامها إختلاف نظام العالم الشمسي وتناثر الكواكب المرتبط بعضها ببعض على نظام مخصوص ، وآخر القول أنّ المعجزات وخوارق العادات قد تكون لها أسباب طبيعيّة فضلاً عن القوى الروحيّة ولكن لم يصل العلم بعد إليها ، وقد يصل فيما بعد وقد لا يصل ، والله أعلم بحقائق مخلوقاته وعجائب مصنوعاته .

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

(١) وبسبب تلك القواعد وقعوا في الشبهات في بعض المسائل الإعتقادية كالمعراج الجسماني لرسول الله (ص) وفتحوا باب التأويل أو قالوا بمقالات واهية تستلزم القول بالمعراج الروحاني كما صدر عن بعض المنحرفين عن الطريقة المستقيمة حيث ذكر المقدمات التي تستلزم ذلك وأما في هذا العصر فقد ظهر أنه لا مجال للإعتماد على تلك القواعد ولذا ارتفعت الشبهات بالمرّة من المعراج الجسماني والحمد لله تعالى .

كلمة الشيخ الإمام قدس سره في بني هاشم وبني أمية والحسن معاوية^(١)

العداوات ، والتباغض بين الأفراد والقبائل والجماعات ، غريزة بعيدة المدى في طبيعة البشر من أول عهده . وبدء وجوده على هذه الكرة من عهد هابيل وقابيل مستمرة في جميع الأجيال إلى هذا الجيل ، ومنشأ العداوة وبواعثها غالباً هو التنافس والتعالي والأنانية التي تدفع إلى حب الأثرة والغلبة والسيطرة ، والإستيلاء على مال أو جاه ؛ أو ولاية وإمرة وأنكى العداوات ، العداوات التي تبعث عن ترة وطلب ثأر وغسل عار للتشفي والإنقاذ ، ولكن أسوأ العداة أثراً ، وبعده مدى ، والذي يستحيل تحويله ولا يمكن زواله هو عداوة الضدية الذاتية ، والمباينة الجوهرية كعداوة الظلام للنور ، والرذيلة للفضيلة ، والقبح للحسن . والشر للخير وأمثال ذا ، فإن هذا العداة والتنافر يستحيل من أن يزول إلا بزوال أحدهما إذ كل يصاد الآخر في أصل وجوده وطباع ذاته ، وكل واحد يمتنع على الآخر فلا يجتمعان ولا يترفعان ؛ فالذوات الشريرة بذاتها وفي جوهرها تضاد الذوات الخيرة وتعاديبها ، وكل واحد من

(١) غير خفي على القاريء الكريم أن هذه الكلمة الذهبية الرائعة قد اشتملت في سر صلح الإمام الحسن عليه السلام مع خصمه معاوية على مواضع خطيرة وأبواب جديدة وأبحاث ممتعة تعد بحق آية من آيات الفن من حيث البحث ، والعمق والأسلوب : والتحليل وقد كتبوا كثيراً في سر صلح الإمام عليه السلام وأطالوا ولكن نحن نتحف القاريء العزيز بهذه الدررة الثمينة التي جاءت من المع شخصية علمية في العالم الإسلامي .

هذين المتضادين المتعاندین یجدّ ویجتهد فی إزالة الآخر ، ومحوه من الوجود كالنور والظلام لا یجتمعان فی محل واحد أبداً ، وكل منهما بطباعه یتنافى مع الآخر ویعادیه وكالفضیلة والرذیلة فی الإنسان ، وعلى هذا الطراز ، ومن هذا النوع عداوة بني هاشم وبني أمیة عداوة جوهریة ذاتیة یتستحیل تحویلها ویمتنع زوالها عداوة الظلام للنور ، والشر للخیر ، والخیث للطیب ، ویعرف كل واحد منهما بشماره وآثاره . وقديماً قیل : « من ثمارهم تعرفونهم » الشجرة لا تعرف إلا من ثمرها أنها خبیثة أم طیبة ؛ والانسان لا يعرف خبثه وطیبه إلا من أعماله وملکاته وخصاله .

أولد عبد مناف هاشماً ، وعبد شمس ، ونشب العداة بینهما منذ نشاء وشباً لا لشيء سوى اختلاف الجوهرین ، وتباين الذاتین ، ثم استشرى الشر واتسعت عدوی العداة بین القبیلین بحکم الوراثة ، وكان لكل واحد من هذا القبیل ضد له من القبیل الآخر ، فعدوه بالنسب ؛ هاشم وعبد شمس ، وعبد المطلب وأمیة ، وأبو طالب وحرب ، ومحمّد (ص) وأبو سفیان ، ما اشرفت أول بارقة من أشعة الاسلام ، وما اعلن البشیر النذیر بدعوة التوحید إلا وثارت نعة الشرك والوثنیة لطمس أنوار الاحدیة وقام بحمل معاول المعارضة والهدم لما ینه ، ویتبناه منقذ البشیریة من مخالب الوحشیة ، قام بها ثالث الجبت والطاغوت ، أبو جهل ، وأبولهب ، وأبو سفیان ، وكان الثالث زعیم الحزب الأموی أشدهم مناوئة للاسلام ومحاربة له ؛ نصبوا كل القبائل ، وتوسلوا بجمیع الوسائل لاختفات صوته ، واخماد ضوئه ؛ واعملوا كل بأس وسطوة فی مقاومة تلك الدعوة ، حتی ألجأت جماعة ممن تدين بها فهاجروا إلى الحبشة ، وتحمل النبی واصحابه من الاضطهاد والأذى أكثر من عشر سنین حتی اضطرّ إلى الجلاء من وطنه ووطن آبائه ، ومركز عزّه ، فهاجر إلى یثرب فطارده أبو سفیان ، وتلاحقه إلى دار هجرته ، وما رفعت رایة حرب على الإسلام إلا وبنو أمیة وزعیمهم أبو سفیان قائدها ورافعها یلهب نارها ویثیر غبارها ویتربّص باخماد ذلك النور ، الدوائر ، ویهیج نعة القبائل ، إلى أن فتح الله الفتح المبین وأمكن الله نبیه من جبابرة قریش وملکهم عنوة ، فصاروا عبیداً وملکاً بحکم قوانین الحرب ، والاستیلاء على المحاربین ، بالقوة

والسلاح ولكنه سلام الله عليه أطلقهم وعفا عنهم ، وقال لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء واكتفى منهم بظاهر الاسلام واطلاق لسانهم بالشهادتين ، وقلوبهم مملوءة بالكفر والحقد على الاسلام ، يتربصون الفرص لمحو سطوره : وقلع جذوره « ما اسلموا ، بل استسلموا . ولما وجدوا أعواناً على الاسلام وثبوا » ما تغير شيء من نفسيات أبي سفيان وبنى أمية بعد دخولهم في حظيرة الاسلام قلامة ظفر ، انما تغير وضع المحاربة ، وكيفية الكفاح والمقاومة .

دخل أبو سفيان ومعاوية في الإسلام ، ليفتكوا في الإسلام ويكيدوا له والعدو الداخل أقدر على الكيد والفتك من العدو الخارجي وهذه العداوة ذاتية متأصلة ؛ والذاتي لا يزول وليست هي في تنافس على مال ، أو تراحم على منصب أو جاه ، بل هي عداوة المبادئ عداوة التضاد الطبيعي ، والتنافر الفطري ، عداوة الظلام للنور ، والضلال للهدى والباطل للحق والجور للعدل ولذا بقي بنو أمية على كفرهم الداخلي ومكرهم الباطني مع عدادهم في المسلمين وتمتعهم بنعم الإسلام وبركاته لكن لم يمس الإسلام شعرة من شعورهم ولا بل ريشة من أجنحتهم ، كالبط يعيش طول عمره في الماء ولا يبيل الماء ريشة منه (فيما يقولون) نعم أقرؤا بإسلامهم حقنا لدمائهم وتربصاً لسنوح الفرصة لهدم عروش الإسلام وقواعده ، حتى إذا أدلى من كانت له السلطة بالخلافة إلى أول خليفة منهم طاروا فرحاً ؛ وأعلنوا ببعض ما كانت تكنه صدورهم ، فجمعهم أبو سفيان وقال : « تلقفوها يا بني أمية ، تلقف الكرة ؛ فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار » .

ثم أخذوا زمام الخليفة الأموي بأيديهم ، وصاروا يقودونه « كالجمل الذلول » حيث شاءوا ، فاتخذوا مال المسلمين دولاً ، وعباد الله خولاً ، وانتفضت بلاد المسلمين من جميع أقطارها عليه وعليهم إلى أن حاصروه في داره ، وضايقوه على أن يخلع نفسه من الخلافة . ويجعلها شورى بين المسلمين فتعاس وتصلب أولاً ، ثم لما اشتد الحصار عليه وجبسوا عنه حتى الماء والطعام تراخت أعصابه ، ووهنت أطنابه ، وحاول أن يخمد نار الفتنة بخلع نفسه إجابة للثائرين الذين شددوا الحصار فأحس بنو أمية وقيادتهم يومئذ بيد مروان في المدينة ، ومعاوية في الشام ، بأن صاحبهم إذا خلع نفسه فسوف يفلت

الحبل من أيديهم ، وقد غلط الدهر أو غلط المسلمون غلطة يستحيل أن يعودوا لمثلها أبداً ، وبأيّ سابقة ، أو مكربة لبني أمية أو جهاد في الإسلام يستحقون أن تكون خلافة المسلمين في واحد منهم ، وهم أعداء الإسلام وخصومه في كل موقف من مواقفه ، وفي كل يوم من أيامه ، أدرك كل ذلك مروان ومن معه من حزبه ، فتواطئوا مع زعيمهم بالشام أن يجهزوا على صاحبهم فيقتلوه قبل أن يخلع نفسه وقبل ان يفلت حبل الحيلة من أيديهم ، نعم يقتلونه ويتخذون قتله ذريعة إلى مطالبة فئة من المسلمين بدمه ، ويتظاهرون لسائر المسلمين بأنه قتل مظلوماً ولا بدّ من الأخذ بثأره فيكون أقوى وسيلة إلى استرجاع الخلافة إليهم ، ولولا قتل عثمان وقميص عثمان لما صارت الخلافة إلى معاوية ومروان وأبناء مروان ، ولكان من المستحيل أن يحلموا بها في يقظة أو منام ، ولكن جاءت صاحبهم الأول من غير ثمن ، وقد دفعها إليه من قبله دعفاً ، نعم أراد السابق أن يحولها عن بني هاشم إلى خصومهم الألداء بني أمية فقتل حبل الشورى ، وأبرمه بحيث تصير الخلافة لا محالة إلى عثمان وما اكتفى بذلك حتى نفخ روح الطموح إليها في نفس معاوية الطليق ابن الطليق ؛ وهو وأبوه أكبر الأعداء للإسلام ، كان كل سنة يحاسب عماله ويصادر أموالهم ، ويعاملهم بأشدّ الأحوال إلا معاوية ، تتواتر الأخبار لديه بأن معاوية يسرف في صرف أموال المسلمين ، ويلبس الحرير والديناج فيتغاضي عنه بل يعتذر له ، ويقول : « ذاك كسرى العرب »^(١) مع أن معاوية كان من الضعة والفقر والهوان بأقصى مكان ، كان من الصعاليك الساقطين في نظر المجتمع حتى أن أحد أشرف العرب وفد على النبي (ص) ولما أراد الخروج أمر النبي (ص) معاوية أن يشيّه إلى خارج المدينة وكان الحرّ شديداً والأرض يغلي رملها ويفور ومعاوية حافي القدمين ، فقال للوفاد الذي خرج في تشييعه :

« إردفني خلفك » .

(١) في كتاب « الأمالي » للقالي البغدادي ما هذا لفظه . قال : وكان عمر إذا نظر إلى معاوية يقول : هذا كسرى العرب ، قال : فكان معاوية يقول : ما رأيت عمر مستخياً رجلاً قط إلا رحمته ، أنظر الأمالي ج ٢ ص ١٢١ ط ٢ مصر ١٣٤٤ هـ .

- أنت لا تصلح أن تكون رديف الأشراف والملوك ! .

- ألا فأعطني نعليك أتقي بهما حرارة الشمس .

- أنت أحقر من أن تلبس نعلي .

- ما أصنع وقد احترقت رجلاي ؟ .

- إمشي في ظل ناقتي ولا تصلح لأكثر من هذا !!! .

تعسا لك يا زمان وأف لك يا دهر هذا الصعلوك النذل صار أو صيروه

كسرى العرب !!! .

نعم : معاوية ومروان هما اللذان دبّرا الحيلة في قتل عثمان ، ومكّنوا
الناشرين من قتله ، وقضية الجيش الذي أرسله معاوية من الشام إلى المدينة
ووصيته له بأن لا يدخل المدينة حتى يقتل عثمان تشهد لذلك وهي مشهورة .

نعم : وقد أعانهم على قتله أيضاً إحدى زوجات النبي التي كانت
تهرج على عثمان وتصرخ في النوادي « أقتلوا نعتلاً قتل الله نعتلاً » ثم بعد أن
امتلوا أمرها وقتلوه ، ثارت أو أثاروها إلى الطلب بدمه ، وكانت من جراء ذلك
واقعة الجمل التي ذهب ضحيتها عشرون ألف من المسلمين وفتحت باب
الحروب بين أهل القبلة ، وقال أحد شعراء ذلك العصر يخاطبها ويؤنبها :

وأنت البلاء وأنت الشقاء وأنت السحاب وأنت المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام وقلت لنا إنه قد كفر

وقال الآخر :

جاءت مع الأشقيين في هودج تزجى إلى البصرة أجنادها
كأنها في فعلها هرة من جوعها تأكل أولادها

وهذه النكات التي رشح القلم بها هنا وهي من أسرار دقائق التاريخ
والتي قل من تنبه لها إنما جاءت عفواً ، وما كانت من القصد في شيء ، إنما
المقصود بالبيان أن معاوية وأبا سفيان لما بهرهما الإسلام وقهرهما على
الدخول فيه حفظاً لحوبائهما من التلف ؛ أظهرها الإسلام صورة وأضمرا الكيد

والفتك به سريرة ، وبقياً يتربصان فكلما سنحت فرصة لذلك ظهرت ركيزتهم في أقوالهم وفي أعمالهم .

وكان معاوية أدهى من أبيه الذي كبر وخرّف في آخر عمره ومن دهائه وعزمه كان يحتفظ بصورة الإسلام مدة إمرته بالشام عشرين سنة فلا يصطدم بشعيرة من شعرائه ، ولا يتناول إلى اعتراض قاعدة من قواعده فلا يتجاهر بشرب الخمر والأغاني ولا يقتل النفس المحرمة ، ولا يلعب بالفهود والقرود . ولا يضرب على المزمار والعود ، نعم : قد يلبس الحرير والديباج وطيلسان الذهب ولا بأس بذلك فإنه « كسرى العرب » وما احتفظ بشعاير الإسلام إلا لحاجة في نفس يعقوب ، ومن باب الهدوء قبل العاصفة والمشي رويداً لأخذ الصيد .

بقي على ظاهر هذا الإيمان المبطن بالكفر مدة مخالفته ومحاربتة لأمير المؤمنين في صفين ، فلما استشهد سلام الله عليه تنفس الصعداء وغمرته المسرة ، وأمكنته الفرصة من اللعب على الحبل وتدبير الحيل ، ولكن بعد أن بويح الحسن (ع) والتف عليه الأبطال من أصحاب أبيه ، وشيعته ومواليه ومنهم الرؤوس ، والضروس والأنياب ، والعديد ، والعدة ، والسلاح ، والكراع ، فوجد أنه وقع في هوة أضيق وأعمق من الأولى ، فإن الحسن (ع) سبط رسول الله ، وإبن بنته ، وريحانته ، وهو لوداعته ، وسلامة ذاته محبوب للنفوس لم يؤذ أحداً مدة عمره . بل كان كله خير وبركة ، ولم تعلق به تهمة الاشتراك بقتل عثمان : بل قد يقال إنه كان من الذابين عنه فكيف يقاس معاوية به وكيف يعدل الناس عن ابن فاطمة بنت رسول الله (ص) إلى ابن هند آكلة الأكباد . اقلق معاوية ، وأقض مضجعه التفكير بهذه النقاط المركزة التي لا مجال فيها للنقاش والجدال . ولكن سرعان ما اهتدى بدهائه ومكره إلى حل عقدها وكشف كربتها . فلجأ إلى عاملين قوين أولهما المال الذي يلوى اعناق الرجال ، ويسيل في لعبه لعاب الأبطال وبعث إلى أعظم قائد من قادة جيش الحسن الذين بايعوه على الموت دونه وامسهم رحماً به وهو عبيد الله بن العباس الذي جعله أميراً حتى على قيس ابن سعد بن عبادة ذلك الزعيم

العظيم الفارس المغوار المتفاني اخلاصاً في حب الحسن (ع) وأبيه (ع) (١).

نعم : بعث إليه معاوية بأكثر من خمسين ألف ، ووعده عند مجيئه إليه بمثلها فانسل إلى معاوية في جنح الظلام ، وأصبح الناس ولا أمير لهم فصلى بهم قيس ، وهوّن عليهم ، هذه الفادحة التي أوهت عزيمة الجيش . وهيئتهم للهزيمة قبل النضال وقل ساعد الله قلبك يا ابا محمّد كيف تحملت هذه الرزايا التي أقبلت عليك متتابعة كقطع الليل ، وصار معاوية يعمل بهذه الخطة مع كل بارز من الشيعة ورجالهم وأبطالهم فاستمالهم إليه جميعاً ولم يستعص عليه ويسلم من مكره وحبائله إلا عدد قليل لا يتجاوز العشرة كقيس بن سعد ؛ وحجر بن عدي وأمثالهم ممن ناطحوا صخرة الظلم والظلال براسخ إيمانهم : وما اختلجهم الشك في كفر معاوية وأبيه وبنيه طرفة عين وكان قيس « أقسم بالله أن لا يلقي معاوية إلا وبينهما الرمح أو السيف » في قضية معروفة هذا « أول » تدبير اتخذه معاوية للغلبة على الحسن (ع) واستبداده بالأمر واغتصاب الخلافة منه .

« الثاني » وهي حيلة تأثيرها أشد من الأولى استطابها السواد الأعظم وانحرف إليها الرأي العام تلك دعوى معاوية الحسن إلى الصلح نعم : أشد مافت في عضد الحسن طلب معاوية الصلح ، فقد كانت أفتك غيلة وأهلك حيلة لأن المال كان يستمبل به معاوية عيون الرجال ، والخواص

(١) كان قيس من أكابر فضلاء الصحابة وعلمائهم وأحد دهات العرب وكرمائهم وشرفائهم ومن بيت سيادتهم ومن ذوي الرأي الصائب والمكيدة في الحرب مع النجدة والشجاعة لم يبايع أبا بكر ولكن بايع معاوية بعد أن أمره إمامه الحسن المجتبي (ع) بالبيعة له لما رأى من المصلحة ، أنظر أيها القاريء العزيز إلى جور الزمان وتسافله الذي ألجأ من لم يبايع أبا بكر إلى بيعة معاوية .

تعس الزمان فإن في أحشائه
وتراه يعشق كل رذل ساقط
بغضاً لكل مبجل ومفضل
عشق النتيجة للأخس الأزدل

مات قيس سنة : (٦٠) هـ .

منهم . أما العامة فلا ينالهم منه شيء ولكن الناس كانوا قد عضتهم أنياب الحروب حتى أبادت خيارهم ، وأخرجت ديارهم في أقل من خمس سنين ثلاثة حروب ضروس : الجمل ، وصفين ، والنهروان ، فأصبحت الدعوة إلى الحرب ثقيلة وبيلة ، والدعوة إلى الصلح والراحة لذيدة مقبولة . وهنا تأزمت ظروفه سلام الله عليه وحاسب الموقف حساباً دقيقاً ، حساب الناظر المتدبر في العواقب فوضع الرفض والقبول في كفتي الميزان ليرى أيها الرجحان ، فوجد أنه لو رفض الصلح وأصر على الحرب ، فلا يخلو إما أن يكون هو الغالب ، ومعاوية المغلوب وهذا وإن كانت تلك الأوضاع والظروف تجعله شبه المستحيل ولكن فليكن بالفرض هو الواقع ، ولكن هل مغبة ذلك ألا تظلم الناس لبني أمية . وظهورهم بأوجع مظاهر المظلومية ، بالأمس قتلوا عثمان عين الأمويين ، وأمير المؤمنين « كما يقولون » واليوم يقتلون معاوية عين الأمويين ، وخال المؤمنين^(١) (يا لها من رزية) وتهيأ لبني أمية قميص ثاني فيرفعون قميص عثمان مع قميص معاوية ، والناس رعايع ينعمون مع كل ناعق لا تفكير ولا تدبر . فماذا يكون موقف الحسن إذاً ؟ لو افترضناه ، هو « الغالب » .

أما لو كان هو « المغلوب » فأول كلمة تقال من كل متكلم أن الحسن هو الذي ألقى نفسه بالتهلكة ، وسعى إلى حتفه بظلمه فإن معاوية طلب منه الصلح الذي فيه حقن الدماء فأبى وبغى ؛ وعلى الباغي تدور الدوائر وحيث يتم لمعاوية وأبي سفيان ما أرادا من الكيد للإسلام وإرجاع الناس إلى جاهليتهم الأولى وعبادة اللات والعزى ، ولا يبقى معاوية من أهل البيت نافخ ضرمه ، بل كان نظر الحسن (ع) في قبول الصلح أدق من هذا وذلك أراد أن يفتك به ويظهر خبيثة حاله ؛ وما ستره في قرارة نفسه قبل أن يكون غالباً أو مغلوباً ؛ وبدون أن يزوج الناس في حرب ، ويحملهم على ما يكرهون من إراقة الدماء .

(١) هنا كلمة قيمة للعلامة الأكبر القاضي أبو الفتح الكراچي (ره) في كتابه « التعجب » يأتي نقلها في تعاليفنا الملحقه بآخر الكتاب إن شاء الله تعالى .

فقد ذكرنا أن معاوية المسلم ظاهراً العدو للإسلام حقيقة وواقعاً كان لوجود المزاحم يخدع الناس بغشاء رقيق من التزمت في ارتكاب الكبائر والموبقات ، وما ينطوي عليه من معاداة الإسلام وتصميم العزيمة على قلع جذوره وإطفاء نوره ؛ يتكتم بكل ذلك خوفاً من رغبة الناس إلى الحسن وأبيه من قبل فأراد الحسن أن يخلي له الميدان ، ويسلم له الأمر ويرفع الخصومة ، حتى يظهر ما يبطن ، ويبوح بكفره ، ويعلن ويرفع عن وجهه ذلك الغشاء الصفيق ويعرف الناس حقيقة أمره ، وكامن سره ، وهكذا فعل ، وفور إبرام الصلح صعد المنبر في جمع غفير من المسلمين ، وقال :

إني ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم ، وقد أعطيت الحسن شروطاً كلها تحت قدمي .

أنظر إلى القحة والصلف وعدم الحياء وضيق الوعاء وشفافة الوجه ؛ أيم الله إنه لو لم يكن لقبول الصلح إلا ظهور هذه الكلمات من معاوية لكفى بها دليلاً على افتضاح معاوية ، ومعرفة الناس بكفره ، فما ظنك به وقد استمر على هذه الخطة الكافرة ، والخطيئة السافرة ، والتحدي للإسلام وهدم قواعده جهاراً .

لولا صلح الحسن لما استلحق معاوية زياداً بأبي سفيان ، وهو ولده من الزنا ، فضرب قول رسول الله (ص) « الولد للفراش وللعاهر الحجر » ضربها بالحجر وبعرض الجدار بلا خيفة ، ولا حذار .

لولا الصلح لما قتل حجر بن عدي سيد الأوابين ؛ وعشرة من أعلام خيار الصحابة والتابعين ، قتلهم بمرج عذراء صبراً ، من دون أي سبب مبرر .

لولا الصلح لما قتل معاوية الصحابي الجليل عمرو بن الحمق وحمل رأسه إلى الشام ، وهو أول رأس حمل في الإسلام .

لولا الصلح لما سقى معاوية الحسن السم على يد جعيدة بنت الأشعث .

لولا الصلح لما أجبر معاوية البقية الصالحة من أولاد المهاجرين والأنصار على أخذ البيعة ليزيد ، وحاله في الفسق والفجور مشهور إلى كثير من أمثال هذه المخازي ، والفظايع التي لا يبلغها الإحصاء . ولكن تأمل ملياً وأنظر من الغالب ومن المغلوب ، أنظر ما صنع الحسن بمعاوية في صلحه وكيف هدّد جميع مساعيه وهدم كل مبانيه حتى ظهر الحقّ وزهق الباطل ، وخسر هنالك المبطلون فكان الصلح في تلك الظروف هو الواجب والمتعين على الحسن ، كما أن المحاربة والثورة على يزيد في تلك الظروف كان هو الواجب والمتعين على أخيه الحسين ، كل ذلك للتفاوت بين الزمانين والإختلاف بين الرجلين .

لولا صلح الحسن الذي فضح معاوية ، وشهادة الحسين التي قضت على يزيد ، وانقرضت بها الدولة السفيلية بأسرع وقت .

لولا توضحية هذين السبطين لذهبت جهود جدهما بطرفة عين ، ولصار الدين دين آل أبي سفيان دين الغدر والمكر دين الفسق والفجور دين الحانات والخمور دين العهار والقمار دين الفهود والقروذ دين إبادة الصالحين واستبقاء الفجرة الفاسقين .

فجزاكم الله يا سيدي شباب الجنة ويا سبطي رسول الله جزاكم الله عن الإسلام وأهله أفضل الجزاء ، فوالله ما عبد الله عابداً ولا وحده موحد ، وما حققت فريضة ولا أقيمت سنة ولا ساغت في الإسلام شريعة ولا زاغت من الضلال إلى الهدى أمة إلاً ولكما بعد الله ورسوله الفضل والمنة والحجة البالغة والمحجة .

جاء رسول الله بالهدى والنور والخير والبركة للإنسانية أجمع من غير لون ولون وعنصر وآخر وأمة دون أمة وقوم سوى آخرين جاء بالإسلام والنور المبين فشيّد قواعده وأحكمه وأقومه وأكمّله وأتمّه ولم يترك فيه أي نقص وأي عوج وجاء أبو سفيان والشجرة الملعونة في القرآن معاوية ويزيد ومروان فحملوا معاول الكفر والشرك وتحاملوا على تلك الأسس والقواعد يقلعون جذورها ويخمدون نورها ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم

نوره ولو كره الكافرون ﴿١﴾ فوقف السبطان بما لهما من قوة وسلطان سداً منيعاً دون ذلك البيان وما تم لهما ما أراد من حفظ شريعة جدهما إلا بالتضحية العظمى بأنفسهم وأموالهم ورجالهم وأطفالهم وبكل ما في الدنيا النعمة والنعيم والعيش الوسيم بذلوا كل ذلك في سبيل الله ولحفظ دين الله ، ولولا هذه التضحية وتلك المفادات لأصبح دين الإسلام أسطورة من الأساطير لا تجده إلا في الكتب والقماطير يذكره التاريخ كما يذكر الحوادث العابرة والأمم المنقرضة .

﴿ سبحان الله والله أكبر والله الحمد ﴾ من هنا تعرف ويجب أن تعرف السر في حفاوة المنقذ الأعظم تلك الحفاوة البليغة والتعظيم الخارج عن نطاق العرف والمعتاد بل وعن رواق التعقل والسداد ذلك النبي العظيم والشخصية الحبيبة إلى المبدء الأعظم التي ملأها هيبة وعظمة ووقاراً ، والذي لا تهزه العواصف ولا تستمليه العواطف ولا خامره في لحظة من عمره العبث واللهو واللعب الذي كانت غريزته التي فطر عليها قوله : « ما أنا من دد ولا الدد مني » والذي كان من الوقار والهيبة والأتران ربما يدخل عليه الرجل الذي ما رآه من ذي قبل فترتعد فرائضه من هيئته فيقول له النبي : « لا تفزع فإني ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » حذراً من أن يقول المسلمون فيه ما قالت النصرارى في المسيح هذا الطود العظيم ، يحمل الحسن والحسين وهما طفلان على كتفيه ويمشي بهما وهما على متنيه في ملأ من المسلمين رافعاً صوته ليسمعوا « نعم الجمل جملكما ، ونعم الراكبان أنتما » ثم يأتي الحسين وهو غلام فيعلو على ظهر النبي والنبي ساجد فلا يرفع رأسه حتى ينزل الحسين حسب إرادته ، النبي يخطب والحسين يدرج في المسجد فيعشر فيقطع النبي خطبته ؛ ويعدو إليه ويحتضنه ويقول : « قاتل الله الشيطان ، الولد فتنة لما عثر ولدي هذا أحسست أن قلبي قد سقط مني » إلى كثير من

(١) سورة ٩ آية : ٣٢ .

أمثال هذا مما صدر عنه سلام الله عليه في ولديه مما لست بصدد إحصائه وجمعه .

ولكن أقول أن هذا الشغف ، والحب اللامتاهي ليس لكونهما إبني بنته فحسب فإن هذه النسبة لا تستوجب كل هذا العطف الخارق لسياج العرف والعادة ، ولكن لا شك أن هناك أسرار وأسباباً هي أدق وأعمق ، أسرار روحية هي فوق هذه الوشايح الجسمية ، فهل ترى معي أن رسول الله (ص) لعله ارتفع عن أفق الزمان ، وأشرف بروحيته المقدسة من نافذة الدهر ، وأطل على صحيفة التكوين من ألفه إلى يائه ، فنظر إلى الماضي والحاضر والآتي نظرة واحدة ، رأى الحوادث الآتية ممثلة بعينها في صحيفة الوجود لا بصورها على شاشة التمثيل ، رأى ما كابد ولداه من الدفاع عن دينه ، والحماية لشريعته والتضحية بأنفسهم وأموالهم وأولادهم ، وأنهم أرخصوا في المفادات كل غال وعزيز ، تجرع الحسن السم من معاوية مراراً حتى قضى بالمرة الأخيرة التي تقياً بها كبده قطعة قطعة ، ثم ضرب الحسين المثل الأعلى في التضحية والمفادات لحفظ شريعة جده ، فاستقبل السيوف والرماح والسهام وجعل صدره ونحره ورأسه ورتته ، وقاية عن المعاول التي اتخذها بنو أمية لهدم الإسلام وقلعه من أساسه ، ونصب نفسه وأولاده وأنصاره ، الغر الميامين هدفاً وشبهاً لوقاية الإسلام من أن تنهار دعائمه ، وتنهد قواعده وقوائمه ، بهجمات الأمويين عليه ، حتى سلم الإسلام وأشرقت أنواره ، وعلمت أسراره ، وهلك الكافرون وخسر هنالك المبطلون ، وكانت كلمة الله العليا ، وكلمة أعدائه السفلى ، وكل مسلم من أول إسلام الناس إلى اليوم بل وإلى يوم القيامة مدين ورهين بالشكر والمنة لهذين الإمامين ؛ ولولا تضحيتهما التي ما حدث التاريخ بمثلها أبداً .

نعم لولا تلك التضحية لعاد الناس بمساعي الأمويين إلى جاهليتهم الأولى بل أتعس ، إذاً فهل تستغرب من النبي (ص) تلك الحفاوة والتعظيم لهما وهما طفلان صغيران ، وقد عرف بل رأى بعين بصره تلك الحوادث الفجيعة ، وذلك الكفاح المرير من أجله وفي سبيله ، وكان يشمهما ويضمهما

ويقول : « هما ولدائي وريحانتاي » وباليقين أنه كان يتنمَّس منهما العبق الربوبي ، ويتوسم بهما الألق الإلهي ، وبهذا نعرف ويجب أن نعرف أن الحسن والحسين ، نور واحد لا يفضل أحدهما على الآخر قدر عرض شعرة كل واحد منهما قد قام بواجبه ؛ وأدى رسالته ؛ وعمل بالمنهاج المقرر له من جده وأبيه والصك الذي تسلمه في أول يوم من إمامته ؛ إذا أردت التوسع في معرفة عظمة الحسن سلام الله عليه وشجاعته ، وبسالته ، وقوة قلبه ، وشدة عارضته ، وبليغ حجته ، وعدم اكترائه بزخارف الملك ، وأبهة السلطان ، فانظر إلى كلماته واحتجاجاته في مجلس معاوية مع رؤوس المنافقين وضرور الكفرة الملحدين الذين كان معاوية يحرش بينهم وبين الحسن ليضحك على ذقونهم ، كابن العاص وابن شعبة ومروان ونظرائهم من زبانية جهنم الذين ما آمنوا بالله طرفة عين أنظرها وأعجب بها ما شئت هناك تتمثل لك العظمة في أوج رفعتها ، وتتصور لك البسالة في موج لجتها ، وإن شئت المزيد فانظر إلى كلماته ساعة الموت ويوم انطلاقه من هذا السجن .

الكلمات التي قالها لأخيه محمد بن الحنفية في حق أخيه الحسين ، هنالك تفتح لك أغلاق أسرار الإمامة ، ويتضح لديك إشراق أنوار النبوة والزعامة ، وتعرف المرعوية النبوية والولاية الكلية هنالك الولاية لله « والنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » ومن كنت مولاه فعلي مولاه وإنما وليكم الله ورسوله الآية .

وقد زحف القلم ، وخرج عن المحدد واشتمر عن قصد الجادة وجادة القصد ، إنما القصارى التي أردتها من كلمتي هذه أن العداوة بين بني هاشم وبني أمية ذاتية متأصلة هي عداوة الهدى للضلال ، والنور للظلام ؛ ويشهد لذلك أنك لو استعرضت سيرة بني أمية من أولهم من عبد شمس إلى آخرهم مروان الحمار لم تجد في صحيفة الكثير بل الأكثر منهم إلا الغدر والمكر وبكت العهود ، والفسق والفجور ، والعهر والخنا وأنباء الزنا إلى كل ما يتحملة لفظ الرذيلة من المعاني .

وإذا استعرضت سيرة بني هاشم من أولهم ليومنا هذا لم تجد في

صحيفة الكثير بل الأكثر منهم إلا كلما تحمله لفظ الفضيلة من الوفاء والصدق والشجاعة والعفة ، وطهارة المولد ، وشرف النفس وعلو الهمة ، والتضحية في سبيل المبدأ . وما إلى ذلك من كرم الأخلاق ، وطهارة الأعراق ، وهب أن هناك من يعذر بني أمية في عداوتهم لبني هاشم ويقول : إنهم اتخذوها ذريعة ووسيلة إلى الملك والسلطان . ولكن ما عذر الموالين لبني أمية في هذا العصر ما عذر الأموية الحديثة ، التي لا تنال بذلك حظاً من حظوظ الدنيا ولا نصيباً في الآخرة .

﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾^(١) ﴿ خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴾^(٢) .

والحمد لله الذي فقأ عيني الكفر والنفاق ، وأقر عيني الإسلام والإيمان بالحسن والحسين ، والعترة الطاهرة ، ونسأله تعالى كما منّ علينا بمعرفتهم وولايتهم أن يحشرنا في زمرةهم ، ويكرمنا بشفاعتهم والبراءة من أعدائهم وعداوتهم :

أواليكم ما دجت مزنة وما اصطخب الرعد أو جلجلا
وأبرء ممن يعاديكم فإن البراءة شرط الولا

وحقاً إن الزكي أبا محمد سلام الله عليه في المدة القصيرة التي عاشها بعد أبيه تحمل من الرزايا والمحن ما لم يحتملها نبي أو وصي نبي ، وما هي بأقل من المصائب التي جرت على أخيه أبي عبد الله (ع) يوم الطف فإن النكبة الأليمة ، والضربة الأثيمة في الأخوين واحدة وإن اختلفت الأشكال والأساليب وكما أن الحسين قابل رزاياه بالصبر الذي عجبت منه ملائكة السموات فكذلك الحسن قاتل عدوه ، وقابل آلامه وأرزائه بصبر عجيب ، وصدر رحيب ما هان يوماً ولا لان ، ولا تضرع ولا استكان وما أخذ من

(١) سورة كهف آية : ١٠٣ - ١٠٤ .

(٢) سورة الحج آية : ١١ .

أمواله التي اغتصبها معاوية منه وضارت العوية بأيدي بني أمية ، ما أخذوا واحداً من آلاف بل من مئات الآلاف وكما لا مساغ للتفاضل بين هذين النيرين ، كذلك لا يصح القول بأن صبر الحسن دون صبر الحسين ، أو أنّ مصيبتهم أهون المصيبتين ، فسلام الله عليكما يا إمامي الهدى وسليبي عليّ والزهاء ما أزهرت الفضيلة واكفهرت الرذيلة .

وأختم كلمتي بأبيات من خاتمة قصيدة رثاء لسيد الشهداء نظمتها منذ مدة تزيد على خمسين سنة أستهلها :

خذوا الماء من عيني والنار من قلبي ولا تحملوا للبرق منا ولا السحب
وأختمها :

بني الشرف الوضاح والحسب الذي تناهى فأضحى قاب قوسين للرب
لئن عدت الأحساب للفخر أو غدت تطاول بالأنساب سياراة الشهب
فما نسبي إلا انتسابي إليكم وما حسبي إلا بأنكم حسبي

حرر هذه الكلمة بأنامله الرقيقة ، وأقلامه السقيمة مرتجلاً مترسلاً في بضع سويغات آخرها يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان يوم وفاة سيد الوصيين وإمام الصديقين أمير المؤمنين عليه آلاف السلام والتحية سنة ١٣٧٣ هـ .

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

بمدرسته العلمية بالنجف الأشرف

حسين مني وأنا من حسين

ورد إلى الإمام كاشف الغطاء رحمه الله من الكويت سؤال عن معنى قول رسول الله (ص) (حسين مني . . .) فأجابه الإمام بجواب غالي .

السؤال :

إلى مولاي حجة الإسلام والمجاهد الأكبر في إحياء المذهب الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء المحترم : دمت بالعزيز والهنا ؛ أدام الله تعالى ظله الظليل بعد تقديم فروض التحيات مع واجب الإحترام بتحية الإسلام وأتمنى لكم السعادة والإقبال .

مولاي : أسمع من كثير من الخطباء على منبر الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام أحاديثاً جمّة يذكرونها عن النبي (ص) ومن جملتها هذا الحديث : حسين مني وأنا من حسين ، وكلّما أمعنت النظر وأكثرت من التفكير فيه لم أصل إلى حدّ يوفقني عنده ، فأعلم في قوله (ص) (حسين مني) هو أنّ الحسين ولد من فاطمة (ع) وفاطمة ابنة الرسول (ص) ولكن يقف حدّي وأتخرج في تفكيري ويختلف عقلي في تفسيرها . وعلمت أنّك أنت الملاذ الوحيد في صدور هذه المسائل ، ولذا كتبت لشخصكم الفدّ هذا الكتاب راجياً منكم تفسيرها على الوجه الاكمل .

هذا ولا عدمننا وجودكم ، ودمتم نبراساً وعلماً للأمة والمذهب ،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

في ٤ محرم الحرام سنة - (١٣٦٨)

خادمكم المحتاج : أحمد مراد محمّد

بسمه تعالى

الجواب :

ورد في كتابك المؤرّخ ٤ محرم ١٣٦٨ هـ بخصوص الحديث النبويّ الحسينيّ المشهور الذي أصبحت شهرته تغني عن البحث في صحّة سنده وعدم صحّته . وهو قوله (ص) : حسين منّي وأنا من حسين ، وإنّ عقلك قد اختلف عليك في تفسير الجملة الثانية ولم تستطيع أن تحمله على تفسيرها وتطلب منّا بيان معناها وتفسيرها على الوجه الأكمل ، وقد طرق باب هذا السؤال كثيرون قبلك منّا ومن غيرنا ، ونحن لا ندري كيف فسّره غيرنا^(١) والذي نحتمله فيه عدّة وجوه نذكرها ونشير في كل وجه إلى ما يؤديه وإلى ما يبعده .

الأول : من المحتمل أنّ المراد به هو الدارج المتعارف حيث يقول الرجل لولده أو أخيه أو أحد أقربائه : أنا منك وأنت مني ، ويستعمل في مورد الكناية من شدّة الإتصال والقرب المقتضى للمودّة والمحبّة لأنّهما من شجرة واحدة ومتفرّعات من أصل واحد ، فيكون المراد والله العالم : إنّي أنا والحسين من نور واحد وشجرة واحدة أحبّه ويحبّني وأتصل به ويتصل بي ؛ ويؤيّد هذا المعنى شيوع هذا الإستعمال وكثرته والمشكوك يلحق بالأعم الأغلب ، والذي يبعده أنّه معنى تافه لا مزيّة فيه للحسين (ع) بل ويشاركة أبوه وأخوه بل سائر بني هاشم ، وسياق الكلام يقتضي أن يكون المراد بيان

(١) قال السيد عبد الله الشيرازي في مصابيح الأنوار : روي عن النبي (ص) أنه قال : حسين ... والأشكال في الفقرة الثانية ، وقد قيل في توجيهها أنّهما لما كانا من نور واحد ثمّ قسما صدق أن كل واحد منهما من الآخر ؛ أنظر ج ٢ ص ٣٩٩ ط النجف .

مزيّة تختصّ بالحسين من النبيّ (ع) دون غيره .

الثاني : أن يكون المراد - والله أعلم - المعنى الذي يقصد بقولهم النخلة من النواة والنواة من النخلة ، وفي الشجرة بذرة منها توجد الشجرة ، فيكون كناية عن كون الحسين (ع) قد انطوى فيه جميع كمالات الشجرة أي كمالات النبيّ (ص) ففيه كمالات النبوة المعنويّة دون النبوة الظاهريّة الرسميّة ، وهذا المعنى يؤيده مساعدة الإعتبار ومطابقة الحقيقة والوجدان ، وبعده أن لازمه اختلاف سياق الجملتين كما لا يخفى عن المتأمل .

الثالث : من المحتمل أن يكون المراد الإشارة إلى ما هو المعلوم والمقطوع به من أنه لولا شهادة الحسين (ع) لما بقي للإسلام إسم ولا رسم فإنّ أبا سفيان ونغلاه (معاوية ويزيد) ، حاربوا النبيّ (ص) في الجاهليّة وحاربوه في الإسلام لمحو الإسلام وطمس آثاره وأنواره وقد تسنى لهم ذلك بعد شهادة أمير المؤمنين عليّ (ع) واستقامة الأمر لمعاوية بعد صلح الحسن (ع) ، ولو تمّ الأمر ليزيد كما تمّ لأبيه لمحي الإسلام بالتمام وأعاد الجاهليّة على بكرة أبيها وبتمام معانيها ، ولكن جرى الله الحسين (ع) عن الإسلام أحسن الجزاء فلقد حفظه بشهادته وفداه بدمه ودم الصفوة من أهل بيته وأصحابه الذين ما خلق الله لهم مثيلاً على وجه الأرض لا في عصرهم فقط بل منذ خلقت الدنيا إلى وقتك هذا ، فبقاء شريعة الإسلام ونبوة النبيّ (ص) من الحسين (ع) ، وهذا المعنى عال شريف ، وهو عين الحقيقة والواقع ، وهي مزيّة اختصّ بها دون أبيه وأخيه فضلاً عن غيرهم ؛ ولكن يبعده استلزامه اختلاف سياق الجملتين أيضاً ، إذ يكون الحاصل حسين منّي ولادة ، وشريعتي من الحسين بقاءً واستدامة .

الرابع : وهو أعلى المعاني ولعلّه أصحّها وأجمعها وربّما تدرج تلك الوجوه في طيه ، وهو يحتاج إلى بيان مقدّمة تمهيدية تشمل على أمرين الأوّل : أن الولادة التي هي عبارة عن تكوّن شيء من شيء وانثاق كائن من كائن آخر تقع في الخارج على ثلاثة أنواع .

الأول : تولّد جسم من جسم ومادّي من مادّي كتولد حيوان من حيوان ونبات من نبات ومعدن من معدن ومنه تولد إنسان من آخر ، فيتحقّق إنتراع البنوة والأبوة والأمومة ، وهذا هو التوالد الجسماني المحض .

الثاني : تولّد روح من جسم كتولد أرواح الحيوان من جسمه ، وتوالد أرواح البشر من أجسامها على ما حقّق في محلّه من أنّ النفس جسمانيّة الحدوث روحانيّة البقاء^(١) ، وإنّ الروح تتكوّن من جسم الإنسان أو الحيوان كما تتكوّن الثمرة من الشجرة .

وأما أحاديث خلق الأرواح قبل الأجسام بألفي عام فهي محمولة على معان أخرى من الحكمة العالية والمعارف المتعالية ممّا لا مجال لذكرها هنا ، وهذه الولادة برزخ بين الولادة الجسمانية المحضة والروحانية المحضة التي يأتي ذكرها لأنها روحانية جسمانية .

الثالث : تولد مجرّد وروح من روح كتولّد النفوس الكلّيّة من العقول الكلّيّة في قوس النزول وتولد العقول الجزئيّة من النفوس الجزئيّة وتولّد النفوس الجزئيّة من الأجسام الشخصيّة في قوس الصعود ، وقد قرّر العرفاء الشامخون والحكماء الإلهيون أنّه لا تنافي بين أن يتولّد شخص من آخر بالولادة الجسمانية ويكون الوالد متولّداً من ولده بالولادة الروحانيّة ؛ فأدم أبو البشر وأبو الأنبياء وكذلك هو أب لخاتم الأنبياء (ص) وبالولادة الجسمانية ولكنّه متولّد من محمّد (ص) بالولادة الروحانيّة ، ولعلّ إليه يشير شاعر العرفاء أو عارف الشعراء ابن الفارض^(٢) :

وإنّي وإن كنت ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

(١) هذا رأي صدر المتألّهين (ره) وقد حقق هذا المطلب على ضوء البراهين العلمية في كتبه النفسية كالأسفار وغيرها فراجع .

(٢) ابن الفارض هو شرف الدين أبو القاسم عمر بن علي الحموي المصري العارف المشهور صاحب القصيدة النائية المعروفة - نائية الصغرى والكبرى - توفي سنة : (٦٣٢) هـ بالقاهرة .

وشاعر أهل البيت (ع) العمري^(١) يقول في مدح أمير المؤمنين سلام الله عليه :

أنت ثاني الآباء في مبدء الدور وأبأؤه تعدد بنوه
خلق الله آدم من تراب فهو ابن له وأنت أبوه
فآباء النبي بالولادة الجسدية كلهم أبنائه وهي ولادة حقيقية بل أحق من
الولادة الجسمية .

الثاني : إن الولاية أوسع دائرة وأعلى أفقاً وأكثر أثراً من النبوة : هنالك الولاية لله ؛ وأول ولاية ولاية الله جل شأنه ﴿ الله وليّ الذين آمنوا ﴾^(١) بل وليّ كل شيء : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾^(٢) فولاية الله هي الولاية الكبرى ، وولاية النبي (ص) هي الوسطى ، وولاية أوليائه من سدره المنتهى وجنة المأوى ؛ ومن هنا قالوا إن الولاية أعمّ من النبوة وكلّ نبيّ وليّ ، ولا عكس ، والنبوة تحتاج إلى الولاية والولاية لا تحتاج إلى النبوة .

إذا تمهدت هذه المقدمة وما تنطوي عليه من الأمرين النيرين ظهر لك معنى الحديث الشريف بالوجه الأكمل : وهو « حسين مني » بالولادة الجسمانية « وأنا من حسين » بالولادة الروحانية فإنّ الحسين بوجوده السعي الكلي الخارجي العيني لا الذهني المفهومي هو الحائز بشهادته الخاصة ، وإمامته العامة لمقام الولاية العظمى ، والفائز بالقدح الاعلى من سدره المنتهى وهذه هي مجمع الولايات وغاية الغايات ، ومنها تنبثق وتتولد جميع النبوات ، فلا جرم أنّ حسيناً من محمّد (ص) ومحمّد من حسين (ع) .

محمّد النبيّ من الحسين الوليّ ونور النبوة ينبثق من نور الولاية ثمّ يصير النور واحداً ، وهنا تزول الحيثيات وتسقط الإعتبارات وليس إلّا الله جلّ جلاله

(١) أنظر صفحة (١٢٢) من هذا الكتاب .

(٢) سورة ٢ آية : ٢٥٧ .

(٣) سورة ٥ آية : ٥٥ .

وأنواره وتجلياته فأطفأ السراج فقط (فقد) ظهر الصباح لذي عينين وزال كلّ
فرق وفارق من البين ، ووصل الكلام إلى مقام لا تحتمله عقول الأنام ، وهنا
أسرار وأكوار لا يجوز نشرها وذكرها ، وكيف كان فهذا الحديث من جوامع
كلمة صلوات الله عليه ، والحمد لله وليّ الإلهام في البدء والختام .

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

الحسين كتاب الله النكوي

آية الله المرجع الديني الأعلى الإمام كاشف الغطا تفضّل فحلّى صدر (البيان) بكلمته هذه التي أعربت عن سموّ عظمته فلعمر الله لقد أوتي هذا الإمام العظيم من المواهب ما لم يؤتها إلاّ ذوحظّ عظيم ، فهو الأمير في البيان والزعيم في الفقه والمصلح الأكبر بين سائر المسلمين ، فلا بدع إذا اقتدى به الجماهير واعتنق رأيه الملايين من البشر فقد برهن طوال أربعة عقود من الزمن أنّه الحارس للدين والراعي لشرعة سيّد المرسلين ، وآثاره ناطقة ومؤلفاته شاهدة ، وأسفاره معربة عن كلّ ذلك وفوق ذلك .

البيان^(١)

جرت عادة الصحف منذ سنوات أن تفرّد عدداً خاصاً في الحسين - سلام الله عليه - عند رأس السنة مستهلّ محرّم من كلّ عام فيستنهضون أقلام الكتاب ويشحذون عزائمهم لتحبير المقالات ، فيأخذ كلّ كاتب أو شاعر أو خطيب ناحية من نواحي واقعة الطفّ ويكتب فيها ما تملي عليه قريحته وتواتيه قدرته ، وكنا كتبنا في فواتح عدّة من الصحف في مستهل السنوات الغابرة ما لو جمع ل جاء مؤلفاً مستقلاً وكتاباً فذاً ، أما لو جمع ما كتبه العلماء والأدباء والشعراء والخطباء في تلك الفاجعة ، نعم لو جمع كلّ ما قيل في تلك

(١) مجلة البيان لصاحبها الشيخ علي الخاقاني تصدر في النجف الأشرف .

الفاجعة الدامية من بدء حدوثها إلى اليوم لاستوعب ألوف الكتب والمؤلفات
 وبرزت منه دائرة معارف كبرى لم يأت لها الدهر بنظير ، وليس هذا هو
 الغرض من كلمتي هذه وإنما المقصود بالبيان : أن نهضة الحسين (ع) على
 كثرة ما نظم الشعراء فيها مما يجمع مئات الدواوين وأكثر منها الخطب
 والمقالات وألوف المؤلفات هل ترى أن كل ذلك وجميع أولئك أحاطوا بكل
 مزاياها ؟ وأحصوا جميع خصائصها وخفاياها ؟ ووصلوا إلى كنه أسرارها
 وعجائبها ؟ كلاً فإن أسرار تلك الشهادة ومزاياها لا تزال تتجدد بتجدد الزمان
 وتطلع كل يوم على البشر طلوع الشمس والقمر لا ينتهي أمدها ولا ينطفي
 نورها ولا يحد سورها ولعل أقرب مثل يضرب للحسين (ع) هو كتاب الله
 المجيد فإن هذا الفرقان المحمدي على كثرة تفاسيره وشرح نكاته ودقائقه
 وغوامض حقائقه وإعجازه وبلاغته وباهر فصاحته وبراعته لا يزال كنزاً مخفياً ،
 ولا تزال محاسنه تتجدد وأسراره تتجلى ، وفي كل عصر وزمان يظهر للمتأخر
 من إشارته ومغازيه ما لم يظهر للمتقدم فكأنه يتجدد مع الدهر ويتطور بتطور
 الزمان ، نعم القرآن كتاب الله الصامت والحسين كتاب الله الناطق ، القرآن
 كتاب الله التدويني والحسين (كتاب الله التكويني) وكل من الكتابين صنع
 ربوبي وعمل إلهي ، نعم كل الكائنات صنع ربوبي ولكن الحسين (ع)
 والقرآن صنعهما للتحدي والإعجاز ، وما تحدى الله بصنعه يعجز البشر عن
 الإحاطة به واستيعاب مزاياه وأسراره وبدائع أحكامه وحكمته ، القرآن يملئ
 على البشر في كل زمان أسرار الكون وخبايا الطبيعة ودقائق الفطرة ، ونهضة
 الحسين (ع) في كل محرم من كل سنة بل في كل سنة تملي على الكائنات
 عجائب التضحية وغرائب الأقدام والثبات ومقاومة الظلم ومحاربة الظالم ،
 تلقى على العالم دروس العزة والاباء والاستهانة بكل عزيز من نفس أو مال في
 سبيل نصره الحق وقمع الباطل والدفاع عن المبدء والعقيدة ، يلقي على
 الواعين دروس الاخلاق الفاضلة والانسانية الكاملة ، والسجايا العالية
 والملكات الزاكية وكل ما جاء به القرآن والسنة من الخلق العظيم والنهج
 القويم ، ولكن جاء بها القرآن قولاً وطبقها الحسين (ع) عملاً وأبرزها للناس
 يوم الطف عياناً ، أتريد ان تتعرف بناحية مما صنع الحسين (ع) يوم الطف

أنظر إلى الكتاب الكريم فإنَّ أقصى ما طلبه من العباد في باب الجهاد هو الجهاد بالنفس والمال فقال تعالى : ﴿ جاهدوا بأموالكم وأنفسكم ﴾^(١) والحسين سلام الله عليه لم يقنع بهذا حتّى جاهد بماله ونفسه وأولاده وعياله وأطفاله والصفوة من صحبه وأسرته . صنع الحسين (ع) يوم الطف صنع العاشق الولهان فضحى في سبيل معشوقه كلّما اعزّ وهان كان الله تعالى أعزّ شيء عند الحسين (ع) فأعزّه الله وصار ثأر الله في الارض والوتر الموتور .

نعم قلنا ولا نزال نقول ، إنّ نهضة الحسين (ع) لا تحصى أسرارها ولا تنطفي أنوارها ولا تنتهي عجائبها :

وعلى افتنان الواصفين بوصفه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

فصلوات الله عليك يا « أبا عبد الله » وعلى نهضتك المقدّسة التي حيرت الأفكار وأذهلت العقول وأدهشت الألباب . وأعجزت عن الإحاطة بها كلّ كاتب وكتاب ، على مرّ الدهور وتمادي الأحقاب .

بسمه تعالى له الحمد والمجد

موقف الحسين (ع) وأصحابه يوم الطفّ .

لقد وقفوا في ذلك اليوم موقفاً إلى الحشر لا يزداد إلاّ معالياً وذاك لأنّ موقفهم ذلك اليوم ما كان عملاً من أعمال الأنام وحادثة غريبة من حوادث الأيام بل كان عملاً ربوبياً ، وطلسماً إلهياً .

نعم هي دروس إلهية ، وتعاليم روحية ، أملاها على جوامع الجبروت وصوامع الملكوت ، لأجيال الأبدية ، وأحقاب السرمديّة ، وأعقاب البشريّة أكبر أستاذ إلهي ، ومعلّم ربوبي مع سبعين نفر من أهل بيته وخاصّته ،

(١) سورة ٩ آية : ٤١ .

وخريجي جامعته ، ما فتح الدهر سمعه وبصره على مثيل لهم قط .

وقفوا ضحوة من النهار على تلال الطفّ فألقوا على الأملاك والأفلاك والأرض والسماء والأنس والجنّ دروساً طاشت لها الأبواب ، وذهلت عندها البصائر ، ذاك لأنّ تلك الدروس ما كانت أقوالاً وكلمات ؛ وألفاظاً وعبارات بل كانت أعمالاً جبّارة ، وتضحيات قهّارة ، وعزائم ملتبهة ؛ خاضوا لجج غمرات البلاء شعلاً نارياً بل نوريةً إلتمع منها في آفاق الأبدية سطور تسجل إحتقار هذه الحياة مهما كانت شهيةً بهيةً ، وتبرهن أنّها مهما غلت وعزّت فهي أرخص ما يبذل في سبيل المبدء ، وأهون ما ينبذ في طريق الشرف والكرامة وسمو العقيدة ونبالة الذكر الخالد والمجد المؤبد ، وليست القضية قضية تقابل بين مزاج يعمل للأريحية والنخوة ومزاج يعمل للمنفعة والغنيمة ونزاع بين العقائد عراك بين الكفر والإيمان . وحراب بين الشرك والتوحيد بل بين الدين والجهود ، والروح والمادة والفضيلة والرذيلة .

نعم الحرب والتي كانت بين محمّد (ص) وأبي سفيان في بدر وأحد والأحزاب سوى أنّ الأوّل ظفر بالثاني بالغالبية وفي محاربة الحسين (ع) ويزيد يوم الطفّ ظفر الأوّل بالثاني بالمغلوبية فانعكست القضية هنا فصار المقتول هو القاتل والمغلوب هو الغالب ، والمقتول غالب ، والقاتل مغلوب نعم كان القراع والصراع على ذلك المبدء أولاً وأخيراً ، ولولا نهضة الحسين (ع) وأصحابه يوم الطفّ لما قام للإسلام عمود ولا اخضرّ له عود ، ولأماته أبو سفيان وأبناء معاوية ويزيد في مهده ، ولدنوه في أوّل عهده في لحده ولعل مراد القائل بالنخوة والحمية هذه المعاني السامية ، ولما ضاقت عليه العبارة رمز إليه بالإشارة ، وعلى كلّ فالمسلمون جميعاً بل والإسلام من ساعة قيامه إلى قيام الساعة رهين شكر للحسين (ع) وأصحابه على ذلك الموقف الذي أقلّ ما يقال فيه .

لقد وقفوا في ذلك اليوم موقفاً إلى الحشر لا يزداد إلا معالياً

هل البكاء على الحسين "ع" اغراء للشيعه

سؤال ورد للإمام كاشف الغطاء رحمه الله من فضيلة الشيخ كاظم الخطيب^(١) وهو : هل في قراءة الخطيب للأخبار الواردة في ثواب البكاء على الحسين (ع) كما هو مذكور في محلّه من المقاتل الحسينية إغراء للشيعه يوجب حرمة قراءتها ؟

الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام الله وتحياته وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد .

جزاك الله عن أخ لك في الله يواليك ويحبك لوجه الله تعالى .

ويؤسفني بل ويؤلمني أشدّ الألم أن تجول الصروف والظروف القاسية بيني وبينك فلا يتمتع بصري برؤياك ولا سمعي بحديثك ولكن لا محيص من قضاء الله وقدره ، كما لا محيص من الرضاء بقضائه والعاقبه للمتقين ، أما الأخبار الواردة في ثواب البكاء على الحسين سلام الله عليه أو زيارته فهي وإن كانت عظيمة ولكنه والله المجد والعظمة أعظم من ذلك ويستحق أكثر من ذلك ولكن اللازم على خطباء المنابر والذاكرين لرزية الحسين (ع) في هذا العصر

(١) كان رحمه الله من فضلاء خطباء الكاظمية توفي في أوائل الحكومة الجمهورية في العراق .

الذي ضعفت فيه علاقة الدين وتجراً الناس على المعاصي وتجاهروا بالكبائر أن يفهموا أنّ الحسين (ع) قتل وبذل نفسه لأجل العمل بشعائر الدين ، فمن لا يلتزم بأحكام الإسلام ويتجاهر بالمعاصي فالحسين (ع) منه بريء كبرائته من يزيد وأصحاب يزيد ، وأمّا ذكر أخبار الثواب فقط ففيها أعظم الإغراء ، وقد تنبه كثير من الكتاب وذوي الألباب ونشروا ذلك في الصحف حتى أنّ بعضهم كتب مقالاً واسعاً في هذا المعنى وجعل العنوان (جنائنا على الحسين) وحباً أنّ أكثر أعمالنا جناية عظمى على الحسين (ع) ولا مجال للبيان أكثر من هذا ، وفقكم الله لكل عمل صالح بدعاء :

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

التضحية في ضاحية الطف^(١)

إنّ التضحية والمفادات التي تسامى وتعالى بها إمام الشهداء وأبو الأئمة يوم الطفّ من أيّ ناحية نظرت إليها ، ومن كلّ جهة إتجهت لها متأماً فيها أعطتك دروساً وعبراً ، وأسراً وحكماً تخضع لها الألباب وتسجد في محراب عظمتها العقول ، واقعة الطفّ وشهادة سيّد الشهداء وأصحابه في تلك العرصات كتاب مشحون بالآيات الباهرات والعظات البليغة فهي :

كالبدر من حيث إلتفت وجدته يهدي إلى عينيك نوراً ثاقباً

* * *

أو :

كالشمس في كبد السماء ونورها يغشى البلاد مشارقاً ومغارباً

* * *

(١) تشرف مندوب (البيان) لدى الإمام الفقيده (ره) يستلمه كلمة للعدد الخاص بـ (الحسين ع - ليجعله غرة في جبين هذا العدد نفسه فأجاب الطلب فأملئ عليه هذه الكلمة البليغة في بضع دقائق) .

(العدد ٣٥ - ٣٩) السنة الثانية ١٣٦٧ هـ النجف الأشرف .

أو :

كالبحر يمنح للقريب جواهرها غرراً ويبعث للبعيد سحائباً

هذه الدنيا وشهواتها ولذائذها وزينتها وزخارفها التي يتكالب عليها البشر ويتهاوى على مذبحها ضحايا الأنام ، هذه الدنيا التي اتخذها كل واحد من الناس رباً وصار عبداً لها ولمن في يده شيء منها فلعبت بهم ولعبوا بها ، هذه الدنيا وشهواتها التي أشار جلّت عظمتها إلى جمهورتها بقوله تعالى : ﴿ زَيْنَ الدُّنْيَا حَبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسْوُومَةِ ﴾ (١) كانت كلّ هذه النفائس الدنيوية قد توفر للحسين (ع) أكملها وأجملها : من المال والبنين والنساء والخيل المسومة مضافاً إلى ما كان له من العزّ والكرامة وكلّ مؤهلات الشرف والتقدير التي استحقتها بحسبه ونسبه وبيته ومواهبه وقد كان في ذلك العصر لا يوازيه ولا يدانيه أحد في دنيا المفاخر والمآثر ، الكلّ يعترف ويعرف ماله من عظيم القدر ورفيع المنزلة ، فسلمّ المجد والصعود إلى السماء بيمينه ، ومفاتيح خزائن الدنيا في قبضة شماله . ومع ذلك كله فحين جدّ الجدّ وحقّت الحقيقة بذل كلّ ذلك وضحّى به في ضاحية يوم الطفّ ، وفي سبيل المبدء كان أهون شيء عليه كل تلك النفائس ، وما اكتفى حتّى بذل نفسه وجسده ورأسه وأوصاله وأولاده وكلّ حبيب له وعزيز عليه في سبيل حبيبه الأعلى ومعشوقه الأوّل ، أفليس هو الجدير والحري بأن يقول ؟ :

وبما شئت في هواك اختبرني
فاختيازي ما كان فيه رضاكا
يحشر العاشقون تحت لوائي
وجميع الملاح تحت لواكا
واقتباس الأنوار من ظاهري غ
ير عجيب وباطني ما واكا

(١) سورة ٣ آية : ١٤ .

ساعة الوداع لسيدهاء ع

كلما ازداد الشيء عظمة وتعالى خيراً وبركة ، وتوفرت غرر أوصافه من جميع أطرافه ، وتسامت معاليه من كلّ مناحيه ، إزدادت حيرة العقول فيه ، وقصرت الأفهام على إدراك كنهه وأداء حقّه ، هناك وما أدريك ما هناك ، تقف الأفهام ، وتنكسر الأقلام ، وتطيش الالباب ، وتوصد الأبواب دون الدخول إلى مجاز حقيقته وحقيقة مجازه ، وحلّ ألغازه ، ومعرفة سرّ إعجازه مهما أطنبت وأطالت ، ومهما أنشأت وقات ، فإنّ قصارها الاعتراف بالتقصير بل القصور عن التعبير والتصوير .

خذ إليك مثلاً على ذلك هذا القرآن العظيم فقد مضى على نزوله من المبدء الأعلى من السماء الأسمى إلى هذه الأرض السفلى زهاء أربعة عشر قرناً ألف سنة وزهاء أربعمأة عام ، وفي كل عام من الصدر الأوّل إلى اليوم تنشر عنه المقالات وتؤلّف المؤلّفات ، مطوّلّة ومختصرة عن بلاغته وفصاحته ، وإعجاز آياته ودقائق نكاته ؛ وربّما ينوف هذه النوع من المؤلّفات على الالوف بل عشرات الالوف ؛ ولكن أترى أنّ جميع اولئك الكتّبة بلغوا من عظمة مقداره عشر معشاره ؟ او وزنوا دانقاً من قنطاره ؟ او انتهلوا القطرة من بحره ؟ او اهتبلوا الذرّة من ذروته ؟ لا ولا وكّلا ولقد احسن العارف ابن الفارض فيما فرض في إحدى عرفانيّاته حيث قال :

وعلى افتتان الواصفين بوصفه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف
ولعلّ من قال إنّ القرآن لم يفسّر حتّى الآن لم يبالغ فيما قال كل ذلك
لتعاطم القرآن وتساميه ، وارتفاع أفق أسراره عن أفق إدراك البشر .
ومن هذا القبيل وعلى هذا السبيل فاجعة الطفّ التي حدثت عام إحدى
وستين هجرية ، ولا يزال المؤرخون وأرباب السير والمقاتل والفلاسفة والأدباء
وكتبة الشرق والغرب يكتبون عنها باحثين عن جريان سيرها وتسلسل اسبابها ،
وأليم وقعها ، وعظيم هولها نظماً ونثراً ، وتمثيلاً وتحليلاً ، حتى لو أمكن
تعداد نجوم السماء ، وجاز الصعود إلى الجوزاء أمكن إحصاء كلّ ما قيل وما
نظم وما نثر في هذه الحادثة النكراء التي ما حدث في عصر من العصور
نظيرها ولا حدث التاريخ بمثلها ، ولكن كأن كلّ من كتب فيها اوجز او
أطنب . وقصّراً وأطال ما اعترضها الآ من ناحيتها السطحية ولا تناولها الآ من
وجهتها التاريخية ، وما أقلّ من استطاع سبر جرحها الدامي وغورها العميق ،
وأسرارها الغامضة من كلّ ناحية من نواحيها وكلّ فصل من فصولها ، لأنّه على
الغالب غير مستطاع لهم ولا تصل إلى أقلّه أكثر او اكبر مداركهم .

على القاعدة التي افتتحنا بها كلمتنا من أنّ الشيء كلّما ازداد عظمة
تزداد فيه الحيرة ، فترتّبك الأفهام ، وتقف الأقلام ، وتعجز الأرقام ، قل لي
بربك : ريشة أيّ رسّام مصوّر مهما كان فنّاناً بارعاً ومصوراً ماهراً يستطيع أن
يمثّل ويصوّر لك حالة الحسين - سلام الله عليه - بعد الظهر بساعتين من يوم
عاشوراء بعد مصرع جميع أولاده وإخوته وبني أخيه وبني عمومته جعفر وعقيل
وجمهرة أصحابه حتى الأطفال والشباب الذي لم يبلغ الحلم ، فها هي جثثهم
على رقعة الأرض المحمرة بدمائهم في حرّ الهجير تصهرهم الشمس نصب
عينه بين المعارة والمخيم ، وقد خفقت أجنحة المنيّة على رأسه ، وجراحاته
تشخب دماً ، وقد بنى عليه درعه بنياناً ، وحال العطش بينه وبين السماء
كالدخان ، ولما رأى أنه لم يبق بينه وبين الشهادة إلاّ سويعة ، ليس بينه وبين
هبوط جسده المبضع إلى الأرض وعروج روحه المعذّبة إلى السماء ، نعم لم
يبق إلاّ هذه الحملة الأخيرة يدخل إلى الميدان ثم لا يخرج منه إلاّ ورأسه
على السنان .

نعم من ذا الذي يقتدر أن يصوّر لك الحسين (ع) وقد تلاطمت أمواج
 البلاء حوله ، وصبّت عليه المصائب من كلّ جانب ، وفي تلك الحال عزم
 على توديع العيال ومن بقي من الأطفال ؛ فاقترب من السرادق المضروب على
 حرائر النبوة وبنات عليّ والزهراء - سلام الله عليهما - فخرجت المخدرات من
 الخدور كسرب القطاء المذعور ، فأحطن به وهو سابح بدمائه ، فهل تستطيع
 أن تصوّر حالهنّ وحال الحسين (ع) في ذلك الموقف الرهيب ولا يتفطر
 قلبك ؟ ولا يطيش لبك ؟ ولا تجري دمعتك ؟ أمّا أنا فيشهد الله وكفى به
 شهيداً إنّي أكتب هذه الكلمات عصر هذا اليوم العاشر من محرّم سنة
 (١٣٧٣) هـ ولعلّها الساعة التي وقف فيها سلام الله عليه لوداع أهل بيته ،
 أكتب والقلب يرتجف ، والقلم يرتعش والعين تدمع والحشا تذوب وتتلاشى ،
 لا أدري كيف أعبر ؟ وكيف أصوّر ذلك الموقف المهول ؟ وأعجب كيف لم
 تسقط السماء على الأرض أسى وحرزاً ولوعة وشجواً ؟ غيرة الله وحبّته يريد
 أن يرتحل من هذه الدنيا ويترك هذه الحرائر والمخدرات في تلك الصحراء .
 يتركهنّ في الصحراء بين جثث القتلى ومصارع فتيانهنّ ، وبين الوحوش
 الكاسرة التي قتلت رجالهنّ وأطفالهنّ ، وتدبّر ما شئت وفكر ما وسعتك
 التفكير ، وتأمّل كيف حاله سلام الله عليه في فراقه لهنّ وهنّ بذلك الوضع
 الشائك ، وكيف حالهنّ في فراقهنّ له وهو غيرة الله ، وهنّ ودائع الله وودائع
 رسوله ، تجسّمت للحسين (ع) عند التوديع في تلك البرهة القصيرة ، وتمثّل
 له كلّ ما تصبّه سحائب المصائب على هذه الحفنة من اليتامى والنسوة الثواكل
 اللاتي ما فيهنّ إلّا من فقدت عزيزها من ولد أو أخ أو زوج وكم فيهنّ من
 فقدت كلّ أولئك وكلّ عميد لها وزعيم .

مشى الدهر يوم الطفّ أعمى فلم يدع عميداً لها وإلاّ وفيه تعثّرا
 تمثّل للحسين (ع) حالهنّ من ساعته تلك إلى رجوعهنّ إلى المدينة ، وأشدّ
 ما يشجيه ويبكيه لو كان مجال للبكاء ما يمرّ عليهنّ تلك الليلة ليلة الحادية
 عشر وصبحها يوم الرحيل مفكراً من يراقبهنّ تلك الليلة في تلك الصحراء ومن
 يحميهنّ ومن يطعمهنّ ؟ ومن يسقيهنّ ؟ .

نعم وهو - سلام الله عليه - أمام كل هذه الخواطر صابر ، وبينما هو يودّع ودائع النبوة ويأمرهنّ بالصبر^(١) إذا استعجله جيش بني أمية وناداه مناديهنّ : للنزال ودخل خيمة النساء فودّعهنّ ولسان حال كلّ واحدة يقول :

ودعته ووّدّي لو تودّعني روح الحياة وإنّي لا أودّعه

(١) رجع الحسين (ع) إلى حرمة مرة أخرى وودّعهم وأمرهم بالصبر ووعدهم الثواب والأجر وأمرهم بلبس أزرقهم وقال لهم استعدوا للبلاء واعلموا أن الله حافظكم وحاميكم وسينجيكم من شر الأعداء ويجعل عاقبة أمركم إلى خير ويعذب أعدائكم بأنواع البلاء ويعوضكم الله عن هذه البلية أنواع النعم والكرامة فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص قدركم ثم توجه إلى قتال أعدائه .

قال عمر بن سعد : ويحكم أجمعوا عليه ما دام مشغولاً بنفسه وحرمة والله أن فرغ لكم لا تمتاز ميمتكم عن ميسرتكم ، فحملوا عليه يرمونه بالسهم حتى تخالفت السهام بين أطناب المخيم وشك سهم بعض أزر النساء فدهشن وأرعين وصحن ودخلن الخيمة ينظرن إلى الحسين (ع) كيف يصنع فحمل عليهم كالليث الغضبان فلا يلحق أحداً إلا يعجه بسيفه فقتله والسهم تأخذه من كل ناحية وهو يتقيها بصدرة ونحره ، أنظر مقتل الحسين (ع) أو حديث كربلاء ص ٣٢٣ ط ٢ النجف . لسيدنا الحجة السيد عبد الرزاق المقرم النجفي وجلاء العيون للسيد عبد الله الشبر (ره) ج ٢ ص ٢٠٥ ط النجف .

هل تكلم رأس الحسين "ع"

حضرة حجة الإسلام والمسلمين وآية الله في العالمين الأستاذ الأكبر
مولانا الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء دام ظلّه .

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته المعروض لحضرتكم إنّ كثيراً ما
نسمع من الذاكرين أنّ رأس الحسين (ع) قد تكلم غير مرّة ويروون بذلك
أخباراً شتى ورواياتاً مختلفة كخبر زيد بن أرقم وابن وكيدة وغيرهما ، ويروون
أنه قد تكلم في مجلس يزيد ، فهل هذه الأخبار صحيحة أم لا ؟ فإن كانت
صحيحة فهل يمكن أن يقع مثل هذه المعجزة العظيمة الخارقة للعادة بمراى
من الناس ومسمع ، ولا يرتدع منهم أحد ؟ أو يرميه بالسحر كما رموا النبيّ
(ص) بذلك ؟ أو يغالون فيه كما غالوا في الأمير (ع) لمّا ظهرت على
يديهما بعض المعاجز ؟ فإنّ التاريخ لم ينقل لنا شيئاً من ذلك ، وهل يجوز أن
يكون جميع الذين شاهدوا ذلك الأمر العظيم معاندين مكابرين ؟ هذا ما نرجو
الجواب عنه ، ولكم جزيل الأجر والثواب .

٢٥ جمادي الأولى ١٣٤٩ هـ /

محلة السنك بغداد

حسن بن عباس

الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم : سلام عليك ودعاء لك بالسلامة والتوفيق .

نعم خبر زيد بن أرقم^(١) وابن وكيدة مروى كلاهما في بعض الكتب المعتمدة ، والمراد هنا الإعتبار التاريخي لا الإعتبار الذي عليه المدار في الأخبار التي يستنبط منها الأحكام الشرعية من الصحيح والحسن والموثق^(٢) ، بل هو من قبيل قولنا تاريخ الطبري^(٣) وتاريخ ابن الأثير^(٤) معتبران ، ويكفي في هذا المعنى من الإعتبار للخبر أن ينقله مثل صاحب البحار^(٥) والطريحي في المنتخب^(٦) فضلا عما رواه السيد ابن طاووس^(٧) في اللهوف أو الشيخ

(١) هنا تعليقة يأتي في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى .

(٢) أنظر في معرفة معاني هذه الإصطلاحات إلى كتاب « مقياس الهداية في علم الدراية » للمجتهد الأكبر العلامة المامقاني (ره) المتوفى (١٣٥١) هـ وهو أبسط كتاب وأنفعه في علم دراية الحديث فراجع .

(٣) محمد بن جرير الطبري المؤرخ الفقيه من علماء العامة صاحب التاريخ المشهور توفى (٣١٠) هـ ببغداد .

(٤) عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم الجزري المشهور بابن الاثير صاحب تاريخ الكامل واسد الغاية توفى سنة (٦٣٠) بالموصل .

(٥) المولى محمد باقر المولى محمد تقي المجلسي شيخ الإسلام والمسلمين ورئيس المحدثين المتوفى سنة : (١١١١) هـ صاحب الجامع : الكبير - بحار الأنوار - الذي هو دائرة معارف في جميع شتات الأخبار ومتفرقات الآثار ولم يلتزم مؤلفه إن كل ما جمعه فيه من الأخبار مما يمكن الركون إليه أو يلزم الإعتقاد عليه أو يصح نسبه إلى عالم التشيع . وإنما نظر مؤلفه إلى جمع متفرقات الأخبار صوتاً لها من التلف والضياح على مرور الأدوار وأما التنقيب والتحقيق وتمييز الصحيح من الضعيف وفهم معاني بعض الأحاديث والبحث حول مضامينها فهذا كله موكل إلى أنظار أهل البحث والتحقيق والنظر والتحليل وليس غرض شيخنا الأستاذ (ره) أن مجرد وجود خبر في البحار يكفي مدركاً للإعتبار ودليلاً على الإعتقاد سواء كان من قضايا وقعة كربلاء - تلك الكارثة الفجيعة - أو من غيرها .

(٦) الشيخ فخر الدين بن محمد علي الطريحي الرماحي العالم العابد الفقيه الورع صاحب مجمع البحرين المتوفى سنة : (١٠٨٥) هـ وكتابه « المنتخب » في المقتل مشهور ولا يمكن الركون إلى بعض متفرقاته .

(٧) رضی الدين علي بن طاووس الحسنی العلامة الأورع الأتقي قدوة العارفين صاحب الكرامات المتوفى سنة : (٦٦٤) هـ له تصانيف كثيرة في غاية الإتقان والضبط منها كتاب « اللهوف » في المقتل في نهاية الإعتبار والإعتقاد وما ذكره المحدث النوري (ره) أنه من تصانيف أوائل عمره لا يقتدح على اعتباره فإنه لم يغيره طيلة حياته ونسخه متحدة من حيث الوضع والأسلوب .

المفيد^(١) في الإرشاد ونظائرهم ، والظاهر أن مثل هذه الكرامات (ولا تسمى معجزات) على تقدير صحّة وقوعها ما وقعت بمرأى من عامّة الناس وإنّما هي خصوصيّة لبعض الأفراد الناقلين لها لحكمة هناك أمّا مجهولة لنا أو معلومة ، وعلى تقدير وقوع شيء من ذلك بين أمة من الناس وجمهرة من البشر^(٢) فلا يلزم من ذلك أن يرتدعوا ، وكم وقعت من الأنبياء معجزات بين أممهم فلم يرتدعوا حتّى أصابهم العذاب ، وعدم ارتداعهم وإصرارهم ليس بأعظم من

(١) أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي الملقب بـ (المفيد) شيخ الإمامية ورئيسهم ومن أركان الإسلام وأعمدة الدين - كل من تأخر عنه استفاد منه - توفي (٤١٣) هـ - وله تصانيف نفسية وآثار خالدة في تمام الإعتبار وعليها الإستناد في جميع الشؤون الدينية منها كتابه « الإرشاد » من نفائس الكتب وجلائل الآثار وهو في غاية الإعتبار .

(٢) كما يظهر للقاريء الفطن بعد الفحص والتأمل في معجزات رسول الله (ص) أن بعضاً نادراً منها لم يكن ظاهراً لعموم الناس ومرآهم في كل الأوقات كتظليل الغمامة على رأسه الشريف فإنها كانت ظاهرة لبعض الناس دون بعض من غير فرق قبل البعثة وبعدها ويظهر ما ادعيته واضحاً مكشوفاً لمن تتبع وتأمل معجزات رسول الله (ص) وسيرته أنظر أقلّاً إلى قصة الراهب « بحيراً » في « بصري » في مناقب إبن شهر آشوب (ره) ج (١) ص ٣٦ - ٣٧ ط النجف .

قال الراهب : إنني لارى ما لا ترون واعلم ما لا تعلمون ولقد رأيت له وقد أقبل نور أمامه ما بين السماء والأرض ولقد رأيت رجالاً في أيديهم مراوح الياقوت أو الزبرجد يروحونه وآخرين يثرون عليه أنواع الفواكه ثم هذه السحابة لا تفارقه ألخ يظهر من ملاحظتها أن هذه الخوارق العادات كان يراها الراهب وأبو طالب (ع) دون غيرهما من قريش ثم شرع الراهب يخبرهم بما رآه .

والظاهر أن من هذا القبيل عدم الظل لرسول الله (ص) وأنه أيضاً لم يكن بمرأى من عامة الناس في عامة الأوقات .

وغير خفي أن خوارق العادات الصادرة عن رسول (ص) قبل البعثة تسمى « إرهابات » وصدر عن رسول الله (ص) إرهابات كثيرة ذكر المؤرخ الشهير فريد وجدي المصري مقدارا منها في « دائرة المعارف » في مادة « رهص » ج ٤ ص ٣٠٠ ط ٣ مصر ، فراجع .

ومما ينبغي لفت النظر إليه هو أن الرأس الأقدس قرأ القرآن في حشد من الناس أيضاً كما نقل أنه حينما نصب في موضع الصيارفة وهنا لفظ المادة وضوء المتعاملين فأراد سيد الشهداء (ع) توجيه النفوس نحوه ليسمعوا بليغ عظاته فتحنح الرأس الشريف تحنحاً عالياً فاتجهت إليه الناس واعترتهم الدهشة حيث لم يسمعوا رأساً مقطوعاً يتحنح قبل يوم الحسين (ع) فعندها قرأ سورة الكهف إلى قوله تعالى : « إنهم فتيّة آمنوا بربهم وزدناهم هدى ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً » . أنظر مقتل الحسين للمقرم ص ٤٠٢ ط ٢ النجف .

إصرارهم على القتل من غير جرم ولا جناية ، وقد ورد في الأخبار المعتبرة أن رأس يحيى بن زكريا تكلم بعد قتله مع الجبار الذي أمر بقتله وقال له (إنها لا تحل لك) عن المرأة التي تزوجها وأمرته بقتل يحيى فلم يرتدع^(١) وسر ذلك كله أن الحرص والشهوة والطمع إذا استحكمت في النفس وصار خلقاً لها وطبعاً فيها لم يكن شيء من العبر والعظات مؤثراً فيها (وحب الشيء يعمي ويصم) إذا شاهدت النفس من تلك الغرائب شيئاً إنصرفت عن التفكر فيه وترتيب الأثر عليه أو تصرفت فيه بالتأويلات وصرفته عن وجه الحقيقة ، وإن أمة تقتل عترة نبيها وتسبي عياله لا تستبعد عليها جهود معجزة له أو كرامة ، ولو أنعمت النظر في رجال عصرنا الحاضر وما يرتكبون من الجناية على هذه الأمة المسكينه وما يقتربون من الخيانة والعدو حتى أسقطوها في هوة الإفلاس والفقير المدقع والهلاك المؤبد لوجدت من أبناء عصرك وسماسرة مصرك المتربعتين على دست الحكم بقوة الظالم الغاشم وعدو العرب والإسلام ما هو أشنع وأفظع مما يحدثنا التأريخ عنه من أبناء العصور الغابرة وأبناء الملوك الجائرة ، فلا تستبعد شيئاً بعد الذي تراه بعينك في زمانك وأوطانك والسلام .

٢٩ ج ١ سنة ١٣٤٩ هـ .

هل كان خروج الإمام (ع) إلقاء النفس إلى التهلكة ؟

بغداد بتاريخ أول شوال ١٣٥٠ هـ

من السيد صالح نجل المرحوم السيد عباس

ما يقول مولانا حجة الإسلام وآية الله الملك العلام في خروج أمير المؤمنين أرواحنا فداءه ليلة ١٩ رمضان مع علمه بقتل ابن ملجم له كما يظهر

(١) كما نقل الحجاج بن يوسف الثقفي بعدما قتل التابعي الكبير جهبذ العلماء وعالم الشهداء ومن لم يكن على الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه أعني سعيد بن جبير (رض) وسقط رأسه الشريف إلى الأرض قال : ﴿ لا إله إلا الله ﴾ .

فهل ارتدع ذلك الظالم الغشوم ؟ كلا وكلا . قتله سنة : (٩٥) هـ بواسط ودفن في ظاهرها وقبره بها .

من كلامه لأمّ كلثوم ، لو شئت لأخبرتكم بما تحت ثيابك ، وقصة أوز وغير ذلك من الدلالات ، وهل هذا الخروج من باب إلقاء النفس إلى التهلكة ؟ فلقد أكثر الجاهلون في هذه السنة بمناسبة إحتكاكهم مع أهل الأهواء المبتدعة القول والقييل في ذلك .

وجواب الشيخ المفيد والسيد المرتضي^(١) والعلامة الحلي^(٢) وغيرهم في هذا الباب لم يقبل به السائل الناقد ، فإن رأيتم - أطال الله بقاكم - أن تفيضوا علينا من المعلوم التي خصكم الله بها دون غيركم ، وتجلو الريب عن القلوب الصدية بوجيز من القول فإننا لا نريد أن نشق عليكم ، فالأمر إليكم ودمتم مؤيدين موفقين مسددين .

الجواب :

له الحمد والكبرياء

معاذ الله أن يكون ذلك من باب إلقاء النفس إلى التهلكة بل هو على الإجمال من باب الجهاد الخاص على الإمام لا الجهاد العام على عموم الإسلام . يعني أنه من باب المفادات والتضحية والتسليم لأمر الله سبحانه في بذل النفس لحياة الدين وتمييز الحق من الباطل ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ، ويميز الله الخبيث من الطيب ومن هذا الباب أقدام الحسين (ع) على الشهادة مع علمه بأنه مقتول لا محالة .

ولا شك أنهم سلام الله عليهم كانوا يعلمون بكل ذلك بأخبار النبي (ص) وحيّاً ، ولكن يحتملون فيه أن يتطرق إليه البدء ويكون من لوح المحو والإثبات وأن يكون ثابتاً خلافاً في العلم المخزون المكنون الذي استأثر الله

(١) علي بن الحسين الموسوي الشهير بـ (السيد المرتضي علم الهدى) سيد علماء الأمة وزعيم الشيعة الأكبر ومفخرة الإمامية ولد (٣٥٥ هـ) وتوفي (٤٣٦ هـ) .

(٢) جمال الدين أبو منصور الحسن بن سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر الحلي الشهير بـ «آية الله العلامة» رئيس الإمامية وزعيمها الأكبر صاحب التصانيف الممتعة توفي سنة : (٧٢٦ هـ) .

سبحانه به لنفسه فلم يظهر عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلأ ، وباب البداء باب واسع^(١) لا مجال هنا لشرحه ، وفي هذا كفاية إن شاء الله .

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

(١) مسألة البداء من المسائل الشريفة التي ينبغي البحث والتحقيق حولها ولذا تعرض لها علمائنا الإمامية وجمع منهم صنف فيها كتاباً مفرداً أو رسالة مستقلة وبعضهم تكلم فيها في أضعاف كتابه ولشيخنا الإمام الراحل (ره) بيانات بليغة كافية في هذه المسألة في كتاب « الدين والإسلام » .

وصنف عمنا العلامة المجتهد الأكبر السيد ميرزا محمود شيخ الإسلام الطباطبائي (ره) رسالة مستقلة في مسألة البداء وسمها بـ « إبداء البداء » مطبوعة في سنة : (١٣٠٢) هـ ق بطهران مع رسالة : « مسائل الدعاء » أيضاً له رحمه الله ونقل شيخنا العلامة المحدث المتبج الثقة المعتمد المولى على الواعظ الخياباني (محلة بتبريز) المتوفي ١٣٦٧ هـ - صاحب وقائع الأيام - في مجلد الصيام أفعال جمع من علمائنا وكلماتهم حول هذه المسألة أنظر صفحة ١٩٧ - ٢٣٠ وللعلامة المجاهد الأكبر الشيخ محمد الجواد البلاغي النجفي (ره) رسالة لطيفة في مسألة البداء طبعت ضمن « نفائس المخطوطات » في المجموعة الرابعة ص ٧٧ ط بغداد . وفي مكتبتنا رسائل - مخطوطة - لجمع من علمائنا في مسألة البداء لم تطبع إلى اليوم .

سؤال عن رضية أصحاب الحسين^(ع)

قال الله تعالى : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾^(١) .

سماحة العلامة المحقق والمصلح الأكبر مولانا ومقتدانا الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء دام ظلّه هذا السؤال لا أرى له جواباً شافياً إلا ما يخطه قلمكم المبارك فأرجو الجواب :

ذكر المؤرخون وأهل السير بأنّ الحسين (ع) أحلّ أصحابه من بيعته يوم كربلاء وأذن لهم بالإنصراف وقد أبوا إلاّ مواساته ، فإن صحّ ذلك فكيف يحلّهم من بيعته والحال أنّه خلاف الضرورة من دين المسلمين : من مات وليس في عنقه بيعة لإمام زمانه مات ميتة جاهليّة فكيف يأمرهم (ع) بذلك ؟ ويقول لهم أنتم في حلّ من بيعتي مع ما يترتب عليه من المحذور وهو ميتة الكفر ، ثمّ أليس الجهاد معه واجب ؟ وحفظه (ع) على الأمة واجب ؟ فكيف يأمرهم بترك الواجب وقد صمّموا على الجهاد والدفاع عنه حتى الممات ؟ ولما كان أمره واجب الطاعة فكيف لم يتفرّقوا عنه حينما أمرهم بالتفرّق عنه ؟ فبقائهم معه مع أمره بالتفرّق عنه معصية وحاشاهم المخالفة لأمر أمامهم ونهيه وهم العالمون بأنّ طاعته واجبة .

(١) سورة ١٦ آية : ٤٣ .

وإن قيل أنه أراد اختبارهم وإقامة الحجّة عليهم . فيقال هذا لا يصحّ لأنّ الإختبار إنّما يصحّ مع مشكوك الحال أو معلوم النفاق عند المختبر (بالكسر) لتتم الحجّة عليه في ذلك الحال ، أمّا هؤلاء الصفوة والعلماء الأبرار فإنّ ذلك لهم من قبيل تحصيل الحاصل لأنّهم رضوان الله عليهم بأعلى مراتب الإيمان والتقوى وإنّهم لم يطلقوا حلائلهم ولم يعرضوا عن زهرة دنياهم ، ويناصروا الحسين (ع) إلّا وهم على بصيرة وعلم من أنّه (ع) إمام تجب طاعته وتحرم معصيته ، فكيف يختبرهم بعد هذا الإخلاص والمعرفة الثابتة بوجوب طاعته ؟

١٨ ، ١ ، ١٩٥٤ م (محمد حسن عليّ)

الجواب :

إنّ فاجعة الطفّ قضية هي الوحيدة من نوعها واليتيمة في بابها خرجت عن جميع القواميس والنواميس ولا ينطبق عليها حكم من أحكام الشرائع السماوية ولا الأرضية لا الدينية ولا المدنية ، ولا ينفذ في فولاذها الحديدي (لماذا ولأن) قل لي بربك أيّ حرب في العالم برز فيها سبعون نفر إزاء سبعين ألف^(١) أولئك عطاشاً قد كظهم الجوع والظمأ وهؤلاء ملأى البطون من الطعام والشراب ، أولئك مقسمة أفكارهم موزعة ألبابهم بعيالهم وأطفالهم المعرضة للنهب والسلب ، وهؤلاء وادعة نفوسهم مجتمعة أفكارهم حيث لا عيال ولا أطفال ولا جوع ولا عطش ، قل لي بربك أيّ حرب يبرز فيها غلام لم يبلغ الحلم ولم يجبر عليه قلم التكليف بصوم وصلاة فضلاً عن الجهاد فيأذن له عمّه^(٢) في المبارزة ويتقدم إلى سبعين ألف من الأبطال لامعة سيوفهم

(١) هذا الكلام من شيخنا الأستاذ (ره) من باب ذكر التمثيل للتكثير فإنه غير خفي على الخبير أن كلمة « سبعون » أو « سبعين ألف » جارية في كلام العرب مجرى التمثيل للتكثير كما صرح به العلامة الزنجشيري في الكشف أنظر ج ٢ ص ٢٣١ ط ٢ مصر طبعة مطبعة الإستقامة وجوامع الجامع ص ١٨٣ ط (أفست) تبريز .

(٢) كقاسم بن الحسن عليه السلام خرج وهو غلام لم يبلغ الحلم فلما نظر إليه الحسين (ع) اعتنقه وبكى ثم استأذن فأذن له فبرز كان وجهه شقة قمر وبيده السيف وعليه قميص وأزر وفي رجله =

مشرعة رماحهم ، أما كان اللازم بحكم الشرائع السماوية أن يقول له عمه أنت غير مكلف بجهاد ولا دفاع؟ ويجب علينا أن ندفع عنك لا أن تدافع عنا ، فكيف يأذن له عمّه العطوف الرؤوف حتى يقتل ويصرع نصب عينيه ، ثم يبرز له أخ أصغر منه غلام^(١) بل دون الغلام في أول الصبا وغضارة العمر وطراوة الشباب فيقتحم الميدان الذي ترتجف من رؤيته العقول والأبدان ، فيضربه أحد العتاة من عسكر العدو على رأسه ضربة صرخته وضربة أخرى على يده فأبانها من المرفق وبقيت معلقة فنأدى واعمّاه وعمه ينظر إليه فيسرع إليه قائلاً : عزّ على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا يغني عنك هذا يوم كثر واتره وقلّ ناصره ، ويبقى الغلام يتفحص برجليه حتى يموت ، قل لي بربك أيّ حرب برزت فيه ربّات الحجال إلى القتال واشتبكت مع الرجال ، وحملت على الأبطال بعمود الخيمة .

قل لي بربك أيّ حرب منع فيها العدو الماء حتى عن النساء والأطفال فإنّ الطاعني معاوية^(٢) وإن سبق إلى ذلك في صفين ولكن لم يكن في معسكر

= نعلان فمشى يضرب بسيفه فانقطع شسع نعله اليسرى وأنف ابن النبي (ص) أن يحتفي في الميدان فوقف يشد شسع نعله وهو لا يزن الحرب إلا بمثله غير مكترث بالجمع ولا مبال بالألوف .

قال العلامة السيد مير علي أبو طيخ (ره) :

أهوى	يشد	حذاءه	والحرب	مشرعة	لأجله
ليسر	مهاما	إن غلت	هيجاؤها	بشراك	نعله
متقلداً	صماصمه	متفياً	بظلال	نصله	
لا	تعجبين	لفعله	فالفرع	مرتهن	بأصله
السحب	يخلفها	الحيا	والليث	منظور	بشبله

وكان خرج قبله أخوه لأمه وأبيه أبو بكر بن الحسن عليه السلام وهو عبد الله الأكبر وأمّه أم ولد يقال لها رملة فقاتل حتى قتل رضوان الله عليه .

أنظر (مقتل الحسين) للمقرم ص ٣٦٠ ط ٢ النجف .

(١) هو عبد الله بن الحسن عليه السلام كان له إحدى عشر سنة .

(٢) أنظر إلى مخازي ابن آكلة الأكباد وصحائف تاريخه السوداء في الجزء العاشر من الأثر الخالد « الغدير » للعلامة الأميني .

أمير المؤمنين (ع) سوى الرجال ، قل لي برّبك أيّ حرب حملت الرؤوس فيها على أطراف الرماح يطاف بها من بلد إلى بلد فإنّ الجبث والطاغوت معاوية وإن حمل إليه رأس الصحابي الجليل عمرو بن الحمق الخزاعي وهو أول رأس^(١) حمل في الإسلام ولكن ما حمل على الرمح ولا طيف به في البلدان .

قل لي برّبك أيّ حرب في الإسلام بل وفي الجاهليّة حملت فيها المخدّرات المصونات مع أطفالهم مسبّية بتلك الصورة المهولة من بلد إلى بلد ولو أردنا أن نحصى ونستقصي الفظائع التي اقترفتها يد الإثم والعدوان في حادثة الطفّ وذبولها تلك الفظائع التي خرقت النواميس ومزقت القواميس ولا ينطبق عليها أيّ حكم من الأحكام ، ولا تسيفها شريعة من الشرايع ، لاقتضى ذلك تأليف كتاب يشجيك ويشجيك ، ويضحكك ويبيكك .

أما ما أشكل عليك من جعل الحسين - سلام الله عليه - أصحابه في حلّ من بيعته فليس محلّ العجب منه وموضع السؤال وعقدة الأشكال معكوسة وهي أنّه سلام الله عليه كيف أباح لهم الجهاد معه وهو يعلم كما قال لهم ان القوم إنّما يطلبون شخصه الكريم فقط ، وأنهم لو ظفروا به لم يكن لهم حاجة بغيره ، ويعلم هو كما يعلم كلّ واحد منهم أنّهم لا يستطيعون دفع القتل عنه مهما جاهدوا واجتهدوا ، إذاً ألا يكون جهادهم معه من العبث وإلقاء النفس في التهلكة بغير فائدة ؟ فكيف رضي سلام الله عليه منهم بذلك ؟ وهذا هو السرّ الغامض الذي يحتاج إلى البحث والنظر لا ما ذكرته من جعلهم في حلّ من بيعته ، وليس معنى ذلك أنّه أسبقت عنهم التدينّ بإمامته التي جعلها الله طوقاً في عنق كلّ مكلف يستحيل نزعها وخلعها ، وليس هو المقصود من جعلهم في حلّ من بيعته كما توهمت ، نعم العقدة التي لا تحلّ ولعلّ سرّها الغامض لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم هو هذه الناحية فإنّ المعلوم بضرورة العقل والنقل وفي عامّة الشرائع والأديان أنّ الجهاد إنّما يجب

(١) أنظر إلى صفحة ١٢٨ من هذا الكتاب .

أو يجوز مع احتمال السلامة ورجاء الظفر والغلبة أما مع اليقين بالهلكة والمغلوبيّة فهو إتلاف للنفوس بغير فائدة^(١) فأصحاب الحسين (ع) لو تركوا اقتحام هذه المعركة وتباعدا عنها لم يكن العدو يتعقبهم وليس له أيّ غرض بهم ، ولما دخلوا في الحرب لم يحفظوا الحسين (ع) ولم يحفظوا أنفسهم فكان اللازم البقاء على أنفسهم ولعلّ بقائهم وسلامتهم أنفع للحسين (ع) وعياله من قتلهم وإستئصالهم ، هذا هو الأمر المشكل والسّر الغامض لا جعلهم في حلّ من البيعة الذي هو بمعنى إسقاط الجهاد عنهم أو الدفاع الذي هو ساقط بطبعه وبذاته ، والله هو العالم بأسرار أوليائه وحكمة أحكامه وقضائه ، وله الحمد .

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

(١) إن الحسين (ع) إمام معصوم وإنسان حكيم فلا يخفى عليه الصواب ويتجلى إصابة الحسين (ع) في موافقته على تضحيّتهم معه بعد تخييرهم بالرجوع إلى الرأي بالحديث في العمل السياسي ، وخلصته أن التاريخ من صنع الإنسان أفراداً وجماعات ولا تجري حوادث التاريخ بصورة عفوية ، آنية وبدون ارتباط بالحوادث السابقة ، فحوادث التاريخ مترابطة ولذلك لا بد في العمل السياسي لأجل الوصول لغاية معينة من العمل المستمر والجهاد المستمر ، فالتضحية في سبيل الحق على اختلافها وإن لم تكن ذات فائدة آنية فإنها تثمر في المستقبل خصوصاً الشهادة في سبيل الحق فإنها تنبئ الأفكار وتهيج النفوس لطلب الثأر ومواصلة الكفاح للوصول إلى الهدف والغاية ، فالمهم في العمل السياسي أن تكون الغاية شريفة والوسيلة شريفة مع المثابرة والإستمرار وقوة الإيمان .

الخطبة ٥ - ذِي الْقَعْدَةِ ١٣٦٢ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ

لمولانا سراج محجة الدين وحجة الله على العالمين العلامة الشيخ محمد الحسين أدامه الله وأمتع به : السلام عليك ورحمة الله وبركاته .

سيد هل الأخبار الواردة في سكينه بنت الحسين (ع) من تعاطيها الشعر وبلوغها درجة الحكم بين الشعراء وكثرة مراجعتهم لها في مجلس أعدّ لذلك كما في الأغاني وغيره صحيحة عندكم ؟ فإن صح ذلك فالمرجو التفضل بكلمات وجيزة تؤيد تلك الأخبار ويحتج بها على من أبأها ونفاها ، وإن لم تصح فتصدقوا علينا ببسط كلام في التشنيع على من صدق تلك الأخبار واعتقد بها وأهل سكينه لمحادثة الرجال ومراجعتهم في الأشعار ومناظرتهم فيما نظم بالشعر وغيره ، نفع الله بكم الأمة وأيدكم .

سيد كاظم الخطيب

الجواب :

من النجف الأشرف إلى الخضر ١١ ذي القعدة ١٣٦٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام الله عليكم وعلى عباد الله الصالحين ومدنا بروح منه نرقى به إلى درجات المقربين ، ونستعين به على صلاح أمر الدنيا والدين ، سألت عافاك

الله عن الأخبار الواردة في سكينه سلام الله عليها وعلى أبيها وتعاطيها الشعر وبلوغها درجة الحكم بين الشعراء كما في الأغاني هل هي صحيحة؟ إلى آخر ما في الكتاب .

فاعلم وفقك الله أن أول من روى هذه الأخبار ونشرها على الظاهر هو أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني ، وكل من رواها بعده فعليه اعتمد ومن شرعته ورد . أما من قبله من الثقات الإثبات كابن قتيبة^(١) فلم يذكر شيئاً منها في شيء من كتبه وكذلك ابن طيفور^(٢) في بلاغات النساء وهما أقدم من أبي الفرج بكثير ، ومن المعلوم أن كتاب الأغاني كتاب لهو وطرب^(٣) يجمع

(١) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري صاحب كتاب المعارف وعيون الأخبار والإمام والسياسة وغيرها توفي سنة : (٢٧٦) هـ .

(٢) أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور من أبناء خراسان ولد ببغداد سنة : (٢٠٤) هـ وتوفي سنة : (٢٨٠) هـ وكتابه « بلاغات النساء » هو خلاصة متخبة من صميم البلاغات العربية المروية عن النساء وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية وصدر الإسلام .

(٣) أبو الفرج الأصبهاني المتوفي سنة : (٣٥٦) هـ مرواني النسب مرواني النزعة ولذلك ألف لأقاربه الأمويين من ملوك الأندلس كتباً وصيرها إليهم سراً فأنته الجائزة منهم سراً .

وقد أرسل المؤرخون تشيعه حتى تسرب الوهم منهم على جملة من الشيعة فذكروه في كتب رجالهم وذهب عنهم أن هذه الأكذوبة أمر دبر بليل وإنما افتعلوها ليحملوا الشيعة أوزاراً مما أثبتته من هتائه وليس في كتبه وشعره أي صراحة بانتمائه إلى مذهب أهل البيت (ع) عدا إشعارات لا تعدو أن تكون تزلفاً منه إلى ملوك وقته آل حمدان وأمراءه ممن ينتمون إلى ولاء العترة الطاهرة (ع) ويصلون مادحيهم بعطائهم الجزيل ولذلك ألف كتاب « مقاتل الطالبين » .

فالحق مع العلامة الخونساري صاحب روضات الجنات (ره) فيما أبداه من الرأي في حق أبي الفرج وتحامل المحدث العلامة النوري (ره) في خاتمة « المستدرک » عليه ليس على ضوء التحقيق والتحليل الصحيح بل جمود على أقوال بعض علماء الرجال من الشيعة مع أنهم ذكروه من الشيعة الزيدية اعتماداً على الشهرة الكاذبة بين المؤرخين قال ابن الجوزي في المنتظم ج ٧ ص ٤٠ - حوادث سنة ٣٥٦ - لا يوثق برواية أبي الفرج لأنه يصرح بكتبه بما يوجب الفسق عليه وتهوانه بشرب الخمر وربما حكى ذلك عن نفسه ومن تأمل كتاب الأغاني رأى كل قبيح ومنكر .

وللدكتور زكي مبارك كلمة قيمة وقد أتى فيها بالحقائق الراهنة وصورت الرجل وكتابه الأغاني =

فيه كل غث وسمين ، إذ ليس المقصود منه على الأكثر سوى الفكاهة وأحاديث السمر ، وأبو الفرج وإن كان ثقة لا يكذب ولكنه كثيراً ما يروي عن الكذابين ولا يعنيه أمر الصحة والضعف في الأخبار ، ويسرد كل ما وصل إليه مهما كان ، والأحاديث التي رواها بسكينة منها مقطوع بكذبه إنه من المجموعات وأحاديث السمر ، مثل حديث ابن سريج مع سكينة فإنه من السماحة والسخافة بحيث يدرك كل أحد جعله وكذبه ، ولا سيما وإن رواية حماد الرواية^(١) المشهور بالكذب وكان يضع القصص والوقائع وينشيء الأشعار وينسبها إلى العرب ، وكيف يحتمل العاقل أن سكينة تقول لابن سريج المعني الذي تنسك وترك الغناء أنا بريئة من جدي إن لم تغني لي ، وبريئة من جدي إن لم تقم في بيتي شهراً كي تغني لي كل يوم ، وهكذا تبرأت من جدها عدة مرات ، والحاصل أن المؤرخ وكتب التاريخ والأدب

= بما يفيد للقارئ زيادة بصيرة بما عليه من الخلاعة والمروق عن الدين و فراغ الكتاب - الأغاني - عن الحقائق التاريخية وقال هو كتاب أدب لا كتاب تاريخ أراد أن يقدم لأهل عصره أكبر مجموعة تغذي بها الأندية ومجامع السمر ومواطن اللهو ومغاني الشراب وقد جاءت أحاديث الأغاني مروية بالسند والرواية بالسند شيء ساحر فتن به كثير من الناس وظنوه علماً دقيقاً له آداب وشروط واعتماداً على هذا العلم الدقيق إطمأن كثير من الباحثين إلى روايات الأغاني فضلوا وأصلوا في حقائق التاريخ .

أنظر كتاب « النثر الفني » ج ١ ص ٢٣٤ - ٢٤٥ ط مصر وكتاب « السيدة سكينة » ص ٤٠ - ٥٤ لسيدنا الحجة السيد عبد الرزاق المرقم النجفي .

(١) حماد بن سبور بن المبارك ولد (٩٥) هـ وتوفي (١٥٥) هـ . كان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها أصله من الديلم ومولده في الكوفة ورحل إلى الشام فتقدم عند بني أمية وهو الذي جمع السبع الطوال (المعلقات) قال الأنباري في نزهة الألباء ص ٤٣ : ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة (أ . هـ) .

وقال محمد بن سلام الجمحي المتوفي (٢٣١) هـ في كتاب طبقات فحول الشعراء ، كان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها ، حماد الرواية وكان غير موثوق به ، كان ينحل شعر الرجل غيره وينحله غير شعره ويزيد في الأشعار وسمعت يونس يقول : العجب لمن يأخذ عن حماد ، كان يكذب ويلحن ويكسر وقال علم الهدى (ره) في الأمالي . وأما حماد الرواية فكان منسلخاً من الدين زارياً على أهله مدمناً لشرب الخمر وارتكاب الفجور أنظر طبقات فحول الشعراء ص ٤٠ - ٤١ ط مصر بتحقيق وشرح الأستاذ محمود محمد شاكر . والأعلام للزركلي ج ١ ص ٢٧٠ ط مصر . والأمالي للسيد المرتضي ج ١ ص ١٣١ ط مصر .

كحاطب ليل ، واللازم في تمييز الصحيح من السقيم الرجوع إلى العقل والتعويل إلى القرائن والإمارات ، فمثل تلك الأخبار حرام نقلها والإعتماد عليها ، نعم في الأغاني ما يمكن التعويل عليه في أحوال سكينه مثل أن جريراً والفرزدق^(١) وجماعة من الشعراء اجتمعوا في ضيافة سكينه فمكثوا أياماً ثم أذنت لهم فدخلوا عليها ، فقعدت حيث تراهم ولا يرونها ، وتسمع كلامهم ، ثم أخرجت وصيفة لها وضيئة قد روت الأشعار والأحاديث فقالت أيكم الفرزدق ؟ فقال لها أنا ذا إلى الآخر ، فمثل هذا الخبر الذي يحفظ كرامة هذه العقيلة ويجعلها في المقام اللائق بشرفها من الستر والصيانة هو المعقول والمقبول ، ولا جرم أنها كما ذكر أبو الفرج بنفسه أن سكينه كانت عفيفة سلمة برزة تجالس الجلّة من قريش وتجتمع إليها الشعراء وكانت ظريفة مزّاحة فكيف يعقل أن أقلّ غلمانها وهو أشعب يجتري عليها ويقول في خبر ابن سريج الذي أشرنا إليه : الرجل (يعني ابن سريج) زاهد ولا حيلة فيه فارفعي طمعك وامسحي بوزك إلى آخره .

والخلاصة أن أخبار الأغاني بل وغيرها مغشوشة ، والكذب فيها إن لم يكن أكثر من الصدق فهما سواء ولا يميّز هذا من ذلك إلا الماهر المتبحّر من العلماء ولا يجوز لغيرهم من الذاكرين وغيرهم ذكرها إلا بعد عرضها على من يوثق به من أهل البحث والنظر ، وإلا كان إثمهم أكبر من نفعه ؛ أما أخبار سكينه من الأغاني وغيره فالأرجح بل اللازم ترك ذكرها في النوادي العامّة والمحافل ومجالس العزاء وإن كان السيد المرتضى رضوان الله عليه^(٢) ذكر خفيفاً منها في أماليه ، والظاهر أيضاً أنه أخذه من الأغاني ﴿ يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله

(١) الفرزدق همام بن غالب التميمي الشاعر المشهور من الشعراء المجاهدين في محبة أهل البيت (ع) صاحب جرير توفي بالبصرة سنة (١١٠) هـ وبلغ خبره جريراً بكى وقال أما والله إني لأعلم أني قليل البقاء بعده ولقد كان نجماً واحداً وكل واحد منا مشغول بصاحبه وقلما مات ضد أو صديق إلا وتبعه صاحبه وكذلك كان توفي جرير سنة (١١٠) هـ التي مات فيها الفرزدق .

(٢) أنظر الأمالي لسيدنا المرتضى علم الهدى ج ١ ص ٥١٣ ط مصر سنة : (١٣٧٣) هـ .

وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله
ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴿١﴾ .

جعلنا الله من الفائزين بطاعته وغفر لعبده المذنب .

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

(١) سورة ٣٣ آية : ٧٠ - ٧١ .

ربيع ٢ سنة ١٣٥٨ هـ سؤال من اميرك مشيفان سيدى المحجة آل كاشف الفطاي

أتيح لي أن أطلع على كتاب السياسة الحسينية لجامعه ولدكم المحروس عبد الحليم ، وما دار به من بحوث حول الحسين وسياسة الحسين (ع) فخرجت من هذه المطالعة على وشك الإعتقاد الراسخ من أن الحسين لم يقتل إلا لأجل شيء معنوي ، وهذا الشيء المعنوي لا يزال مجهولاً عند الباحثين عن تأريخ الحرب الأموية وعند أتباع الحسين (ع) الذين يتحرّون جميع الأساليب المؤثرة ، ويزيدونها على النواجيد الحسينية إثارة للذكريات الدفينة التي تمجد موقف الحسين (ع) وتخذل موقف يزيد والأمويين الذين عاصروه ومشوا على مبادئه وسننه الظالمة .

إنّ الحسين لم يقتل لأجل الدين الإسلامي كما تقول الشيعة بذلك ولم يستشهد طلباً للملك والسلطان ، بل قتل (ع) محافظاً على معنويته الهاشمية التي هي علة وجود الأمة العربية وبعثها من جديد متمتعة بجميع أساليب الثقافة ووسائل النجاح الإقتصادي المادي ، وهذه القتلة التي يقولون عنها أنها كانت في سبيل الله وسبيل المحافظة على معنوية آل محمد في سبيل الله أيضاً هي الشيء المعنوي الذي لا يزال مخبئاً عن أعين الباحثين ونحن إذا قلنا أنّ الحسين (ع) مات دفاعاً عن شرف الدين نكون قد أسأنا إلى الدين الإسلامي نفسه الذي ليس يقوم على قتلة الحسين (ع) او استشهاد أيّ نبي من الأنبياء ،

وليس هو صورة مادية يملكها فرد من البشر لتموت بموته وتحيا بحياته ،
والأفضل لكلّ مقتصد أن يجعل هذه القضية قضية عائلية تتفاوت عن حرّ
وقوعها بين سموّ مباديء الحسين وبين انحطاط مباديء يزيد .

وقد أدرك ولدكم - حرسه الله - في جوابه على كتاب الشيخ عبد المهدي
شيئاً من هذا إذ قال : إنّ الذي عرض الحسين للقتل هو تمنعه عن المبايعة
ليزيد ، وفي عدم القيام بهذه المبايعة يتعرّض الحسين لأن يقتل بسيف
الأمويين ، حتّى ولو كان في عقر داره دون ان يضطرّ إلى الخروج لمحاربة
يزيد وأتباعه ، وان يعرض نسائه وأطفاله للهتك الذي هو صورة القبح عند
طبقات الاشراف الذين منهم الحسين ، كما زعم غير واحد في إفتراءه على
الحسين وعائلة الحسين .

إنّ هذا الإفتراض ممكن الوقوع أكثر من غيره ، ومبايعة الحسن لمعاوية
التي ظلّت أسبابها مغمضة في بحثكم هي التي أجلت وقوع الحرب الأموية
إلى ما بعد وفاة معاوية ، ويظهر أنّ الحسن بتعهده لمعاوية أنّه لا يرى من
الحسين سيئاً ؛ - كما جاء برسالة سماحتكم - وقف وقفه المشفق الذي لا يريد
أن يفجع بأخيه وهو حيّ ، أراد بمبايعته أن يحجب دماء الأبرياء التي أباحها
يزيد في تعنته وطغيه وفساده وإعتدائه على أخيه الحسين ، ولكن السياسة
لعبت دورها يومذاك إذ مات معاوية الذي كان عنده مخافة من الله أكثر من ولده
يزيد^(١) وإذا توفّي الحسن الذي يعدّ بحق نراس السياسة الهاشمية المؤدية إلى
أعمال السلام القومي الذي وقف حائلاً في حياته دون وقوع حرب طاحنة
كالهروب الأموي ، فيما لو ضمّ صوته إلى صوت أخيه الحسين في زمن معاوية
الذي تعود مبايعته لهذا السبب الوفاقي - على ما أظنّ - لا لأسباب الخوف
والوجل الذي عزاه كثير من ضعفاء العقول والنوايا السيئة للحسن ، أمّا قضية
العادة العربية التي قلتكم سماحتكم أنّها دفعت بالحسين أن يصحب أولاده

(١) ليس عنده ولا عند ولده يزيد شيء من مخافة الله ولكن معاوية عنده سياسة وتدبر دنيوي ويزيد
ليس عنده دين ولا سياسة .

ونسائه معه مستميتاً في سبيل الكرامة والشرف فهذه تخضع على خروجها عن قلم سماحتكم لضروب النقد والإعتراض إذ كان الدين الإسلامي أو التعاليم الإسلامية - بتعبير أصح - حرمت المرأة من مخالطة الرجال وسماع أحاديثهم إلا من وراء الحجاب ، وأرجعتها إلى بيتها حيث تقوم بتربية وتهذيب أولادها وتدير شؤون منزلها الذي يعدّ نصف الحياة الزوجية - إذ لم تكن كلها - في نظر قانون الزواج المدني والديني فكيف بالحسين خرق حجاب هذا النظام وأصبح عائلته وتابعيه معه جرياً على العادة العربية المعروفة قبل ظهور الإسلام وبعده ؟

وتعلمون أنّ العادة التقليدية غير حكم الدين التشريعي ، فحكم الدين أسمى مكانة في نفس الحسين من عاطفة العادة ، فهل هناك ضرورة حيوية دفعت بالحسين أن لا يكثر بتعاليم الدين ؟ ويتبع ما أوحته عاطفة العادة التي تعدّ ملغاة بحكم هذه التعاليم ؟ هذا ما نريد الإجابة عليه مفصلاً .

وهناك شيء آخر يخضع للنقد الشخصي وهو ، أن الخمسة أثواب التي أعطاهما الحسين إلى محمّد بن بشير الحضرمي - ٢٣ - ٢٤ - السياسة الحسينية - كان يزيد ثمن الواحد منها على المائة ليرة عثمانية لا يتوافق اقتنائها بهذا الثمن الباهظ من قبل الحسين مع دواعي الزهد التي كانت متجسمة في أبيه وجدّه سيّد الرسل ، إذ عرفنا عن طرق الأحاديث المروية أنّ علياً والد الحسين كان يرتدي الصوف على بدنه داخلاً ويلبس الأظمار الرخيصة خارجاً ، دلالة على زهده وورعه وتقواه أو تقليداً للنبي الذي هو المثل الأعلى للأمة الإسلامية ، والذي جعل بهذه الإرتداء أمثولة عزاء للفقير الذي لا يستطيع أن يلبس ثوباً يسوي ثمنه مائة ليرة عثمانية ونحوها ، كما استطاع الحسين أن يلبس^(١) مثل هذا الثوب ويهب خمسة على غراره إلى أحد أتباعه من الفقراء ؟

(١) لم يلبس الحسين تلك الثياب وإنما كان يفتنيها ليعطيها .

إن هذه الرواية على ما فيها من استقراء في النقل تصوّر لنا الحسين مسرفاً طامعاً في خير الدنيا أكثر من خير الآخرة . بينما لو رجعنا إلى استقصاء ورع الحسين وزهده وتقواه لوجدنا ذلك أنه لا يتوفّق - ورغبة الحسين في تضييد عواطف الفقراء المجروحة ، والترفيه على كل بائس محتاج ولو أن راوياً عزى ذلك إلى الحسن الذي كان له ميل خاص وصفة خاصة بهذا الشراء الدنيويّ لأمكننا أن نصدّق ذلك بدليل أنّ الحسن نشأ على الأبّهة والمجد في زمن جدّه وأبيه ، وأمّا الحسين فمن المعروف عنه أنه كان لا يعرف قيمة الدنيا ، ولو عرف لها قيمة لباع يزيد ، وبذلك كان أضاف إلى ثراه ثراء آخر يدفعه له يزيد بدلاً عن تلك المبايعة التي كانت منعت هذه الحرب وذلك الهتك ؛ وحوّلت معنويّة الحسين من رجل شريف نزيه حافظ على مبدء أجداده ومعنويّة هذا المبدء إلى رجل مادي عبث بكلّ شيء وخضع لكلّ شيء بتأثير المادّة .

ورواية أخرى لا تتوافق وصحة النقل ، وهي واردة بجواب سماحتكم من زيد بن أرقم قال ليزيد يوم كان يضرب رأس الحسين بعوده : إرفع عودك عن هاتين الشفتين فوالله طالما رأيت رسول الله (ص) يقبلهما ، إذ أنه من المعروف أنّ رسول الله (ص) كان يقبل الحسين في نحره على اعتبار أنه سيموت مقتولاً ويقبل الحسن في فمه على اعتبار أنه سيموت مسموماً فكيف تناقض المعنى الذي وقع فعلاً كما أشار النبيّ (ص) ؟ وكيف انتقل تقبيل فم الحسن إلى فم الحسين الذي مات منحوراً على قفاه ؟ ولم ينتقل تقبيل نحر الحسين إلى نحر الحسن الذي مات مسموماً في فمه .

وفي الإستعراض الديني لأهل البيت نجد إعتراضاً على الحديث الذي ورد بلسان النبيّ (ص) قال مخاطباً سلمان الفارسي : نحن أسرار الله المودعة في هياكل البشريّة ، يا سلمان نزلونا عن الربوبيّة ثم قولوا فينا ما استطعتم فإنّ البحر لا يتزف وسرّ الغيب لا يعرف ؛ وكلمة الله لا توصف ومن قال هناك لم وممّ وبم فقد كفر ، ! إذ أنّ من يتأمل المعاني الإستهلاكيّة من

الحديث يجد أن منها ما يعدّ إستكباراً في الأرض ، وهو يخالف بمنطوقه إرادة الله التي جاءت في القرآن فمحت آية الإستكبار الخليفة بالمستضعفين من الناس ، ويجد أن كلمة أسرار الله المودعة التي عمّت جميع هياكل البشريّة تتعرّض للشّرّ حيناً وللخير حيناً آخر ، وتنقل من الزهد والتقوى دوراً وإلى الفساد والإثم والفوضى دوراً آخر ، حيث كانت هياكل البشر الطاهرة فيها فهل كان الرسول يعني أنه هو وذريته سرّ الله المودع في هياكل البشريّة الطاهرة فقط ؟ أو في جميع الهياكل سواء كانت طاهرة أو خبيثة ، مجرمة أو مصلحة ، مدنسة أو غير مدنسة ؟ ! هذا سؤال نطرحه أمام سماحتكم من الشطر الأوّل من الحديث .

وأما الشطر الآخر فيه (ومن قال لم ومّم وبم فقد كفر) فيكفينا أن نقول إنّ فيه حجراً لعقل الإسلام الذي خلق حرّاً طليقاً بحكم التشريع الإسلامي ، ونتساءل كيف أباح النبيّ محمّد (ص) لنا إدراك الله عن طريق العقل بعد التفكير والتكليف والمقارنة والمشابهة والظنّ والشكّ والريبة وما أشبه ذلك ، ثمّ تكون هذه الأشياء كلّها شرعية بنظر القانون الإسلامي ، ولم يبح لنا إدراك كنه (أسرار الله المودعة وسرّ الله الذي لا يعرف وكلمة الله التي لا توصف) المتجسّمة في شخصه وشخص ذريّته من بعده ؟

إنّ هذا المنع المجرّد عن العقل والروية يعرض الرسول (ص) - إذا كان صادراً عنه - إلى عدّة إنتقادات عقلية أهمّها أنه أباح للعقل أن يدرك الله تعالى عن طريق الظنّ والتفكير الذي حرّمه لإدراك شخصه ، وبذلك جعل نفسه فوق الله تعالى ؟ وإن كانت هذه النفس هي خليفة الله والخاضعة لأمر الله ، هذا فضلاً عن أنّ هذا الإدعاء المتجسّم في كلمة سرّ الغيب الذي لا يعرف وكلمة الله التي لا توصف ، يجعل للشكوك والأوهام سبيلاً للوقوف حائلاً بين حكم العقل وعاطفة الإعتقاد ، ولماذا لا يعرف رسول الله الذي هو كلمة الله وله أعمال وأقوال تدل على شخصه وتنم عن سجاياه وأخلاقه ؟ ومتى كانت أعمال الرجل وأقواله وتصرفاته الدينيّة والإجتماعية بين أيدينا يمكننا أن نحكم على شخصيته من أنها شخصيّة صالحة إذا كانت أعماله وأقواله توافق

الصلاح وأن نحكم على هذه الشخصية من أنها شخصية مجرمة فاسدة فيما إذا كانت أعماله وأقواله تأتي الفساد وترتكب الإجرام والفوضى الإجتماعية ؟ !

لا أعتقد أنّ هذا القول يصدر عن النبيّ كمحمد (ص) كان متواضعاً جداً وهو كإنسان بسيط يمشي في الأسواق ، ويأكل ويشرب ، فكيف به كنبىّ يقول مثل هذا القول الذي هو القول الذي هو من صفات الإلهية ؟ بل أعتقد أنّ هذا الحديث من جملة الأحاديث التي دسّتها اليهود دساً في كتب الإسلام إنتقاصاً من قيمة الدعوة المحمّدية التي هي أسمى كلّ شيء ظهر على وجه الأرض !

أمّا إذا كان هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بصحتها فأرجو سماحتكم أن تتفضّلوا بيان ذلك ولو مفصّلاً .

الداعي عبد الله بري

من مديرة كاشف الغطاء الكبرى في الجف الشريف ٢٧ ربيع آخنة ١٣٥٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم ، وله الحمد والمجد .

إلى الحبر الفاضل بل الإنسان الكامل ، وما أعزّ الكمال في الإنسان .

كان قد وردني منك كتاب فيه شيء من الأطناب ذكرت فيه بعض الملاحظات على بعض مندرجات (السياسة الحسينية) ووعدتك أن أجيبك إن لم يكن عن كلها فمن بعضها على الأقل في كتاب أرجو أن يكون قد وصلك في البريد مع (كتاب أصل الشيعة) هدية للسيد فائز حسين أمين النهضة العربية الهاشمية - حرسه الله وإياك .

تقول - أيدك الله - في كتابك : ونحن إذا قلنا إن الحسين (ع) مات دفاعاً عن شرف الدين نكون قد أسأنا إلى الدين الإسلامي ، إلى آخر ما أبديت في هذا الموضوع وكأنه غاب عنك أننا حيث نقول : مات أو قتل دفاعاً عن الدين ؛ لا نريد أن الدين الإسلامي يموت بموته ويحيا بحياته ، بل نريد العكس يعني أن الدين يحيا بموته ويموت باستقاء حياته ، وهذه حال جميع من قتل في سبيل الله الذين يقول الله جل شأنه عنهم : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم ﴾^(١) . . . مثل حمزة وجعفر

(١) سورة آية : ١٦٩ .

وعبيدة بن الحارث وسعد بن الربيع^(١) وأمثالهم ممّن بذلوا حياتهم في الدنيا لحياة الدين فوجدوا خيراً من تلك الحياة عند الله تعالى ؛ فهم عند الله أحياء غير أموات وإن كانوا بالنظر إلى الدنيا أمواتاً غير أحياء ، ولا يلزم من هذا أن يكون الدين الإسلامي صورة مادية يملكها فرد من البشر كما تخيلت ، ضرورة أنّ الدين هو عبارة عن تلك الأحكام والقوانين التي جاء بها الرسول الأمين من ربّ العالمين وحياتها وموتها بالعمل بها وعدم العمل بها ، ولّمّا سلك يزيد في خلافته مسلماً يوجب إبطال العمل بشرائع الإسلام حيث صار يجاهر بشرب الخمر وإرتكاب الفجور وترك الصوم والصلاة والناس يتبعونه طبعاً (لأنّ الناس على دين ملوكهم) كما قيل ، وكأنّه بهذا يريد القضاء على الإسلام وموته ، لذلك ضحى الحسين (ع) بحياته ، وحية خيرة أهل بيته وأصحابه إنكاراً على يزيد وإبطالاً لمساعيه وإحياءً للدين ، ولحمل الناس على العمل بشرائعه كما قال سلام الله عليه أو قيل عنه :

إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي يا سيوف خذي
 فحقاً أنّ الحسين - سلام الله عليه - ما بذل نفسه إلاّ دفاعاً عن شرف الدين وتفادياً للمبدء المقدّس ، ولا نكون بهذا قد أسأنا إلى الدين بل أحسنّا إليه حيث جعلناه فوق نفس الإمام المعصوم وأنه يفدي بأعزّ النفوس ، ومن الغريب قولك - حرسك الله - على قولنا أنّ العادة العربيّة دفعت بالحسين (ع) أن يصحب أولاده ونسائه معه مستميتاً في سبيل الكرامة والشرف ، فقلت إنّ التعاليم الإسلاميّة حرمت المرأة مخالطة الرجال وسماع أحاديثهم إلاّ من وراء حجاب ، أليس من الغريب أن تقول وأنت بهذه الثقافة ، إن الدين الإسلاميّ حرّم المرأة من مخالطة الرجال فتجعل ذلك وصمة شنعاء ولطخة سوداء في جبين الدين الإسلاميّ ؟ كيف يقال هذا وهذه الصديقة فاطمة الزهراء (ع) بنت مشرّع الدين الإسلاميّ خطبت في المسجد النبوي في حشد المهاجرين

(١) سعد بن الربيع الخزرجي أحد نقباء الأنصار من شهداء أحد ، أنظر ترجمته في تنقيح المقال ج ٢ ص ١٣ ط النجف .

والأنصار تلك الخطبة البليغة الغراء التي تستغرق ما يقرب من ساعة وكلهم يسمعون ويشهدون؟ وهذه عايشة ما زالت مدة عمرها تخطب وتحدث الرجال بالأحاديث النبوية وإذا نظرت إلى كتب صحاح إخواننا السنين تجد الربع أو الثلث تقريباً ينتهي سنده إلى عائشة ، حتى نسبوا إلى النبي (ص) أنه قال : خذوا ثلث دينكم من الحميراء ، وهل أول جواز الاختلاط من أنها قادت جيشاً جرّاراً وجنداً قهاراً إلى حرب البصرة وحاربت أمير المؤمنين (ع) ومعه أعظم أصحاب النبي (ص) من الأنصار والمهاجرين ، دع عنك هذا وراجع كتاب (بلاغات النساء) وأمثاله وانظر إلى النساء اللاتي كن يخطبن في الجيوش في صفين ويحرّضن أهل العراق على حرب أهل الشام ، وانظر إلى كلام الوافدات^(١) على معاوية بعد أن تمّ الأمر له . وكيف كانت تلك النسوة أجراً من اللبوة وأقوى قلباً من الصخور ، أنظر إلى الخنساء^(١) يوم حرّضت أولادها الأربعة في بعض حروب المسلمين حتى قتلوا جميعاً ، وبعد هذا فهل تجد من الصحيح قولك : إن الإسلام حرّم المرأة من مخالطة الرجال ؟ ألم تكن النساء تضمد الجرحى وتسقي العطاشا ، وتزغرد وتهلّل وتحرص المقاتلين على الهجوم في حرب النبي (ص) وحرب الوصي (ع) ؟ .

دع وانظر إلى صفايا النبوة وحرائر الرسالة وبنات سيّد الموحدين ويعسوب الدين (ع) من زينب وأمّ كلثوم وسكينة وخطبهنّ في كربلاء والكوفة والشام ، وفي مجلس يزيد وابن زياد في النوادي والمجمعات ، فهل مع هذا كلّه تقول إنّ التعاليم حرّمت المرأة من مخالطة الرجال وسماع أحاديثهم وأرجعتها إلى بيتها ؟ أمّا آية الحجاب فهي واردة في خصوص نساء النبي (ع) وكان الأعراب الذين أخبر الله جل شأنه عنهم بقوله تعالى : ﴿ إن الذين ينادونك

(١) مثل كلام سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية . وآمنة بنت الشريد زوجة عمرو بن الحمق الخزاعي (ره) التي حبسها معاوية سنتين .

أنظر إلى بلاغات النساء لإبن طيفور وأعلام النساء لعمر رضا كحالة وأمثالهما من الكتب .
(١) الخنساء بنت عمرو بن الشريد اتفق أهل العلم بالشعر أنه لم يكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها ووفدت الخنساء على رسول الله (ص) مع قومها من بني سليم فأسلمت معهم وتوفيت سنة : (٦٤٦) ميلادية .

من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴿١﴾ يؤذن نساء النبيّ بالهجوم عليهنّ في منازلهنّ نهاهم الله عن ذلك ، راجع سورة الأحزاب ، نعم إنّ التعاليم الإسلامية حرّمت على النساء مطلقاً التبرّج وإظهار الزينة للرجال : ﴿ ولا تبرّجن تبرّج الجاهليّة الأولى ﴾ ﴿٢﴾ وأين هذا من حرمة المخالطة ولو سلّمنا تنازلاً بحرمة المخالطة فأيّ منافاة بهذا لما أبدينا وأريناه من أنّ حمله لنساءه وأولاده استماتة في سبيل الكرامة والشرف ، فإنّ حمله لهنّ لا يستلزم المخالطة بوجهه وإلا لما جاز لامرأة أن تسافر من محلّ إلى آخر أبداً .

وأغرب من ذلك بل وأعجب جداً قولك أيّدك الله وسدّدك : وهناك شيء آخر يخضع للنقد الشخصي وهو أنّ الخمسة أثواب . . . يزيد ثمن الواحد منها على مائة ليرة عثمانية لا تتوافق اقتنائها مع دواعي الزهد التي كانت متجسّمة في أبيه وجده سيّد الرسل إلى آخر ما أفضت به وأفدت في هذه الناحية ، وكأنّك - عافاك الله - تحسب أنّ الزهد هو الفقر والفلاكة وعدم الوجدان ، وأنّ الغناء والثروة تنافي الزهد ؟ لا يا عزيزي - أعزّك الله - حقيقة الزهد هو عدم الحرص على المال وعدم المبالاة في الدنيا وأن يكون وجود المال وعدمه عنده سواء ؛ وقد جمع الله الزهد في كلمتين : ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ ﴿٣﴾ وحقيقة الزهد لا تظهر ولا تتجلى إلّا مع توفّر النعم وغزارة المال وبذله وعدم الحرص والتعقّف عن رذيلة الشحّ والبخل : ﴿ ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ ﴿٤﴾ أمّا الفقير المعدم الذي لا يجد ولا يملك شيئاً فأيّ زهد له ؟ وأيّ فضيلة له بذلك الزهد القهري وقد سئل الحسن

(١) سورة ٤٩ آية : ٤ .

(٢) سورة ٣٣ آية : ٣٣ قال الجصاص المتوفى (٣٧٠) هـ : ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى يعني إذا خرجتن من بيوتكن قال : كانت لهن مشية وتكسر وتغنج فنهاهنّ الله عن ذلك وقيل هو إظهار المحاسن للرجل وقيل الجاهلية الأولى ما قبل الإسلام والجاهلية الثانية حال من عمل في الإسلام بعمل أولئك فهذه الأمور كلها مما أدب الله تعالى به نساء النبي (ص) صيانة لهنّ وسائر نساء المؤمنين مرادات بها (أ . هـ) أنظر أحكام القرآن ج ٣ ص ٤٤٣ ط مصر .

(٣) سورة ٥٧ آة : ٢٣ .

(٤) سورة ٥٩ آية : ٩ . سورة ٦٤ آية : ١٦ .

البصري : أنت أزهد أم عمر بن عبد العزيز وهو خليفة المسلمين فقال عمر ابن عبد العزيز أزهد مني لأنه وجد فعفّ وتمكّن فكفّ ولعلّ الحسن لو وجد وتمكّن لاستخفّ وأكل فأسرف .

وأما رسول الله وأمير المؤمنين - صلوات الله عليهما وآلهما - حيث كانوا يأكلون الشعير ويلبسون الصوف فليس لأنهم كانوا لا يتمكّنون من المآكل الطيبة والملابس اللينة ولكنهم كانوا يحتقرون الدنيا ونعيمها الفاني ويقولون عن أهل الدنيا : أولئك قوم عجّلت لهم طيباتهم ونحن أخرت طيباتنا ؛ ولأمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة كلام مع العلاء بن عاصم الذي ترك الدنيا ولبس الصوف فقال له : يا عدي^(١) نفسه لقد استهام بك الخبيث (يعني الشيطان) فقال : يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك ، قال : ويحك إنّي لست كأنت إنّ الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعة الناس كي لا يتبيخ بالفقير فقره^(٢) وللباقر والصادق (ع) مع سفيان الثوري وأصحابه من متشّفة ذلك العصر ومتصوفة تلك الأيام حيث كانوا يعترضون على الأئمة عليهم السلام إذا وجدوا عليهم بعض الملابس الفاخرة قائلين ؛ إن جدكم رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما ما كانوا يلبسون هذه الملابس ؟ فيقول لهم الإمام : ذاك حيث أنّ الزمان قلّ أما إذا درّت الدنيا أخلافها فأولى الناس بها أولياء الله أو ما هو بهذا المضمون ، وللرضا (ع) كلام عال شريف في هذا الموضوع ولقد كان لأمير المؤمنين (ع) في المدينة من الضياع والبساتين والمزارع كعين أبي نيزر والبغيغة وغيرها ما يدرّ كلّ سنة بألوف الدنانير ، وقد أوقفها جميعاً في سبيل الله وكان يضرب بالمسحاة بيده في عقار الله لا حرصاً على الدنيا والاموال ولكن حرصاً على الانفاق في سبيل الله والاحسان على الضعفاء من عباد الله^(٣)

(١) عدي تصغير عدو .

(٢) نهج البلاغة ج ١ ص ٤٢٣ ط مصر شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١١١ ط مصر .

(٣) قال السيد رضی الدين بن طاووس الحسني قدس سره في كتابه القيم « كشف المحجة » ما هذا لفظه :

=

وكانت قنية تلك الاثواب الثمينة تمس ورع الحسين (ع) وزهده لو كان يشحّ بها ويحرص عليها ، أما وقد بذلها في فكّ الأسير المجاهد في سبيل الله فتلك فضيلة للحسين (ع) وكرامة تزيد في علو ورعه وزهده ورغبته في تضييد عواطف الفقراء المجروحة والترفيه عن كل بائس محتاج .

ولعلك - عافاك الله - حسبت أن الحسين (ع) يلبس تلك الثياب

= واعلم يا ولي محمد . . . أن جماعة ممن أدركته كانوا يعتقدون أن النبي (ص) جدك محمد وأباك عليا صلوات الله عليهما كانا فقيرين لأجل ما يبلغهم إشارهم بالقوت واحتمال الطوى والجوع والزهد في الدنيا فاعتقد السامعون لذلك الآن أن الزهد لا يكون إلا مع الفقر وتعذر مع الإمكان وليس الأمر كما اعتقدوه أهل الضعف المهملين للكشف لأن الأنبياء عليهم السلام أغنى أهل الدنيا بتمكين الله جلّ جلاله لهم مما يريدون منه جلّ جلاله من الإحسان إليهم ومن طريق نبوتهم كانوا أغنى أممهم وأهل ملتهم ولولا اللطف برسالتهم ما كان لأهل وقتهم مال ولا حال وإنما كانوا عليهم السلام يؤثرون بالموجود ولا يسبقون الله جلّ جلاله بطلب مال يريد أن يطلبوه من المفقود وقد وهب جدك محمد (ص) أمك فاطمة صلوات الله عليها فدكا والعوالي من جملة مواهبه وكان دخلها في رواية الشيخ (عبد الله بن حماد) الأنصاري أربعة وعشرون ألف دينار في كل سنة وفي رواية غيره سبعون ألف دينار وهي وزوجها المعظم والواهب الأعظم من أعظم الزهاد والأبرار وكان يخفيهم منها أسير اليسير ولكن العارفين ما ينازعون الله جلّ جلاله في تملك قليل ولا كثير ولكنهم كالوكلاء والأمناء والعبيد الضعفاء فيصرفون في الدنيا وفيما يعطيهم منها كما يصرفهم هو جلّ جلاله وهم في الحقيقة زاهدون فيها وخارجون عنها ووجدت في أصل تاريخ كتابته سبع وثلاثين ومأتين . . . عن مولانا علي أيبك أمير المؤمنين (ع) تزوجت فاطمة عليها السلام وما كان لي فراش وصدقتي اليوم لو قسمت على بني هاشم لوسعتهم وقال في الكتاب أنه (ع) وقف أمواله وكانت غلته أربعين ألف دينار وباع سيفه وقال من يشتري سيفي ولو كان عندي عشاء ما بعته .

وروى فيه أنه قال مرة (ع) من يشتري سيفي الفلاني ولو كان عندي ثمن أزار ما بعته قال وكان يفعل هذا وغلته أربعون ألف دينار من صدقته .

. ورأيت في كتاب إبراهيم بن محمد الأشعري الثقة بإسناده عن أبي جعفر (ع) قال : قبض علي (ع) وعليه دين ثمانمائة ألف درهم فباع الحسن (ع) ضيعة له بخمسمائة ألف درهم فقضاها عنه وباع ضيعة أخرى له بثلاثمائة ألف درهم فقضاها عنه وذلك أنه لم يكن يذر من الخمس شيئاً وكان تنويه نوايب ورأيت في كتاب (عبد الله بن بكير) بإسناده عن أبي جعفر (ع) أن الحسين (ع) قتل وعليه دين وإن علي بن الحسين زين العابدين (ع) باع ضيعة له بثلاثمائة ألف ليقضي دين الحسين (ع) .

. وكان وقف جدك أمير المؤمنين (ع) على أولاده خاصة من فاطمة عليها السلام لها عامل من ذريته فكيف وقع الضعفاء أنه كان فقيراً وأن الغني لا يكون لمن جعله الله جلّ جلاله =

ويتظاهر فيها بالبذخ والخيلاء أو نحو ذلك مما ينافي تلك القدسيّة السامية ،
 كلاً يا عزيزي ، فإنّ الحسين - سلام الله عليه - لو ملك الدنيا كلّها لوهبها
 لحظة واحدة في سبيل الله وفي سبيل البر والمعروف ، وما كان يضع شيئاً من
 تلك الثياب على بشرة بدنه الشريف وإنّما يقتنيها ليجود بها ويعطيها ويضعها
 في مواضعها اللائقة بها ، وقد ورد في بعض الأخبار أنّه سلام الله عليه لمّا
 استشهد كان عليه من الدين سبعة آلاف دينار ذهباً أو سبعون ألف وإنّ عليّ بن

= من خاصته وهل خلق الله جلّ جلاله اندنيا والآخرة إلا لأهل عنايته (أ.هـ) أنظر كشف
 المحجة ١٢٣ - ١٢٦ .

وغير خفي على القاريء الكريم أن علياً أمير المؤمنين (ع) إستخرج عيوناً بكده بالمدينة
 وينبع وسوبعة وأحيا بها مواتاً كثيراً ثم أخرجها عن ملكه وتصدق بها على المسلمين ولم يمت
 وشيء منها في ملكه وجملة من وصاياه عليه السلام في صدقاته وموقوفاته مروية في الجامع الكبير
 « الكافي » للكليبي (ره) فراجع .

ولم يورث أمير المؤمنين (ع) بنيه قليلاً من المال ولا كثيراً إلا عبيده وامائه وسبعماية درهم
 من عطائه تركها ليشتري بها خادماً لأهله قيمتها ثمانية وعشرون ديناراً على حسب المائة أربعة
 دنانير هكذا كانت المعاملة بالدرهم إذ ذاك .

وكان أمير المؤمنين (ع) يعمل بيده يحرث الأرض ويستقي الماء ويغرس النخل كل ذلك
 يباشر بنفسه الشريفة ولم يستبق منه لوقته ولا لعقبه قليلاً لا كثيراً وإنما كان صدقة وقصة عين أبي
 نيزر معروفة نقلها أبو العباس المبرد في الكامل أنظر ج ٣ ص ٩٣٨ ط مصر .

وقدمت رسول الله (ص) وله ضياع كثيرة جلييلة جداً بخبير وفدك وبني النضير - الحوائط
 السبعة مشهورة - وقد أوصى بها رسول الله (ص) إلى إبنته الصديقة الطاهرة (ع) وروى أن
 هذه الحوائط كانت وقفاً وكان رسول الله (ص) يأخذ منها ما يتفقه على أضيافه ومن يمر به
 فلما قبض جاء العباس يخاصم فاطمة (ع) فيها فشهد على (ع) وغيره إنها وقف .

وكان لرسول الله (ص) وأدى نخلة وضياع أخرى كثيرة بالطائف .

عن أبي بصير قال لما بلغ أمير المؤمنين (ع) أن طلحة والزبير يقولان ليس لعلي مال فشق
 ذلك عليه وأمر وكلائه أن يجمعوا غلته حتى إذا حال الحول أتوه وقد جمعوا من ثمن الغلة مائة
 ألف درهم فنشرت بين يديه فأرسل إلى طلحة والزبير فأتياه فقال لهما هذا المال والله لي ليس لأحد
 فيه شيء وكان عندهما مصدقاً فخرجا من عنده وهما يقولان له المألاً .

أنظر الجامع الكبير « الكافي » والبحار وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤٣٣ ط
 مصر وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٠ ط مصر .

الحسين (ع) لَمَّا رجع إلى المدينة إمتنع عن الطعام والمنام إلى أن قضاها عن أبيه ، والخلاصة أن الزهد هو قطع العلاقة عن الدنيا وعن حبّ المال لا عدم وجود المال ، وليس الزهد هو لبس الثياب الممزّقة والأطمار المرقّعة والمآكل الخشنة ، إسمح لي يا نور عيني أن أقول لك أنّ أكثر الناس لا يعرفون من حقيقة الزهد شيئاً ، والموكب العظيم الذي سار فيه الحسين (ع) من الحجاز إلى العراق وسقى في قفر الأرض بحرّ الهجير ألف فارس وألف فرس^(١) أعظم من قضية الثياب الخمسة .

أمّا زيد بن أرقم وقوله إرفع عودك عن هاتين ألخ . . . فلعلّ تقبيل رسول الله شفّتي الحسين (ع) من جهة أنه تعالى أعلمه انهما موضع ضرب يزيد وابن زياد الذين قرعوا ثغر الحسين (ع) بالخيزرانة^(٢) .

وأما حديث : نحن أسرار الله المودعة ألخ . . . فحيث أنه من الأسرار التي لا يليق إفشاؤها مضافاً إلى ضيق المجال وطول المقال فالأجدر عدم الخوض فيه ونسأله تعالى أن يعصم أفهامنا وأقلامنا من الهفوات ، وما توفيق إلّا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

(١) إشارة إلى قضية الحر (ره) ولقائه مع سيد الشهداء (ع) ومنعه الإمام (ع) من الدخول إلى الكوفة - مذكورة في كتب التواريخ والمقاتل لا حاجة إلى ذكرها ومن شاء أن يطلع فعليه بالمراجعة إلى مظانها .

(٢) نقل العلامة الزمخشري قضية زيد بن أرقم مع ابن زياد بهذه الصورة قال في الفائق ما هذا لفظه : ابن زياد لعنة الله - دخل عليه زيد بن أرقم وبين يديه رأس الحسين - عليه وعلى أبيه وجده وأمه وجدته من الصلوات أذكأها ومن التحيات أنماها وهو ينكته بقضيب معه فغشي عليه ، فلما أفاق قال له : مالك يا شيخ ؟ قال : رأيتك تضرب شفّتين طالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبلهما . فقال ابن زياد لعنة الله : أخرجوه فلما قام ليخرج قال : إن محمديكم هذا لدحداح .

أنظر الفائق ج ٣ ص ٣٩٢ ط مصر ١٣٦٤ هـ .

لا بد من ظهور المهدي "عج"

بسم الله الرحمن الرحيم

ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض

يرثها عبادي الصالحون^(١)

دلّت الأدلة القاطعة ، وقامت البراهين الساطعة ، ولم يبق مجال شكّ لذوي العقول والألباب أنّ لهذه العوالم المحسوسة فضلاً عن العوالم الغائبة عن الحسّ من الذرّة إلى الذري ، ومن الثريّا إلى الثري من الأملاك والأفلاك ، والإنسان والحيوان ، والنبات والجماد - لم يبق شكّ لذي عقل - في أنّ لها صانعاً حكيماً ، ومدبّراً عليمّاً ، كما لا ريب في أنّ المدبّر الحكيم ، والصانع القدير منزّه عن العبث مقدّس عن اللغو وجميع أفعاله معلّلة بالحكمة ، ومنوطة بالفائدة ، ومربوطة بالأغراض الصحيحة ﴿ أفحسبتم إنّما خلقناكم عبثاً ﴾^(٢) وإذا توسّعنا في الفكر واستقصينا النظر وطالعنا من أول فجر التاريخ إلى ضحوة هذه العصور ، وتأمّلنا في جريات عوالم البشر من أبيه الأوّل إلى ولده الأخير وجدنا الشرّ هو لغالب على البشر ، والفساد هو المستولي على الصلاح ، والباطل غالباً مستفحل على الحقّ ، وإنّ الإنسانية لا تزال تثنّ من

(١) سورة ٢١ آية : ١٠٥ .

قال الطبرسي (ره) في تفسير هذه الآية الشريفة : قال أبو جعفر (ع) هم أصحاب المهدي (ع) في آخر الزمان ويدل على ذلك ما رواه الخاص والعام عن النبي (ص) أنه قال : لو لم يبق من الدنيا ألخ .

أنظر ج ٤ ص ٦٦ ط صيدا .

(٢) سورة ٢٣ آية : ١١٥ .

جروح الظلم الدامية ، وترزح تحت أثقال الجور العاتية ، فهل يصلح هذا أن يكون هو الغرض والحكمة لذلك الصانع الحكيم من خلق هذا المخلوق التعيس وهو الإنسان ؟ وهل هذه الفائدة والثمرة من إيجاده ؟ كلاً ثم كلاً وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً أهذا البشر الذي ثلثاه شرّ بل أكثره . وقد قال القائل :

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة وأننا لم نرممّن نرى أحداً
وقال الآخر :

إنّي لأفتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحداً

أفهذا يصلح أن يكون غاية الصنع ، وفائدة الإيجاد ، وثمره التكوين ؟ جلّ الصانع وتعالى ، وتقديس عن ذلك ، كيف وقد قال جلّ شأنه : ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ﴾^(١) وقد رأينا أكثر الرسل مغلوبين مقهورين مستضعفين مقتلين ، ولا شك أن المراد بالغلبة المنوه عنها في الكتاب هي الغلبة في الدنيا . أمّا في الآخرة فالغلبة له جلّ شأنه وحده كلّ شيء هناك هالك إلا وجهه^(٢) ، والملك يومئذ الله الواحد القهار^(٣) ، إذأ فلا محيص ولا مجال من أن للحق في هذه الدنيا دولة ، وللصلاح فوز ونجاح وللعادل ظهور وغلبة ، ولله ورسله في هذا الكون سطوة وسلطان على جنود الشيطان ، وأن الله جلّ شأنه سوف يفي بوعدته لأنبيائه وأوليائه وهو لا يخلف الميعاد .

وإنه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يظهر من يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً^(٤) ، هنالك تظهر حكمة

(١) سورة ٥٨ آية : ٢١ .

(٢) إشارة إلى آية : ٨٨ من سورة : ٢٨ .

(٣) إشارة إلى آية : ١٦ من سورة : ٤٠ .

(٤) قال إمام المفسرين الشيخ الطبرسي (ره) في مجمع البيان : روى الخاص والعام عن النبي (ص) أنه قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً صالحاً من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما قد ملئت ظلماً وجوراً . وقد أورد الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في كتاب العث والنشور أخباراً كثيرة في هذا المعنى حدثنا بجميعه =

الصنع وفائدة الإيجاد ، والغرض الصحيح من الإبداع والتكوين ويستبين أنّ هذه العوالم المتقدّمة والشُرور المتطرّفة كلّها مقدّمات وتمهيدات لظهور دولة الحقّ ، وقمع الباطل ، هنالك يعرف كل إنسان صدق قوله تعالى : ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر . . . الآية ، وقوله عزّ من قائل : كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ، ذلك حيث يظهر مهديّ الأمم ، وجامع الكلم ، والحق الجديد ، والعالم الذي علمه لا يبيد^(١) .

عنه حافده أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن أحمد في شهور سنة : ثمانى عشرة وخمسمائة (أ.هـ) أنظر ج ٤ ص ٦٧ ط صيدا .

والأحاديث والأخبار في حق المهدي المنتظر (عج) بطرق أهل السنّة والشيعة متواترة مضافاً إلى أن وجود المهدي سلام الله عليه من ضروريات مذهب الشيعة الإمامية وأحاديث أهل البيت (ع) به متواترة والمعجب بعد ذلك من ابن خلدون المغربي حيث نقل في مقدمته المشهورة من الروايات المتواترة الواردة من طرق أهل السنّة ثم أخذ يستشكل في إسنادها ورواتها مع أن من المحقق في أصول الفقه أن الحديث إذا بلغ إلى حد التواتر لا ينظر فيه إلى الإسناد والرجال الراوين لذلك الحديث ولا يلاحظ أحوال الناقلين له لعدم الحاجة إلى ذلك بعد حصول العلم الضروري بسبب التواتر .

(١) قال تعالى : « فذكرهم بأيام الله » سورة ١٤ آية : ٥ ، يستفاد من أحاديث أهل البيت عليه السلام أن من أيام الله أيام ظهور الدولة الحقّة بقيام مهدي هذه الأمة - تلك الأيام التي يصل رقي البشر فيها إلى أوج الكمال لا يكون فيها شرك ولا نفاق والعالم كلها عدل وإيمان وتوحيد وصلاح ولذلك نسبت تلك الأيام إلى الله تعالى مع أن الأيام كلها لله ولا معبود سواه . أنظر تفسير البرهان للسيد البحراني (ر ه) ج ٢ ص ٣٠٥ ط طهران ١٣٧٥ هـ .

من بغداد ٨ / ١ / ٣١

حجة الإسلام آية الله في الأنام ، الأستاذ الكبير مولانا الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء .

بعد تقبيل أيديكم أبدي لحضرتكم السامية أنه قد وجّه إليّ بعض الشبان العصريين سؤالاً عن الأسباب التي دعت إلى غياب الحجّة عجل الله فرجه وهل هو حيّ الآن؟ وكيف يمكن أن يظلّ طيلة هذه المدّة حياً؟ وما الفائدة من تغيّبه؟ ولماذا لم يظهر خصوصاً في هذا العصر الذي فيه المسلمون أرقاء؟ وكذلك يسئل عن سبب تغيّب الخضر؟ وحيث لا ملجأ في مثل هذه المعاضل سواكم نرجو أن تعيروا المسألة اهتماماً ، وتفضّلوا بجواب تفصيلي يلائم عقلية السائل ويناسب مشربه ، أدام الله ظلّكم على رؤس الأنام .

خادمكم : حسن عباس

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سبحانه وتعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾^(١) لا شك أنّ دين الإسلام من حين ظهوره إلى الآن لم يظهر ويغلب على جميع الأديان بحيث لا يكون على

(١) سورة ٩ آية : ٣٣ وسورة ٦١ آية : ٩ .

وجه الأرض دين سواه ، وقد وعد الله سبحانه بذلك في هذه الآية ، وآيات أخرى ، والله سبحانه لا يخلف الميعاد ، فلا بدّ في وقت من الاوقات ان يقوم داع إلى الله سبحانه وإلى دينه الحقّ بحيث لا يعبد في الأرض غيره تعالى شأنه كما لا يعبد في السماء سواه .

هناك يملأها قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ، وهذا فرع من أصل بل أصول بيتي بعضها على بعض ، يتعدى من إثبات الحكيم بنعوته الجلالية وتنتهي إلى وجوب وجود الإمام في كل عصر . وإنّ الأرض لا تخلو من حجة ؛ وإنها لولا وجود الحجة لساخت وانقلبت بمن فيها كما ورد في الحديث المروي من طرق الفريقين وهنا أسرار وأستار لا يمكن كشفها ورفع الحجب عنها .

أما السؤال عن الأسباب التي دعت إلى غيبته فاللزام أولاً أن يعرف السائل أن الانسان إذا عرف أنّ له خالقاً لم يخلقه عبثاً ولم يتركه سدى بل كلفه بتكاليف يؤهله بها للفوز والسعادة الابدية في دار أخرى هي دار القرار ودار الجزاء فإذا عرف ذلك جيداً وجب عليه ان يعرف التكاليف والاحكام التي أمره الله بها ، ويأخذها من الحجّة عليه والسفير بينه وبين الله سبحانه .

ولا يلزم عليه أن يعرف حكمة تلك الأحكام ، ومصالح تلك التكاليف وإن كنا نعتقد على الإجمال أنّ جميعها مشتمل على أشرف الحكم والمصالح ولكن ليس كلّ العقول تستطيع الوصول إلى تلك الأسرار الربوبية والحكم الإلهية ، وهناك مراتب ومقامات حتى الأنبياء والأئمة عليهم السلام تقف دونها ولا تستطيع الوصول إليها ، فما ظنك بأمثالها ؟ ومهما اتسعت علوم البشر واكتشافاتهم عن أسرار الطبيعة ، ومكونات الخليفة والحقيقة إتضح لهم أنّ نسبة معلومات جميع البشر من أوّل التاريخ إلى اليوم نسبتها إلى مجهولاتهم نسبة القطر إلى البحر بل أقل بكثير .

(١) نقل في بعض كتب المحدثين من الإخباريين : « أن عيسى (ع) لما دعى أفلاطون إلى التصديق بما جاء به أجاب بأن عيسى رسول إلى ضعفاء العقول وأما أنا وأمثالي فلننا نحتاج في المعرفة إلى إرسال الأنبياء » .

قيل لأفلاطون^(١) عند قرب موته . ما تقول في الدنيا ؟ قال : ما أقول في دار جنتها مضطراً وسأخرج منها مكرهاً ، وبقيت فيها متحيراً ولم أستفد من جميع علمي سوى أنني لا أعلم ؛ ولجميع أكابر الحكماء من إسلام وغيرهم الكثير من أمثال هذه الكلمات ، والشافعي يقول : كلما ازداد علماً زادني علماً بجهلي ؛ والفخر الرازي يقول من أبيات له :

نهاية إدراك العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال

وكفالك شاهداً علي ضعف الإنسان وقصور مداركه مهما كان قصة موسى (ع) مع الخضر مع أن موسى (ع) كان يومئذ نبياً والله كليماً ، ومع ذلك عجز عن معرفة أسرار أمور جزئية كخرق السفينة ، وقتل الغلام ، وإقامة الجدار فما ظنك بأسرار الأحكام الكلية ، والنواميس الإلهية ، فإذا قامت الأدلة القطعية عقلية ونقلية عن وجود إمام يتردد في الأمصار ولكنه غائب عن الأبصار وجب الإلتزام بذلك ولا يجب علينا أن نعرف أسباب غيبته ومتى يظهر ؟ وكيف يظهر ؟ ولماذا لا يظهر الآن ؟ وقد فشى الجور والعدوان ، فإن كل هذه الأسئلة عبث وفضول وتلك أسرار تعجز عنها العقول .

روى الصدوق عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال : سمعت الصادق (ع) يقول : أن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدّ منها يرتاب فيها كل مبطل فقلت ، ولم جعلت فداك ؟ قال لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم ، قلت فما

= وأفلاطون عند الإطلاق هو أفلاطون « بلاطن » وهو ولد سنة : (٤٣٠) قبل الميلاد وتوفي سنة : (٣٤٨) أو (٣٤٧) قبل الميلاد فكيف يمكن وقوع هذه القصة بينه وبين المسيح (ع) فلا يمكن الركون إلى تلك القصة الواهية واضف إلى ذلك أنه كيف يسبح وجدان عاقل صدور هذا الكلام من حكيم إلهي يدعو الناس إلى الصانع وتوحيده ويحارب مع الشرك والوثنية .

ورأيت في بعض المواضع من مصنفات بعض المحدثين نسبة هذه القصة إلى جالينوس وهو ولد سنة (١٣١) من الميلاد وتوفي سنة ٢٠٠ بعد الميلاد وقال السعودي : (كان جالينوس بعد المسيح (ع) بنحو مئتي سنة) - وقيل ظهر أمره في سنة : (٢٥٠) بعد الميلاد فعلى ما ذكرنا لا شك أن جالينوس كان بعد المسيح (ع) وقول بعض أنه كان معاصراً معه (ع) غير صحيح أنظر قاموس الأعلام ج ٢ ص ١٠٠٤ وج ٣ ص ١٧٥٦ ط تركية ومطرح الأنظار لفيلسوف الدولة التبريزي (ر) ج ١ ص ٢١٢ و ٣٢٠ - وغيرها .

وجه الحكمة في غيبته ؟ قال : وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالى ذكره أنّ وجه الحكمة لا ينكشف إلاّ بعد ظهوره إلى أن قال : يا ابن الفضل إنّ هذا الأمر أمر من الله وسرّ من سرّ الله وغيب من غيب الله ، ومتى علمنا أنه عزّ وجلّ حكيم صدّقنا بأنّ أفعاله كلّها حكمة وإن كان وجهها غير منكشف لنا .

وقال (ع) لمهزم الأسدي يا مهزم كذب الوقتون ؟ وهلك المستعجلون ونجى المسلمون الصابرون ، ولعلّه سلام الله عليه أشار بقوله : إنّ وجه الحكمة لا ينكشف إلاّ بعد ظهوره إلى أنّه بعد ظهوره ومشاهدة العجائب والآيات الباهرة التي تكون معه ، والتي لم يقع نظيرها لنبيّ ولا وصيّ نبيّ مدّة عمر الدهر ، هناك يعرف أنّ هذا الأمر العظيم يستحقّ ذلك التأخير وطول المدّة وأن يكون قريباً للساعة ، وفناء العالم وإنقضاء دور من أدوار الكون وإدراكه أو لعلّ مراده بوجه الحكمة الذي ينكشف بظهوره هو الحكمة الغامضة ، والسرّ المخزون المكنون الذي استأثر الله به في علم الغيب عنده وإلاّ ففي تفاريق أخبارهم سلام الله عليهم قد أشاروا إلى وجوه كثيرة من الحكمة في غيبته (ع) .

منها أنّ دولته سلام الله عليه آخر الدول ولا دولة بعدها لكفّار ولا غيرهم وإنّما بعده فتن تتصل بيوم القيامة . ولا يقبل الجزية من أحد ، ويخرب البيع والكنايس ، ولا يبقى على وجه الأرض صليباً ولا صنماً ، ولا يقبل صلحاً ولا هدنة وكيف يقبل الصلح من تعبر جيوشه البحار بأقدامهم ، وتهدم الحصون والقلاع بتكبيراتهم ، والحاصل كلّ شئونه وأحواله سلام الله عليه آيات باهرات وخوارق عادات ، ومثل هذا لا يكون إلاّ في آخر هذا العالم وفي نهاية الدور من السنوات الإلهية ، ولهذا الدور أمد وحد معين في علم الله والحكمة في غيبته إنتظار إنقضاء هذا الدور حتى يخرج .

ومنّها أنه سلام الله عليه يخرج بالسيف ويقتل العالم قتلاً ذريعاً قال محمّد مسلم : سمعت الباقر (ع) يقول : لو يعلم الناس ما يصنع المهدي (ع) إذا خرج ما أحبّ أحد خروجه ممّا يقتل من الناس ، وليس بينه وبين

العرب وغيرهم إلاّ السيف حتى يقول كثير من الناس ما هذا من آل محمّد (ص) لو كان منهم لرحم الناس ، وحيث أنّ الله عزّ شأنه جعله نقمة على الكافرين وقاطعاً لدابر الظالمين ومعلوم أنّ الله سبحانه قد أودع نطف المؤمنين في أصلاب الكافرين ، وقد رأينا في العصور المتقدّمة وفي هذه العصور أيضاً كثيراً من المؤمنين الأحيار وآبائهم من الكفّار والأشرار .

يظنّ أحد أنّ مثل الحجّاج بن يوسف الثقفي وهو أكفر من نمرود وأعتى من عاقر الناقة يخرج من صلبه مثل ذلك الشاعر الشيعي البليغ ؛ الحسين بن الحجّاج^(١) صاحب القصائد الغرر التي يمدح بها أهل البيت عليهم السلام التي أنشدها في النجف بمحضر عضد الدولة لما بنى القبة البيضاء على قبر أمير المؤمنين (ع) التي يقول في أولها :

يا صاحب القبة البيضاء على النجف من زار قبرك واستشفى لديك شفى

من كان يظنّ أنّ يزيد بن معاوية يخرج من صلبه مثل معاوية بن يزيد الذي خلع نفسه من الخلافة وقال : هي حقّ علي بن الحسين (ع) حتى قتله بنو أمية سراً ، ولو شئنا أن نعدّ الألوف من هذا القبيل لما عجزنا وحينئذٍ فلا بدّ أن يكون ظهوره (ع) في زمان لا يكون في أصلاب الكافرين ودائع نطف المؤمنين حتى لا تضعيع باستيصال شافة الكفار . والله سبحانه أعلم بمقاديرها وزمان خلّو الأصلاب منها .

وقد أشار إلى ذلك الصادق (ع) في حديث رواه الصدوق في العلل حيث قال : إنّ القائم (ع) لن يظهر أبداً حتى يخرج ودائع الله عز وجلّ فإذا خرجت ظهر على من ظهر من أعداء الله فقتلهم ، وبهذا فسّر قوله تعالى : ﴿ لو تزيّلوا لعذبنا الذين كفروا عذاباً أليماً ﴾^(٢) .

(١) الحسين بن أحمد بن الحجّاج النبلي البغدادي الإمامي من شعراء أهل البيت (ع) كان كاتباً فاضلاً أديباً شاعراً له قصة مع السيد علم الهدى (ره) تتعلق بهذه القصيدة تشهد بجلالته ووجاهته عند الأئمة (ع) ذكرها صاحب روضات الجنات ودار السلام فراجع توفي (٣٩١) .
(٢) سورة ٤٨ آية : ٢٥ .

وببالي قديماً في بعض الكتب أنّ الحسين (ع) في حملاته يوم الطفّ يعترضه الفارس من أعدائه فلا يضربه بسيفه ، وكذلك أبوه يوم صفّين ، فسئل عن ذلك ؟ فقال : كشف عمّا في صلبه من المؤمنين فتركته ، وفي آية ﴿ يخرج الحي من الميت ﴾^(١) كفاية .

ومن الحكم في غيبته - عجل الله فرجه - ولعلّها من أهمّ الحكم والأسرار هو تمحيص المؤمنين بهذه المحنة ، وابتلائهم بهذه الفتنة ﴿ الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون ﴾^(٢) ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله إلا أن نصر الله قريب ﴾^(٣) ﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جائهم نصرنا ﴾^(٤) والأخبار بهذا المعنى كثيرة وأنّ بطول مدّة غيبته يمتاز الإيمان الثابت من المستودع ، والمؤمن الخالص من المغشوش ، فهي غربلة وتصفية للمؤمنين ﴿ ولیمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾^(٥) .

روى الصدوق عن الكاظم موسى (ع) إذا فقد الخامس من ولد السابع فالله الله في أديانكم لا يزيلكم عنها أحد يا بني لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به ، إنّما هي محنة من الله عزّ وجلّ امتحن بها خلقه - إلى أن قال - يا بنيّ عقولكم تصغر عن هذا وأحلامكم تضيق عن حمله . وفي احتجاج الطبرسي^(٦) في التوقيع الصادر من الناحية المقدّسة على يد العمري : أمّا علة ما وقع من الغيبة فإنّ الله عزّ وجلّ

(١) سورة ٦ آية : ٩٥ - وغيرها .

(٢) سورة ٢٩ آية : ٢ .

(٣) سورة ٢ آية : ٢١٤ .

(٤) سورة ١٢ آية : ١١٠ .

(٥) سورة ٣ آية : ١٤١ .

(٦) الطبرسي منسوب إلى « طبرس » « طبرش » « مغرب » « نغرش » الحالية بيران والشيخ صاحب =

يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم ﴾ (١) إنه لم يكن أحد من آبائي إلا وقعت في عنقه بيع لطاغية زمانه وإني أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي .

وهناك أسرار وحكم أخرى لا يتسع الوقت والمجال لبيانها ، على أن كل ذلك تطفّل وفضول بعدما عرفت من أن الله في عباده شئناً لا تدركه العقول ، ونحن حتى الآن لم تصل عقولنا إلى أسرار خلقتنا وكنه أرواحنا وحقيقة حياتنا ؛ فكيف نحاول معرفة أسرار الملك الملوكوت ، والعبزة والجبروت ؟ نحن لا نستطيع أن نعرف الحكمة في جعل المغرب ثلاثاً والعشاء أربعاً والصبح اثنين وأمثال ذلك من الأوامر التشريعية فضلاً عن الأمور التكوينية !! نعم وفي مثل هذه المقررات المجهولة الحكمة تكمل حقيقة الإيمان وتظهر فضيلة التسليم والإذعان وبهذا مدح الله سبحانه الراسخين في العلم حيث قال عزّ شأنه : ﴿ والراسخون في العلم يقولون آمناً به كل من عند ربنا ﴾ (٢) مدحهم على الإيمان بما جاء من الله عزّ شأنه وإن لم يعرفوا تأويله وحكمته .

وأما قولك : وكيف يمكن أن يظلّ طيلة هذه المدة حياً؟ (٣) فهو سؤال

الإحتجاج والطبرسي صاحب مجمع البيان وإبنه صاحب مكارم الأخلاق وحفيده صاحب مشكاة الأنوار منسوبون إليها لا إلى « طبرستان » - مازندران - كما هو المشهور شهرة لا أصل لها وقد حققنا ذلك في بعض مقالاتنا المنتشرة في مجلة العرفان الصادرة في صيدا - لبنان - لصاحبها الشيخ العلامة المجاهد الشيخ أحمد العارف الزين . وحققتنا أيضاً تفصيلاً في مقدمة تفسير « جوامع الجامع » للطبرسي (ره) بحيث لم يبق فيه شك ولا ارتياب فراجع تجد صدق ما قلناه .

وسوف ينشر هذا التفسير النفيس بخط الكاتب الشهير الحاج ميرزا طاهر (خوشنويس) التبريزي - طبع « أوفست » في تبريز . ونسأل الله تعالى إنجازه عاجلاً إن شاء الله تعالى .

(١) سورة ٥ آية : ١٠٢ .

(٢) سورة ٣ آية : ٧ .

(٣) لا استبعاد عند العقل والوجدان في طول عمر مولانا الإمام المهدي المنتظر أرواحنا فداءه فإن =

غريب بل وغريب جداً ، كأنك نسيت قوله تعالى في نبيّه نوح (ع) : ﴿ فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ﴾^(١) ، وذكر أنّ عمره كان ألفاً وستمائة ، وقيل أقلّ ، وقيل أكثر حتى قيل أنّه تجاوز الألفين . ومن تدبّر وأنصف عرف أنّ الإنسان إذا أمكن أن يعيش ألوفاً السنين فإن من وهبه الحياة سنة يقدر أن يمدّها إلى ما شاء الله .

وأما سبب غيبة الخضر (ع) إن صحّ كونه حيّاً موجوداً إلى الآن كما

= من هو قادر على حفظ حياة الإنسان آناً واحداً ويوماً فardاً يقدر على حفظ تلك الحياة آفاً من السنين لم يكن ذلك محالاً ذاتاً حتى لا يتعلّق به القدرة نعم هو خارق للعادة وخرق نواميس الطبيعة في شؤون الأنبياء وأوصيائهم ليس شيء عجيب وأمر غريب .

على أن القرآن الكريم ينص لنا في قصة يونس (ع) ﴿ فلولا أنّه كان من المسيحين للبت في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾ - سورة الصافات آية : ١٤١ - وهو في بطن الحوت « الحوت » في قعر البحر - الآية الشريفة صريحة في أن يونس لو لم يكن من المسيحين لكان يلبث في بطن الحوت على حاله إلى يوم يبعث سائر البشر فكيف لا يعيش إنسان يهتم في رعاية قوانين حفظ الصحة وهو عالم بجميع موجبات سلامة المزاج واستقامة وحفاظة أسباب طول عمره وهو يعيش ويتنعم ويتنفس في الهواء الصافي اللطيف ويتجنب عن الهواء الراكد الكثيف . مع إثبات العلم اليوم إمكان الخلود للإنسان في الدنيا آفاً من السنين .

واحتمال إرادة موت يونس بإزهاق روحه ولبث جسده في بطن الحوت إلى يوم البعث وإحيائه عنده مخالف لظاهر الآية الشريفة لا يصار إليه ما لم يدل عليه دليل ولا دليل لنا على خلاف الظاهر وارتكاب التأويل . وظواهر القرآن حجة ما لم يدل دليل على خلافها من العقل أو النقل .

قال في مجلة المقتطف ج ٣ سنة (٥٩) : أن العلماء الموثوق بعلمهم يقولون أن كل الأنسجة الرئيسية في جسم الحيوان تقبل البقاء إلى ما لا نهاية له وأنه في الإمكان أن يبقى الإنسان حيّاً ألوفاً من السنين إذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته وقولهم هذا ليس مجرد ظن بل هو نتيجة علمية مؤيدة بالإمتحان .

راجع إلى أجزاء تلك المجلة تجد فيها البراهين الجلية في إثبات هذا الموضوع على أن من كان من البشر مزاجه في منتهى حد الاعتدال الحقيقي يمكن أن يعيش ويبقى حياً ما دامت أسباب العيش موفورة له وما دام لم يعرض له عارض خارجي يميته

والإعتدال الحقيقي في المزاج يوجد في بعض الناس من الأنبياء والأولياء وما ذكره السابقون من الفلاسفة من الشبهات في وجوده فقد ظهر وهنأ اليوم ولا يعبأ بها في العصر عصر انكشاف أسرار الطبيعة .

(١) سورة ٢٩ آية : ١٤ .

عليه أكثر علماء الفريقين فلعلّ العلة في غيبته كراهته لمعاشرة هذا الخلق المتعوس ، وتجافيه عن مباشرة البشر الذي ثلثاه شرّاً ، بل كلّه شرّاً إلا من عصم الله ممّن يصل إليهم أو يصلون إليه ، ويأنس بهم ويأنسون إليه أراد - ونعم ما أراد - أن يعيش متباعداً عن هذه الجلبة والضوضاء ، والمدينة الزائغة ، وكان وظيفته بين الأنبياء - إن كان نبياً - تكميل الخواص من عباد الله من السّيّاح والزهاد ، والإبدال والأوتاد^(١) بخلاف سائر الأنبياء ، فإن وظيفتهم دعوة العامة من سواد الناس إلى الإيمان بالله واليوم الآخر ولو بالإيمان البسيط واليقين الضعيف .

وأرجو أن يكون بهذا القدر مقنع وكفاية لجواب تلك الأسئلة على مقدار عقلية السائل حسبما طلبت ، وإن كنت أرغب أن أوفى الموضوع حقّه بأكثر من هذا البيان ، ولكن كثرة المشاغل وإستغراق الوقت بالوظائف الضرورية من

(١) قال السيد المحدث الجزائري (ره) ما هذا لفظه : قيل أن الأرض لا تخلو من القطب لأربعة أوتاد وأربعين إبدالاً وسبعين نجياً وثلاثمائة وستين صالحاً لأن الدنيا كالخيمة والمهدي كالعمود وتلك الأربعة أطناها وقد تكون الأوتاد أكثر من أربعة والإبدال أكثر من أربعين والنجباء أكثر من سبعين والصالحون أكثر من ثلاثمائة وستين والظاهر كما قيل أن الياس والخضر (ع) من الأوتاد فهما ملاصقان لدائرة القطب .

وأما صفة الأوتاد فهم قوم لا يغفلون عن ربهم طرفة عين ولا يجمعون من الدنيا إلا البلاغ ولا تصدر منهم هفوات الشر ولا يشترط فيهم العصمة من السهو والنسيان بل من فعل القبيح ، ويشترط ذلك في القطب . وأما الإبدال فدون هؤلاء في المراقبة وقد تصدر منهم الغفلة فيتداركونها بالتذكر ولا يتعهدون ذنباً وأما النجباء فهم دون الإبدال .

وأما الصالحون فهم المتقون الموصوفون بالعدالة ، وقد يصدر منهم الذنب فيتداركونه بالإستغفار والندم قال الله تعالى : ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ .

قيل : إذا نقص أحد من الأوتاد الأربعة وضع بدله من الأربعين وإذا نقص أحد من الأربعين وضع بدله من السبعين وإذا نقص أحد من السبعين وضع بدله من الثلاثمائة وستين وإذا نقص أحد من الثلاثمائة وستين وضع بدله من الناس والله العالم (أ.هـ) هذا ما ذكره المحدث الجزائري (ره) في الأنوار النعمانية أنظر ج ١ ص ٣٦٣ - ٣٦٤ ط تبريز .

ولعل المراد من السّياح هم الذين يسيحون في الأرض للعبادة وينظرون إلى آثار رحمة الله ويجتهدون في إكمال معارفهم الإلهية والله العالم .

التدريس وفصل الخصومات ، وأجوبة المراجعين في المسائل الفرعية وأخذ الفتوى لم يدع لنا فرصة لبسط الكلام في هذه المواضيع وقد كتبت هذا القدر على جري القلم وعفو خاطر والله الفضل والمنّة وممّا يحسن التنبيه عليه أنك مسلم محمّدي لا يليق بك ان تؤرّخ بالتاريخ المسيحي^(١) والله سبحانه يقول : ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً^(٢) والله وليّ التوفيق وبه المستعان .

١٠ شهر رمضان المبارك

سنة ١٣٤٩ هـ .

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

(١) وممّا هو جدير بالذكر والنقد عليه صريحاً هو ما تداولته الدول العربية من التاريخ المسيحي وتبعمهم الأمة الغربية غالباً ونسوا تأريخهم الإسلامي كما تناسوا أحكام القرآن ونبذوها على ورائهم ظهرياً ووقوعوا في ذل الخذلان ورزايا الإستعمار واتخاذهم التاريخ الأجنبي تاريخاً رسمياً لأنفسهم ينيء عن عدم حفاظة الدول العربية والحكومات الإسلامية - ظاهراً - لاستقلالهم الذاتي ومجدهم وشرفهم الديني وغيرتهم الوطني حتى أن بعض أفراد الأمة لا يعرف ولا يستعمل من التاريخ إلا التاريخ المسيحي أهذا من الحمية العربية ؟ .

أليسوا غيارى على الإسلام والعروبة ؟ ومع أن أصل مجد العرب وأساس عزتهم ليس إلا بالإسلام . فهل يقدم المسلم الغيور على ترجيح التاريخ المسيحي على التاريخ الهجري الإسلامي ؟ أليس هذا تقليداً محضاً للأجانب ؟ والسبب الوحيد في هذا العمل ليس إلا أعمال الأجانب وأذئاب الإستعمار الذين تربعوا في دست الحكومات الجائرة وأخذوا أمر الأمة بأيديهم الأثيمة العاشمة عملاً لميول أسيادهم الكافرة .

حتى أن أسماء الأشهر التي أخذتها الدولة المصرية عن أوروبا من زمن وزارة (نوبار باشا) إنما هي أسماء تحمل ذكريات وثنية عند الرومانيين واليونانيين ومأخوذة من ألفاظ أجنبية ولها دلالة أما وثنية أو استعمارية على إسم بعض قياصرة إيطاليا الأقدمين مضافاً إلى المعايير التي لا مجال هنا لذكرها وأما الدولة الإيرانية جعلت التاريخ الرسمي شمسياً وهو ليس بتاريخ إسلامي فإن التاريخ الإسلامي هو الهلالي القمري يعرفه العالم والعامي وأسماء الشهور الإسلامية هي الأسماء التي يبتدئ أولها من المحرم ويختتم بذو الحجة وهي التي نطق القرآن الكريم بأنها إثني عشر شهراً وقال تعالى : ﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ﴾ (سورة ٩ آية : ٣٦) .

نعم إن الدولة الإيرانية اتخذت بداية التاريخ من الهجرة النبوية بالسنين الشمسية لا بالسنين القمرية وهذا أول من جعل التاريخ الرسمي في المملكة الإسلامية هو التاريخ الميلادي المسيحي كما صنعتها الدول العربية الإسلامية ظاهراً . ولكن أسماء شهور السنين الشمسية من الأسماء القديمة البالية مأخوذة من المجوسية وليست بإسلامية أيضاً . فإلى الله تعالى نبتهل في إيقاظ الأمة من العرب والعجم جمعاء عن نومة الغفلة .

(٢) سورة ١٨ آية : ٢٨ .

رسالة

للإمام المصلح كاشف الغطاء موجهتان إلى مؤلف
كتاب (الحركة الفكرية في مصر) الأستاذ
الكبير الدكتور عبد اللطيف حمزة
المدرس بكلية الآداب بجامعة
فؤاد الأول في القاهرة
وقد سبق أن نشرهما المؤلف المذكور في نفس
الكتاب مع تمهيد لهما

بريد من العراق

رسالتان من كبير فقهاء الشيعة الإمامية سماحة الإمام

الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

إلى المؤلف

تمهيد :

كان من عملي في أثناء هذا البحث أن أعرض الفاطميين في مصر وأوازن بينهم وبين السنّين بها ، فكلّما تحدّثت عن أمر من الأمور العقلية أو الأدبية ، أو السياسيّة متّصل بإحدى الدولتين الأيوبيّة والممالك البحرية كنت أنتقل بذهني سريعاً إلى الفاطميين ، وكانت هذه الأمور التي أشير إليها لا تستقيم عندي إلّا بإجراء هذه الموازنة ، غير أنّي كنت أشعر بغنى المصادر العربيّة في ناحية ، وبفقرها المدقع في ناحية ثانية . فأما المصادر السنيّة فيسيرة متعدّدة ، وأمّا المصادر الفاطمية فلم تزل في بلادنا قليلة بل نادرة ، وأنا وإن كنت لا أكتب بحثاً خاصاً بالفاطميين إلّا أن حاجتي إليهم كانت ماسة من أجل تلك الموازنة التي لم أجد بداً منها .

ولكم ودّ صاحب هذا البحث أن تصل يده إلى تلك المصادر الفاطمية التي ما زال الكثير منها في ثنايا الكتمان والتي حرص عليها أصحابها طول هذا الزمان فبقيت نائمة في خزائنها ، مطمئنة إلى اماكنها من منازلهم ، حتى لقد كرهت مثلهم أن تستقرّ في بيت سنيّ ، اللهم إلّا إذا احتال عليها بشتى الحيل حتى يصل منها إلى بغيته .

وليتني أذ تعذّر عليّ الإتصال بهذه المصادر الفاطمية العزيزة على

أصحابها استطعت أن أتصل بأشخاص لا يزالون يستمسكون بهذه العقيدة الفاطمية ويتعلقون بأهدابها وأنا أعلم - مثلاً - أن (البهرة) المقيمين الآن بالهند هم البقية من الفاطميين الذين كانوا بمصر .

أجل : لم يتيسر لي أن أتصل بالمصادر الفاطمية التي أشير إليها ولا يتيسر لي الإتصال بأحد من (البهرة) ولا من الإسماعلية الذين يظنّ أنهم يملكون عدداً ضخماً من هذه المصادر التي تمنيت الحصول عليها .

ولكنّ الحظّ أسعدني بالاتصال بسماحة فقيه الشيعة ، الإمام الأكبر الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء النجفي العراقي المعروف بمواقفه الإسلامية الجليّة ومؤلفاته النفسية - أطال الله بقائه - وهو وإن لم يكن من الفواطم ولا صلة له بمؤلفاتهم ومعتقداتهم ، فإنّه بصفته إمام الشيعة الإثني عشرية أعلم من غيره ولا شكّ بالمذهب الشيعي بوجه عامّ ، وأدرى منّي بالفواطم الذين هم فرقة من فرق الشيعة ، فدارت بين سماحته وبينني رسائل سفر فيها أحد أصدقائنا العراقيين الوافدين إلى مصر لتلقي العلم ، وهو السيد المشكور الأسدي ، جزاه الله عنا خيراً .

وكنت في أثناء إتصالي بسماحة الإمام قد بعثت إليه بفصل من فصول هذا البحث وهو فصل (المذهب الديني) قرأه وجاء في بعض رسائله ردّ على بعض الآراء الواردة فيه ، كما جاء فيها ردّ على طائفة من الأسئلة التي كنت ألقها بين حين وآخر على سماحته ، وأرجوه أن يتفضّل بالإجابة عنها ، وأحالني كذلك على مصادر لها قيمتها ، وتفضّل فأهدى إليّ بعض مؤلفاته .

وكنت أوّل الأمر وقبل أن أبدء بالطبع أنوي أن أضمنّ بحثي هذا ردوده تلك وملاحظاته في مواضعها من الصفحات ، لكنني بعد أن قطعت شوطاً منهما في طبع البحث بدا لي أن أفرد لرسائل الإمام بحذافيرها مكاناً خاصاً بها في نهاية البحث ولذا لم يرد لهذه الرسائل ما كان ينبغي لها من ذكر في المقدّمة ، وأعترف بأنني أفدت الكثير من رسائل الإمام ، والتي أمل أن يجد فيها غيري من الباحثين فوائد أخرى .

وأنا إذ أشكر لسماحة الإمام الجليل تفضّله بالكتابة إليّ ، أعتبر نفسي سعيداً بأن أتحت لسماحته فوق ما أفاض من علم وأفاد فرصة الردّ عليّ وعلى أستاذه الفاضل أحمد بك أمين في هذا الكتاب ، وأنا واثق كل الثقة من أنّ أستاذه هذا لن يغضبه ما جاء في ثنايا الرسائل العراقية من ثورة علينا وعلى جمهور الباحثين في الديار المصريّة ، بل إنّي لأنظر إلى هذه الثورة أو الحماسة وأمثالها على أنها نوع من المداعبة العلميّة ، والعتاب الودّي بين علماء مصر والعراق .

وإذا علمنا مقدار ما لسماحة الإمام آل كاشف الغطاء من جهود عظيمة بذلها ، ولا يزال يبذلها في الدعوة إلى التآخي والتقريب بين طوائف المسلمين رأينا أنّ الباعث لما جاء في رسالته من عتاب إنّما هو الغيرة على الإسلام ووحدّة المسلمين والدعوة إلى إنصاف الشيعة الذين يعدّون بعشرات الملايين وفهمهم فهماً صحيحاً يرضاه العلم ، ويطمئن إليه الضمير .

وإنّ من دواعي سروري أن يكون كتابي هذا سبباً لإثارة هذه المعاني بنشر رسالتي الإمام التاليتين ، والله الموفق للصواب .

عبد اللطيف حمزة

الرسالة الأولى

الإجتهد والحرية الفكرية عند الشيعة الإمامية

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد

حضرة الأستاذ النبيل الدكتور عبد اللطيف حمزة زاد الله توفيقه .

سلام وتحية .

وردنا كتاب من بعض شبابنا النجيب المهاجرين لارتشاف مناهل العلوم في بلادكم الكريمة لا لأنّ بلادهم جافة من تلك المناهل ولكن للهجرة معناها وقيمتها ، ولا سيّما طلب العلم .

نعم ، كتب أنكم عازمون على تأليف كتاب في الحركة الفكرية في مصر . إبان الدولتين الأيوبية والمملوكية ، وقتلم له : إنكم تريدون أن تنصفوا الشيعة ومنهم الفاطميون ، في كتابكم هذا - وحبذا لو صحّت الأحلام وانقشع الغمام - فإنّ هذه الطائفة لا تزال مجهولة القدر ، مهضومة الحقّ عند سائر فرق المسلمين ، ولا سيّما عند إخواننا المصريين ، فإنهم يرونهم بعين الشنّان ، ولهذا الدعوى شواهد كثيرة لا مجال لذكرها ، ويكفي ما ينشره رجالهم كأحمد أمين وأقرانه في مؤلّفاتهم ، ولعلّ نظركم وقع على مؤلّفنا الوجيز (أصل الشيعة وأصولها) وما ألمعنا فيه إلى هذه القضية ، ثمّ ذكر الشابّ أنكم تريدون الجواب على هذا السؤال وهو :

إلى أيّ حدّ نعتبر باب الإجتهد مفتوحاً أمام علماء الشيعة الإمامية وما مسافة هذا الإجتهد؟ وما نوعه وما تأثيره على الفقه الشيعي؟ وهل حريتهم الفكرية المعروفة عنهم مطلقة بالمعنى الصحيح أم هي مقيدة تقييداً كبيراً بمذهبهم؟^(١) وقتلم : هذا ما أنتظر الجواب عليه راجياً أن يتأيّد هذا الجواب بالأدلة الكافية والنصوص الواضحة .

وحيث أنّ الجواب عن هذه الأسئلة على اختصارها إن كان بنحو الإجمال ربّما لا يروي الغلة ولا يحصل به غرضكم وإن كان بنحو البسط والإستيفاء وإعطاء الموضوع حقّه إحتاج إلى تأليف رسالة أو كتاب لا يتسع له وقتنا وحالنا ، لذلك أرسلنا لكم مع البريد بتوسط الشابّ المشار إليه وأحد تلامذتكم والمنوّهين عن فضلكم : الجزء الأوّل من (سفينة النجاة) فإنكم تجدون في صدرها مباحث وافية وكافية لإرواء ظمئكم إلى ورود تلك الشرائع ، وجواب تلك الأسئلة ، مع إشارة إلى بعض الأدلة أو المهم منها في تلك المواضيع ، والإيماء إلى مادّة تلك الينابيع ، فإذا سهّل الباربي جلّ شأنه وصول الكتاب إليكم وأعطيتموه حقّه من المطالعة والنظر ، وجدتموه وافياً بغرضكم فذاك هو الأمل وإلاّ عرفونا ما يسنح لكم من سؤال أو أشكال تجدونها عند رغبتكم إن شاء الله .

(١) أنظر صفحة ٢٠٠ من كتاب (الحركة الفكرية : ...) للمؤلف .

ومع ذلك فلا يعوقنا شيء عن الجواب الوجيز ، والإيماء الوامض الذي يدلّكم على بعض الناحية المهمة في سؤالكم أو كلّها .

١ - يعتبر باب الإجتهد مفتوحاً أمام فقهاء الإمامية بغير حدّ من ناحية المجتهد إلاّ حدود تحقيق شرائطه وأهليّته من أيّ عنصر كان . وفي أيّ بلد أو زمان يكون ، وإلى أيّ نحلة من نحل الإسلام يتنسب ، فهو من هذه الناحية حرّ طليق لا يتقيّد إلاّ بنفسه وتحقّق ذاته .

٢ - وأما مسافته ، فهي كذلك غير محدودة لا في أوّل ولا آخر ، بل مستمرة ما دام التكليف ، وما بقيت العقول التي هي الحجّة الكبرى للخالق على المخلوق ، وللمخلوق على الخالق ، وهي ثابتة في كل زمان ومكان ، وفي عامة الشرائع والأديان .

٣ - وأما نوعه ، فهو من العلوم النظرية الفكرية الإستقلالية ، وليس من العلوم الآلية ، وهو مقدّمة للعمل وليس تحقّقه منوطاً به ، بل هو ملكة نفسية كسائر العلوم والفنون ، ولا تكون ملكة راسخة إلاّ بعد الممارسة والمزاولة وسبر الأدلّة ، واستحضار القواعد العامّة ، والإخاطة بالأشباه والنظائر ، وهو أحوج ما يكون إلى ذهن نافذ وفهم وقاد ، وذوق سليم واعتدال سليقة واستقامة طريقة ، ومعرفة بالأمور العرفية يستطيع بها تطبيق الأصول للفروع واستنباط حكم الجزئي من الدليل الكلّي ، ويستحيل عادة أو حقيقة هذه الملكة - أعني ملكة الإجتهد - للبليد والرجل العادي ، ولذا قالوا : أنّ الإجتهد نور يقذفه الله في قلب من يشاء ، وأنا أقول نعم هو نور ولكن لا يقذفه الله في قلب أحد جزافاً ، وإنّما ينفحه به بعد طول الكدّ والجهد والتعب والعناء ، وإن نقل عن بعض الأساطين : أنّ ملكة الإجتهد حصلت لهم قبل البلوغ ، وهو إن صحّ فمن النوادر والشواذّ .

٤ - هل حرّيتهم الفكرية مطلقة بالمعنى الصحيح أم هي مقيدة بقيوداً كبيراً بمذهبهم ؟ قد أشرنا إلى أنّ الإجتهد لا يتقيد بمذهب من المذاهب ، فهو مطلق من هذه الناحية ، ولكن الإجتهد الصحيح الذي يجوز للمجتهد أن

يعمل به ، وللمقلد أن يأخذ به ويرجع إليه مقيّد بأن يكون على مذهبهم ومن السنة المعتبرة عندهم ، مثلاً الأحناف قد يفتنون على ما يقتضيه القياس والمصالح المرسلّة ، وهذا لا يجوز عند الإمامية أصلاً ؛ بل لا بدّ من الاستناد إلى الكتاب أو السنة المعتبرة عندهم ، أو العقل القطعي البديهي لا الظنّ أو الإستحسان وحتىّ أنّ مراجعتهم العليا في الحديث - وهي الكتب الأربعة المشهورة : (الكافي) و (التهذيب) و (الإستبصار) و (ومن لا يحضره الفقيه) - مع جلاله قدرها وعظمتها عندهم فهم لا يعملون بكلّ حديث فيها ؛ بل يمحصونه ويفحصونه ويجهدون في سنده ومتنه ، فقد يقبله مجتهد حسب إجهاده ؛ وقد يرده آخر لعيوب يجدها فيه او معارض اقوى حسب اجتهاده ايضاً ، ومن هنا تعرف حريتهم الفكرية كيف ترامت إلى امد بعيد قد تجاوز الحدود واخترق التخوم ، ومنه تعرف ايضاً تأثير إنفتاح باب الاجتهاد على الفقه ، فإنّ هذا الانفتاح قد شحذ أذهانهم ، وفتق قرائحهم ، وفتح لهم مدائن واسعة في الفروع والاصول يعرف ذلك جلياً من راجع مؤلفاتهم في الفقه والاصول ، من المتقدمين والمتوسّطين والمتأخرين .

ولولا إنحراف الصحّة ، وضعف القوى ، وسوء ملكة العلل والأسقام لنا ساعة كتابتي هذه لذكرت نبذة وافية من الشواهد على ما كان له من التأثير على الفقه الشيعي ، بل قد تجاوز ذلك إلى تأثيره على الأدب العربي ، والشعر البديع فقد كان لأكثر فقهاءنا ، حتىّ من غير العرب نصيب من الأدب العالي والشعر الرائق والمؤلفات النفيسة في أنواع علوم العربية حتىّ متن اللغة ولو نظرت إلى (طراز اللغة) لسيد علي خان صاحب السلافة الذي هو وإن لم يكمل أضعاف القاموس ، نعم لو نظرت له لرأيت العجب من تلك السعة والإحاطة وحسن الذوق .

والخلاصة : أنّ انفتاح باب الاجتهاد لم يؤثر على الفقه عندهم فقط بل له تأثيره البالغ في سائر العلوم حتىّ الحساب والهندسة والفلك وما إليها وإذا أردت أن تعرف الفرق بين فقههم وفقه بقية المذاهب الإسلامية فمن الجدير أن تسمي نظرك في مؤلفنا الجديد الذي فرغنا من تأليفه وطبعه العام الماضي ،

وهو كتاب (تحرير المجلّة) في خمسة أجزاء ، الأربعة الأولى منه في العقود
والمعاملات والإلتزامات والضمانات والقضاء والمرافعات ، والخامس في ما
يسمونه اليوم بالحقوق الشخصية الذي استدركناه على أرياب المجلّة .

وهذا البيان الوجيز وفق ما أمكن لا وفق ما يلزم ، ولا زلتم موفّقين
لخدمة المعارف بدعاء الأب الروحي :

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

صدر من مدرسته العلميّة في النجف الأشرف - العراق

٤ ربيع الأوّل سنة ١٣٦٥ هـ

الرسالة الثانية

غيبة المهدي المنتظر لا علاقة لها بالسرداب
- نسب عبيد الله المهدي الفاطميون
والقرامطة - مفاخر الفاطميين - وصاية علي بن
أبي طالب - عصمة الأئمة - والحركة الفكرية عند
الإمامية - الفرق بين الفاطميين والاثني
عشرية - الفرق بين الإمامية والمعتزلة .

بسم الله الرحمن الرحيم : وله الحمد

ولدي العزيز المهذب النجيب مشكور الأسدي ، شكر الله مساعيه .

سلام وتحية :

وردني البريد وفي طيّه التحفة السنيّة ، بل الوردة العبقّة الذكيّة ، وهو
كتاب أستاذك الفاضل ، بل أستاذ الفضيلة ، ومجموعة السجايا النبيلة والأدب
اليانع ، والذكاء الوقاد ، والفكرة الحرّة : الأستاذ الدكتور عبد اللطيف حمزة ،
حفظه الله وزاده نشاطاً وتوفيقاً ، وقد جعلت كتابي هذا جواباً لكما معاً ، لأنّ
روحكما واحدة ، ونحن ننظر إلى الأرواح أكثر من نظرنا إلى الأجسام ، بل لا

ننظر إليها إلا من جهة الأرواح ، والأشباح مرآة وفتنة إليها ، ولا أكتب إلا بمقدار ما تسمح به قوتِي لا ما تنزو إليه رغبتِي ، ولكن على قاعدة (لا يسقط الميسور بالمعسور) و (ما لا يدرك كله لا يترك كله) .

سألت عن (المهديّ المنتظر) وقلت إن الشيعة يزعمون أنه دخل في سرداب في سامراء وتغيّب هناك . . . ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب فيهتفون بإسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ، ثم ينفضون ويرجئون الأمر إلى الليلة الآتية . (إنتهى) .

عجبت كيف تسألني عن هذه الخرافة ؟ ونسيت ما قلته ونقلته عنّا في صفحة من صفحات كتابك أنه (أي محمّد الحسين) لا يرضى عن الرجوع في تاريخ الشيعة إلى ما كتبه ابن خلدون (البربري) الذي يكتب وهو في أفريقيا وأقصى المغرب عن الشيعة في العراق وأقصى المشرق (إنتهى)^(١) .

فهل نقلت الأسطورة الخرافية إلا عن ابن خلدون أو أمثاله ؟ وهل وجدتها في شيء من كتب الشيعة ؟ إذا فأرشدنا إليه أرشدك الله ، هذا وقد قرأت في كتابنا (أصل الشيعة وأصولها) الذي نوّهت أنت عنه في هذه الصفحة .

نعم لا شك أنك قرأت في صفحة ١٠١ من الطبعة الثالثة المطبوعة عندكم في القاهرة ما نصّه : وقد أوضحنا غير مرّة أنّ من الأغلاط الشائعة عند القوم (أي عند السنّة) من سلفهم إلى خلفهم اليوم زعمهم أنّ الشيعة يعتقدون غيبة الإمام في السرداب ، مع أنّ السرداب لا علاقة له بغيبة الإمام أصلاً ، وإنّما تزوره الشيعة وتؤدّي بعض المراسيم العبادية فيه لأنّه موضع تهجّد الإمام وآبائه العسكريين ، ومحلّ قيامهم في الأسحار لعبادة الحقّ (إنتهى) .

وأعجب من ذلك قضية الوقوف على باب السرداب والتهاف بإسمه

(١) أنظر صفحة ٧٠ من كتاب الحركة . . .

ودعوته للخروج ، فإنَّ سامراءَ من مشاهير مدن العراق ، ويقصدها كلُّ يومٍ أو كلِّ شهرٍ ، أو كلِّ عامٍ ألوف من أهل الأقطار النائية من مختلف العناصر والمذاهب ، ومقام السرداب وبابه مفتوح لكل وارد ، إنفتاح سائر المشاهد والمعابد ، فمن ذا الذي رأى الشيعة يقفون على بابه ويهتفون بإسمه للخروج ، نعم السرداب مزار عند الشيعة ويقفون على بابه أي وقت شاؤا ولا يختص بمغرب ولا غيره ، ويسميه العوام أو بعض الخواص (الغيبة) لأن الإمام غاب في تلك الدار ، وهي التي ولد ونشأ فيها ، ويقفون على الباب يستأذنون للدخول شأن الوقوف على الأماكن المقدسة ، ويسألونه على تعجيل الفرج برفع كابوس هذا الظلم عن العالم ، وإقامة موازين القسط والعدل بظهور إمام يملؤها قسطاً وعدلاً بعدما ملكت ظلماً وجوراً ، ولا يختص السرداب بهذا الدعاء بل يدعون به في كلِّ زمان وكلِّ مكان وهذه إحدى الإفتراءات التي كانت الدعايات السوداء تنشرها عن الشيعة . وكنا نحسبها زالت أو تزول في هذا العصر الذي يسمونه عصر النور - وهو أظلم العصور ظلماً وظلاماً - كنا نحسبه عصر التمحيص وعصر الحقائق - وإذا الناس تلك الناس - والزمان ذلك الزمان ، وكلَّ كتاب فجر الإسلام ، وكلَّ كاتب أحمد أمين . . . فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

ثم ذكرت في ذيل تلك الصفحة التي أشير إليها : ويشك^(١) المؤرخون السنيون كلَّ الشك في نسب عبيد الله المهدي (إنتهى) .

مع أن كثيراً من مؤرخي السنة يصححون نسب الفاطميين ، ومنهم المقرئزي على ما ذكر ، والظاهر أن محمد بن إسماعيل هو محمد المكتوم لا محمد بن المكتوم ، أما ما نقلته عن المقرئزي من أن أصل الدعوة الفاطمية مأخوذ عن القرامطة^(٢) إلى آخر ما ذكرت من التحامل إلى هذا الرأي ، أو التحامل على تلك الدعوة . . . فإنَّ الحسَّ والوجدان ، وسيرة الفاطميين أنفسهم تفند هذا الرأي وترثفه ، فإنَّ القرامطة ملاحدة ، وقضيتهم في مكة

(١) أنظر ص ٧١ من كتاب الحركة . . .

(٢) أنظر ص ٧٢ من كتاب الحركة . . .

المشرفة وقلع الحجر ، وقول زعيمهم :

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا

وقوله بعد أن قتل في المسجد الحرام سبعين ألفاً من الحجاج :

ولو كان هذا البيت بيتاً لربنا لصبّ علينا من صواعقه صبّاً

إلى آخر الأبيات ، فإنّ كلّ ذلك معروف .

أمّا الفاطميّون فيمكن أن يصحّ القول عنهم : أنه ما من دولة نشرت الثقافة الإسلاميّة ، وخدمت الإسلام عموماً ، ومصر خصوصاً مثل الدولة الفاطميّة . ولولم يكن لهم من المآثر والمفاخر سوى الأزهر الخالد لكفى ، أمن الحقّ والإنصاف أن يكون جزاء هؤلاء إزاء خدماتهم لمصر والإسلام أنّهم ملاحدة قرامطة مذهباً ؟ ويهود بالأصل نسباً ؟ ! الحكم في ذلك لوجدانك النزيه ، وضميرك الحرّ ونعوذ بالله من العصبية التي من تضع على الأبصار والبصائر كلّ غشاوة .

ومن ملاحظتي على الكتاب أنّكم ذكرتم في صفحة من صفحاته ما

نصّه :

فمن عقائد الفاطميّين قولهم بوصاية عليّ بن أبي طالب ، وهي فكرة مأخوذة عن الشيعة الإماميّة . وهم الذين لقبوا عليّاً بهذا اللقب في حياته وأنّ عليّاً لم يرض به كما لم يرض بغيره من الأقوال التي ذهبوا فيها إلى تقديسه . إلى آخر ما ذكرت ، وهذه شنشنة قديمة أعرفها من إخواننا السنيّين ، ولا أستطيع أن أثبت لك بهذه الفصاحة وصاية عليّ من كتبهم لأنّه قد يستوعب مجلداً ، ولكن ليت شعري أنظرت في (أصل الشيعة وأصولها) صفحة (٨١) ونسيتها أو تناسيتها أو لم تنظرها ؟ وعلى كلّ فأنا أرشدك إلى شاهد ثبت لعلّك تقنع به ، وتعرف منه أنّ لقب الوصيّ لعلّيّ أشهر - كما يقولون - من الشمس في رابعة النهار ، هو المسطور في آخر مجلّد من لسان العرب

لإبن منظور المصري تحت مادة « وصي » أنظر هناك وأعجب^(١) ثم ليت شعري من أين ثبت عندك أنّ علياً لم يرض به في حياته ؟ وهذا (نهج البلاغة) مشحون بما يدلّ على ذلك ، وغير ذلك ، وغير النهج من خطبه وكتبه .

هذا وقد كلّت إلى هنا يدي ، وضعفت عن إمساك اليراع أناملي ، فلا أستطيع إبداء جميع ما يخطر من الملاحظات ، ولكنّي كذلك لا تسمح لي عاطفتي نحوك ، وتشجيع طموحك في آفاق العلوم والمعارف أن أختتم كتابي هذا قبل إجابتك من أسئلتك المدرجة في رسالتك الخاصّة ، ومهما كلّفني

(١) قال إمام أئمة اللغة جمال الدين محمد المعروف بإبن منظور الأفرقي المصري الأنصاري المتوفى (٧١١ هـ) في كتابه الكبير النفيس « لسان العرب » ما هذا لفظه : قيل لعلي (ع) « وصي » لاتصال نسبه وسببه وسمته بنسب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسببه وسمته (قلت) كرم الله وجهه أمير المؤمنين علي وسلم عليه هذه الصفات عند السلف الصالح رضي الله عنهم ويقول فيه غيرهم لولا دعاية فيه وقول كثير .

تخبر من لاقيت أنك عائذ بل العائذ المحبوس في سجن عارم وصي النبي المصطفى وابن عمه وفكّك أغلال وقاضي مغارم

إنما أراد ابن وصي النبي وابن ابن عمه وهو الحسن بن علي أو الحسين بن علي رضي الله عنهم فأقام الوصي مقامهما ألا ترى أن علياً رضي الله عنه لم يكن في سجن عارم ولا سجن قط قال ابن سيده أنبأنا بذلك أبو العلاء عن أبي علي الفارسي والأشهر أنه محمد بن الحنفية رضي الله عنه حبسه عبد الله بن الزبير في سجن عارم والعصيدة في شعر كثير مشهورة والممدوح بها محمد بن الحنفية (أ.هـ) أنظر لسان العرب ج ٢٠ ص ٢٧٤ ط مصر .

وقد خاطب رسول الله - أمير المؤمنين - (ع) في صدر الإسلام بلقب (الوصي) وذلك حينما نزلت آية ﴿ وأندر عشيرتك الأقربين ﴾ وجمع رسول الله (ص) أعمامه وعشيرته وتكلم فقال يا بني عبد المطلب اني والله ما اعلم شاباً في العرب جاء قومه بافضل مما قد جئتكم به قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد امرني الله تعالى ان ادعوكم اليه فايكم يوازرني على هذا الامر على ان يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم فاحجم القوم عنها جميعاً قال امير المؤمنين (ع) وقلت اني لاحدثهم سنأ وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً واحمشهم ساقاً انا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فاخذ برقبتي ثم قال ان هذا اخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا قال فقام القوم يضحكون فيقولون لابي طالب قد امرك ان تسمع لابنك وتطيع .

وقد أجمع المؤرخون على نقل هذه القضية في كتب التواريخ ، أنظر تاريخ الكامل لإبن الأثير ج ٢ ص ٢٢ ط مصر وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٦ وغيرها من الكتب المعتبرة التي يطول الكلام بذكرها .

الأمر من العناء وفاءً بالأبوة الروحية وقياماً بواجبها .

١ - سألت عن القول بعصمة الأئمة عند الشيعة الإمامية يحجب شيئاً من الحرية الفكرية عندهم أو يحول دون التمتع بها على الوجه الأكمل^(١) . والجواب أنني لا أحسب أن طائفة من طوائف الإسلام تلتزم الحرية الفكرية وتطلق سراح العقل في أوسع آفاقه كعلماء الطائفة الإمامية ، والقول بالعصمة لا يضايق العقل عندهم ولا تقيده بشيء من قيود ، وللعقل المقام الأعلى في أدلة الأحكام ؛ وإذا عارضه النقل فالمعول على العقل . وكثيراً ما يأتي الحديث الذي هو في أعلى مراتب الصحة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام - وهو ما يسمونه بالصحيح الأعلائي - ويكون منافياً للعقل ، فإن أمكن تأويله ألى ما يوافق العقل أولوه ، وإلا ضربوا به الجدار ، وتأدباً يقولون نردّ علمه إلى أهله ، ولا يعلمون به .

٢ - وسألت ما هي أهمّ الفروق الواضحة بين الشيعة الإمامية والشيعة الفاطمية الذين هم فرع من الإمامية ؟ !

والجواب ما قلته لبعض علماء الشيعة الإسماعيلية الذين هم إلى اليوم في الهند (بومباي) فإنهم بقية الفاطميين تحقياً^(١) وأعني بهم (البهرة) أتباع « طاهر سيف الدين » لا أتباع « آغا خان » فإنهم ملاحدة تحقياً : لا حج ، ولا صوم ، ولا صلاة ، بخلاف الأولين .

نعم قلت نحن وأنتم سرنا في طريق واحد وعندما وصلنا منتصف الطريق فارقتمونا وهكذا الحال فإنهم يوافقوننا في ستة من الأئمة من عليّ (ع) إلى جعفر الصادق (ص) وينكرون الستة الآخرين ، وللمقال هنا مجال واسع في ذكر أصولهم وفروعهم ، وفي ذكر القاضي النعمان بن محمد المصري^(٢) وغيره من أفراد أسرته الجليلة الذين تولوا القضاء للفاطميين أكثر من مائة سنة

(١) أنظر ص ٢٠٠ من هذا البحث وما بعدها من كتاب الحركة . . .

(١) أنظر هامش ص ١٩٩ من البحث في كتاب الحركة الفكرية . . .

(٢) القاضي النعمان المصري توفي سنة : (٣٦٣) هـ كان قاضياً بمصر .

وكتابه الجليل (دعائم الإسلام) ولكن لا قوة تساعدني على الإفاضة في ذلك ، فعذراً .

٣ - وسألت ما هي الصلة بين الشيعة الإمامية ومنهم الفاطمية وبين المعتزلة التي هي من فرق السنة ؟ فقد وجدت الفريقين تتحدثان عن صفات الله ، وتخصان صفة العدل من صفاته تعالى بالكلام .

والجواب : أن المعتزلة فرق كثيرة ، وقد انقضت اليوم على الظاهر ، ومنها المعتزلة الشيعة ، ومعتزلة السنة ، ومعتزلة السنة أيضاً أنواع مفضلة وغير مفضلة ، والذي يجمعها عموماً مع الشيعة عموماً هو قولهم بأن من صفاته تعالى العدل الذي ينكره الأشاعرة . وعلى هذا تبني مسألة الحسن والقبح العقلين التي تقول بها الإمامية والمعتزلة ؛ وتنكرها الأشاعرة أيضاً ، وبهذا الملاك يطلق على الفريقين إسم العدلية . أما الكلام فهي مسألة أخرى ، فإن الأشاعرة قالوا بالكلام النفسي له تعالى ، وأنه من صفاته الثبوتية ، وأنكره العدلية بأجمعهم ، ومن هذه القضية تفرعت المسألة المهمة التي أخذت دوراً وإسماً في زمن المأمون والمعتصم ، والواثق بل والمتوكل أيضاً ، وهي قضية خلق القرآن وهل هو حادث أو قديم ؟ مخلوق أو غير مخلوق ؟ وهي المحنة التي ضرب في سبيلها الإمام أحمد بن حنبل بالسياط ، وقد أشبعنا بالكلام في هذه المباحث في الجزء الأول من كتاب (الدين والإسلام) ولا مجال لتفصيل هذه المباحث العويصة في هذا الكتاب الوجيز مع ما نحن فيه من العجز . ولعل كتابة هذا القدر على اختصاره من المعجزة أو المعجز صفحة ٨٧ من أصل الشيعة وأصولها ذكر المعتزلة ، وإذا قرأت كتابنا (تحرير المجلة) بإيجزائه الخمسة وأجلت نظرك فيها بإمعان رجوت أن يتجلى عندك ما للشيعة الإمامية من عمق الغور ، وبعد النظر في التفقه ، وإتفاق الأصول والقواعد وتحرير الفروع والمسائل .

وليكن معلوماً لديك أيها الأستاذ الكريم أنني ما كتبت كل هذا إلا بدافع الإفادة والإحسان ، فإن كان ما فيه شيء من الخشونة فانعم بمسحها بأنامل العفو والغفران .

والله يحفظكما ويرعاكما بدعاء الأب الروحي البار :

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

صدر من مدرسته العلمية في النجف الأشرف - العراق

٣ جمادي الثانية : ١٣٦٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم : وله الحمد

إلى المحروس السيد نجم الدين الحسيني سلمه الله .

سألت - وفقك الله - عن الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وأرباب السنن كالترمذي وابن داود وابن ماجه عن حذيفة أن رسول الله (ص) أتى سباطة قوم فبال قائماً . وأن بعض أئمة المساجد لم تستطع أن تقنعه بأن هذا الحديث كذب . وتقول هل جاء نص بحرمة ؟ وطلبت منا الجواب .

فاعلم أننا وأكثر المذاهب الإسلامية على الظاهر نعتقد عصمة النبي (ص) ولا شك أن العصمة فوق العدالة بمراتب والعدالة كما هو معروف ترك الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر ، وعدم إرتكاب منافيات المروءة ، ويمثلون منافيات المروءة بمثل الأكل في الطريق أو المشي فيه عارياً مستور العورة ، فإذا كان مثل الأكل منافياً للمروءة ومسقطاً للعدالة فكيف لا يكون البول في الطريق منافياً للمروءة ومسقطاً للعدالة ؟ فهل يعقل أن يكون النبي (ص) غير عادل ؟ مع أن الواجب عقلاً أن يكون معصوماً ، والعصمة فوق العدالة ، ومنافيات المروءة لا يلزم أن تكون حراماً حتى يقال هل أتى نص بحرمة ، وغير خفي على ذي لب أن مقام النبي الكريم الذي يقول فيه العظيم : أنك لعلی خلق عظیم^(١) حتى في أحواله العادية فضلاً عما يعود إلى عالم التشريع هو فوق مستوى البشرية فهو منزّه في كلّ أقواله وأفعاله بعيد عما يكون له أيّ مساس بحفظ الكرامة ، والصيانة ، والوقار ، والهبة ولا ريب أن

(١) سورة ٦٨ آية ٤ .

البول قياماً ولا سيمماً أمام جماعة من الناس ممّا تنبو عنه الطباع وتشمئز منه النفوس ، ألا ترى أنّ العرب كانوا إذا أرادوا ذمّ الرجل ، وأنّه جلف جافي لا يعقل شيئاً يقولون : (أعرابيٌّ بوال على عقبه) أي يبول قائماً يترشح البول أو يسيل على عقبه كالبهائم . فإذا كان أحد أئمة المساجد الذي لم تستطيع إقناعه بكذب الخبر يرضى أن يكون نبيّه بوالاً على عقبه فنحن لا نرضى بذلك وننزه مقام النبوة ونقدسه عن مثل هذه الرذائل . ومن الشائع المعروف عند الإمامية أنه (ص) ما رآه أحد على بول أو غائط قط وإن الأرض تبتلع فضلاته .

وهذا أمر جليّ واضح يدركه الذوق والوجدان ، وهو في غنى عن الدليل والبرهان ، فإنّ كلّ ذي شعور إذا وجد رجلاً يبول في الطريق قائماً أو قاعداً يسقط من عينه ، ولا يبقى له أيّ كرامة في المجتمع ، كمن يمشي عارياً في المجامع ، ويستحقّ الذم واللوم عند العقلاء وهذا في سائر الناس فما ظنك بالنبيّ والأئمة سلام الله عليهم ، والعلماء الذين بهم الأسوة والقدوة ؟ !

هذا من طريق العقل والعرف والإعتبار ، أمّا لو أردنا سرد الأخبار الواردة في كراهة البول قائماً أو في الطريق ، وإستحباب التباعد بالبول بحيث لا يرى ، وأن يتوقّى الترشح ونحوه فهو كثير لا يسع المجال لإحصائه نعم لو رأينا النبيّ (ص) بال قائماً بأعيننا أو ثبت ذلك بالتواتر وجب علينا تخريج وجه لصحة عمله ، وطلب وجوه التأويل لهذا العمل المنكر عقلاً وعرفاً وشرعاً ، فنقول إنّ مراده بيان الجواز ، ودفع توهم الحرمة ، أو أنّ الضرورة وشدة الحصر دفعه إلى ذلك لدفع الضرر ، كما ورد في بعض الأخبار « بل ولو على ظهر حمارك » أي إذا حصرك البول . وبالجملّة إذا قطعنا بصدور العمل منه يلزمنا التأويل .

أمّا بمثل هذا الخبر الضعيف السند المضطرب المتن ، السخيف المعنى والمبنى فنضرب به الجدار ، ومن أصّر عليه فلا ذوق له ، وإنّ أبي فهو حمار . وقد روى البخاريّ بنفسه ضدّ هذا الخبر بسنده عن ابن طاووس عن ابن عباس : أنّ رسول الله (ص) مرّ على قبرين فسمع منهما أنيناً فقال

ان صاحبيهما ليعذبان وما يعذبان عن كبيرة ، أما أحدهما فكان لا يستتر ببوله
وأما الآخر فيمشي بالنميمة .

وفي بعض الأخبار التي رواها في بول النبي (ص) أن حذيفة كان إلى
جنب النبي (ص) لما بال وهو قائم ، والقصاري أن هذا الخبر يشهد بكذبه
العقل والعرف والذوق والأحاديث الكثيرة ، فإن قنع صاحبك بهذا كله
فالحمد لله على الوفاق ، وإلا فإنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من
يشاء .

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

حرره في كربلاء

٩ رجب ١٣٦٦ هـ

سؤال :

ورد للإمام كاشف الغطاء من دبي : من عبد الرب وأخيه محمد إبنى
عبد الله السمعوي .

مسألة :

ما المراد من الاسم أو الأسماء الواردة في أدعية متفرقة عن أهل الذكر
عليهم السلام كما في دعاء السحر « اللهم إني أسألك من أسمائك بأكبرها
وكل أسمائك كبيرة » وكما في غيره « وبأسمائك التي ملأت أركان كل
شيء » . « وبأسمائك التي تجليت بها للكليم على الجبل » وأمثال ذلك
وكالأسماء التي إشتقها تعالى من أسمائه لبعض أوليائه كمحمد ؛ وعلي ؛
وفاطمة ، والحسن ، والحسين عليهم السلام مع أنه جلّ وعلا لم يجعل من
أسمائه التي تسمى بها محمداً ، وفاطمة ، وحسيناً ، كما قد جعل علياً وحسناً
منها ، وما المراد من الإشتقاق ؟ أفدنا زادك الله علماً وشرافاً .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجواب :

المراد من الأسماء في تلك الأدعية الشريفة المظاهر الإلهية التي يتجلّى بها جلّ شأنه لخاصة أصفائه في أزمنة خاصة ، وأمكنة مقدّسة فالأسماء التي تجلّى بها للكليم هي الظهورات التي ظهر بها الجليل على جبل طور سيناء ، أي الأنوار أو النار التي ظهرت للكليم (فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى أني أنا الله رب العالمين)^(١) وتوجد الإشارة إلى كثير من هذه الظهورات في دعاء السمات الذي يقراء عصر الجمعة وهو من الأدعية الجليلة وهذه هي الأسماء التي ملأت أركان كلّ شيء ، فإنّ له تعالى في كلّ ظهور .

وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحد^(٢) وأما اشتقاق أسماء بعض أوليائه من أسمائه فالمراد إشتقاقها من المصادر ، والمعاني الشريفة التي هي من أوصافه بالحقّ والإستحقاق ، وعلى الإطلاق كالحمد الذي اشتقّ منه محمّد (ص) وكالعلو الذي اشتقّ منه عليّ (ع) وكالحسن والإحسان الذي اشتقّ منه الحسن والحسين ، وهكذا . والله وأوليائه أعلم بمرادهم .

وللإسم معان أخرى لا يتسع الوقت لبيان أعظمها ؛ العقل الأوّل في لسان الحكماء ورحمته التي وسعت كلّ شيء في لسان الشرع ، وهكذا والله العالم .

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

(١) سورة ٢٨ آية : ٣٠ .

(٢) هذا البيت لأبي العتاهية الشاعر المشور المتوفى : (٢١٠) .

ما معنى "علماء أمّتي كآنياء بني إسرائيل"

من البصرة :

إلى حضرة مولانا حجّة الإسلام وآية الله في الأنام الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء أدام الله ظلّه العالبي - آمين - بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ما تقولون في الحديث النبوي : علماء أمّتي كآنياء بني إسرائيل؟^(١) ما

(١) هذا الحديث مذكور في كثير من الكتب المتداولة ومشهور في الألسنة ولكن لم يوجد في الجوامع الحديثية للإمامية من روايته وسنده عين ولا أثر بل صرح جمع من مهرة المحدثين وأساتذتهم أنه من موضوعات العامة .

قال المحدث الأكبر السيد عبد الله الشبر (ره) في كتابه مصابيح الأنوار : روى عن النبي - ص - قال : علماء أمّتي آنياء بني إسرائيل أو كآنياء بني إسرائيل أو أفضل من آنياء بني إسرائيل . وهذا الحديث لم نلق عليه في أصولنا وأخبارنا بعد الفحص والتتبع والظاهر أنه من موضوعات العامة وممن صرح بوضعه من علمائنا المحدث الحر العاملي (ره) في « الفوائد الطوسية » والمحدث الشريف الجزائري (ره) وكيف كان فيمكن توجيهه بوجهين ألخ . أنظر ج ١ ص ٤٣٤ ط بغداد .

وما نسبه إلى الشيخ الحر العاملي صاحب الوسائل (ره) موجود في الفوائد الطوسية النسخة المخطوطة الموجودة في مكتبتنا .

وفي كلام معالي العلامة السيد محمد على الشهير بهبة الدين « الشهرستاني الذي كتبه في جواب سؤال صديقنا العلامة المتضلع الحاج ميرزا عباسقلي الواعظ الجرندي التبريزي بعد =

المراد بالعلماء أهم الأئمة عليّ أمير المؤمنين وأولاده عليهم السلام ؟ أم علماء الشيعة ؟ ! وما المراد بالأنبياء أهم نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى عليهم السلام ؟ أم سائر أنبياء بني إسرائيل ؟

بعد تقبيل أياديكم الشريفة نرجو الجواب موضعاً والوجوه المختلفة فيها بأسلوب نفهمه . نفعنا الله بعلومكم ودمتم مؤيدين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الجواب :

وجوه الشبه والمماثلة بين أنبياء بني إسرائيل وعلماء هذه الأمة كثيرة :

= أن ذكر مد ظله أن حديث : علماء امتي كأنبياء بني إسرائيل مروى عن رسول الله - ص - قال ما هذه لفظه : « وفي أكثر الروايات أفضل من أنبياء بني إسرائيل » . أنظر أوائل المقالات ص ٤٤ ط ٢ تبريز .

إن كان مراده من تلك الروايات التي أشار إليها هي الروايات المروية المسندة في الجوامع الحديثية فليت شعري اين تلك الروايات التي في أكثرها لفظ : « أفضل » ؟ ولم لم يقف عليها المحذثون ؟ بل صرحوا بعدم وقوفهم عليها بعد الفحص والتتبع .

ولعل مراده دام بقائه غير ما يتراءى من ظاهر كلامه ومقصود من تلك الروايات هي الدائرة في الألسنة والمذكورة في كثير من الكتب من نسبة الحديث المذكور إلى رسول الله - ص - مرفوعاً ومرسلاً من دون بيان سند له ومستند من كتب الأحاديث والجموع الحديثية كنظائر هذا الحديث مثل : « لولاك لما خلقت الأفلاك » الذي لم يوجد له سند ولا راو من المحذثين وكذا ما يروي عن أمير المؤمنين أنه قال (ع) . « ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك » فإن هذه الكلمات الشريفة منسوبة إلى أمير المؤمنين (ع) واستدلوا بها كثيراً في الكتب الإستدلالية الفقهية وغيرها ويظهر من كلمات العلامة الفيض القاشاني (ره) إنها رواية مرسله ولكن لم توجد إلى اليوم أسناد لها في الجوامع الحديثية لأصحابنا الإمامية ويحتمل أنها متخذة من بعض الروايات الواردة بذلك المضمون بعبارات مختلفة واحتمل المحذث الحر العامل صاحب الوسائل أنه من روايات العامة وكيف كان فذلك الكلمات المشرقة في غاية المتانة والقوة وفي نهاية الشبهه بكلمات الإمام أمير المؤمنين (ع) وما أجود ما قال بعض علمائنا الأعلام أننا كثيراً ما نصصح الأسانيد بالمتون - سبوح لها منها عليها شواهد - وقد كتبنا حول هذه الكلمات الثيرة في تعاليننا على كتاب « الأنوار النعمانية » للمحدث الجزائري (ره) كلمة موجزة أنظر ج ١ ص ١٣٩ ط تبريز .

الأول : المشابهة عند الله سبحانه في المنزلة والكرامة .

الثاني : أن بني إسرائيل كان أكثر أنبيائهم يختلفون في التكليف بالدعوة . فبعض يدعو طائفة وآخر يدعو بلداً ، وثالث يدعو قرية وهكذا وكذلك علماء هذه الأمة .

الثالث : كما أن أكثر أنبياء بني إسرائيل لم يكونوا أصحاب شرائع جديدة بل كانوا يدعون إلى شريعة موسى ، ويبلغون إلى الناس أحكام (التوراة) فكذلك علماء هذه الأمة يدعون إلى شريعة خاتم الأنبياء ويبلغون أحكام القرآن الكريم .

الرابع : كما أن أنبياء بني إسرائيل كانوا في الغالب تحت أسر البلاء والشدة والبلاغ والمحنة من جبابرة زمانهم ، فكذلك العلماء الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، الصالحون المصلحون ممتحنون مضطهدون .

الخامس : كما أن أنبياء بني إسرائيل زاهدون في الدنيا راغبون في الآخرة ، حلماء حكماء ، فكذلك علماء هذه الأمة ، ولعل هناك وجوهاً آخر يستخرجها الفطن اللبيب . وعلى أي حال فالمراد من العلماء هم فقهاء الإمامية وحملة آثار النبوة والأمامة ، لا خصوص الأئمة المعصومين سلام الله عليهم وإن كانوا أظهر أفراد العلماء .

وباختلاف تلك الوجوه يختلف التعميم والتخصيص من حيث إرادة تمام أنبياء بني إسرائيل حتى موسى وعيسى (ع) ، أو من عدا أولي العزم منهم ، والله العالم .

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

النجف الأشرف

هـ ١٣٤٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جناب سماحة حجة الاسلام آية الله العلامة الشيخ محمد الحسين
آل كاشف الغطاء دام ظله بعد السلام عليك ورحمة الله وبركاته

أتمنى أن تكون بصحة وعافية طالما نعلم أن مرجعنا في كل مشكلة عويصة هو سماحتكم لتوطيننا بنور الحكمة فلا ريب إذن إذا استفسرت عن كل ما يتعسر عليّ فهمه أو حكمه (العلم بالشيء خير من الجهل به) فكيف إذا كان السؤال يستوجب الإيضاح عنه علماً وأدباً وشرعاً .

سيدي أننا في عصر بغيض والشبان به دوماً ينقمون على العصر الماضي وعاداتهم وأخلاقهم وثقافتهم ، ويزعمون أنهم أسمى علماً وفهماً ، وقد اعترض فرد من بعضهم على بيتين من قصيدة السيد حيدر الحلبي وهي قوله كما يأتي أدناه متهجماً على بني أمية وآل سفیان ماساً في عرضهم ، يدعي المعارض أن هذا خطأ من السيد الحلبي لأن نساء بني أمية وبناتهم عرض النبي حيث بني أمية وبني هاشم من أب واحد وإخوان ، ومن يمسّ بعرض بني أمية ويقول فيهم الفحش قد مسّ النبي ، ولم يقنع من أن الإسلام فرق بين المؤمن والكافر وبين الأخ وأخيه والولد وأبيه ألخ . . . فهل من ردّ شافي أدبي وحكمي وفلسفي لإقناع هذا الجاهل المجادل الذي درس في مدارسنا وكرس حياته في طلب العلم ؟ ولم يقنع كل ردّ مع العلم هو (جعفري) المذهب وعائلته رفيعة ولكنه يجهل أموراً ويجادل بأخرى ، هذا ما لزم ودمتم بخير ، الأبيات :

ودونكم والعار ضمّوا غشائه
يرشّح لكن لا لشيء سوى الخنا
وتترف لكن للبغياء فتاتكم
إليكم إلى وجه من العار أسود
وبعدكم فيما يروح ويغتدي
فيدنس منها في الدجى كل فرقد

م ٢٣، ٢، ١٩٥١ م

المخلص الحقير

ذياب حسين الزهري

هاشم وأمّية ليسا من أب واحد

بسم الله الرحمن الرحيم : وله الحمد

سلام عليك وبقاء لك بالسلامة والتوفيق .

وردني كتابك تذكر فيه أنّ بعض الشباب يعترض على المرحوم السيد
حيدر^(١) في قدحه بأعراض بني أمّية وتهجّمه عليهم لأنّ نساء بني أمّية وبناتهم
عرض النبي (ص) وأنّ هاشم وأمّية من أب واحد . وذكرت ذيل الكتاب
الآبيات الثلاثة للسيد المرحوم الى آخر ما سطرت بكتابك .

ولا غر وأن يعترض امثال هؤلاء الأغرار والناشئة الذين لا خبرة لهم
بشيء من السير والتأريخ والأمور الضرورية من أحوال الجاهلية والإسلام وأنّ
الذي ذكره علماء التأريخ من رجال السنّة وشعرائهم وكتّابهم من فضائح بني

(١) سيد حيدر بن سليمان الحسيني الحلبي أمام شعراء العراق شاعر اهل البيت على الأطلاق
الجامع بين فصاحة اللسان وبلاغة البيان وشدة التقوى والورع وقوة الإيمان ويحق أن يقال هو
فخر الطالبين وناموس العلويين ولد سنة (١٢٤٦) هـ وتوفي سنة (١٣٠٤) هـ له ترجمة ضافية
في البابليات مترشحة من قلم استاذ أديب شاعر بارع اعني الشيخ محمد علي اليعقوبي .
انظر ج ٢ ص ١٥٣ - ١٦٨ ط النجف وانظر أيضاً إلى مقدمة ضافية لديوانه - الجزء الأول ط
النجف - بقلم صديقنا الأديب البارع الاستاذ صالح الجعفري آل كاشف الغطاء مدرس الأدب
العربي في ثانوية النجف الأشرف .

أمية ومخازيهم والقدر في أعراضهم وبيان (عهرهم) وفجورهم أكثر مما ذكره علماء الشيعة وشعرائهم بكثير، وقضايا هند أم معاوية زوجة أبي سفيان وفجورها قد نظمه الشعراء في زمن النبي (ص) شهرها من شهرها شاعر النبي حسان ثابت بقوله :

لمن الصبيّ بجانب البطحاء ملقى عليها غير ذي مهد
بخلت به هيفاء أنسة من عبد شمس صلة الخدّ

في أشعار كثيرة كلّها مخزية، وما رواها إلا علماء السنة وشعرائهم ولماذا نذهب بعيداً إلى ثلاثة أو أربعة عشر قرناً وهذا الشاعر الفحل الذي لم يبعد عن عصرنا بقرن واحد وهو (عبد الباقي) وهو سني عمري فاروق يقول في الباقيات الصالحات من جملة أبيات مشهورة :

واحربا يا آل حرب منكم يا آل حرب منكم واحربا
فيكم وعنكم وبكم ومنكم ما لو شرحناه فضحنا الكتب

فرحمة الله على السيد حيدر فإنه أقصى ما صنع شعره أنه فضحهم ولكن العمري فضح الكتب بفضايحهم، وعلى أي فقل لذلك الجاهل المعترض (بأن نساء بني أمية عرض النبي (ص)) ليتك أيها الغرّ قرأت كتاب ابن أبي الحديد أو نهج البلاغة الذي طبع مئات المرات ليتك تقرأ وتتدبر أن أمية وهاشم ليس أبوهما واحداً فإن أمية ليس من صلب عبد شمس ولكنه لقيط أي ابن زنا وولد فاحشة تبناه عبد شمس^(١) ويشهد لهذا أقوى شهادة قول أمير

(١) من ينعم النظر إلى التاريخ بالبحث والتنقيب والتحليل الصحيح يجد في صفحات التاريخ الخالي عن الافائك ودسائس السياسة العاشمة في العهدين الأموي والعباسي حقائق راهنة ويقطع بالوجدان أن بني أمية - تلك الشجرة الملعونة - لم يكونوا من العرب ومن بني عبد شمس بن عبد مناف فإن أمية كان فتى من الروم تبناه عبد شمس على عادة العرب في الجاهلية من تبنيهم اولاد الأسرى كما في قضية زيد ورسول الله صلى الله عليه وآله .

وقد بنى لنا أهل البيت (ع) في جملة أسرارهم المودعة عند علماء شيعتهم إن بني أمية ليسوا من القریش ولذا ورد عنهم عليهم السلام في تأويل قوله تعالى : ﴿ ألم غلبت الروم ﴾ إن الروم هم بنو أمية وعن أمير المؤمنين (ع) قال قوله تعالى : ﴿ ألم غلبت الروم ﴾ فينا وفي بني أمية .

المؤمنين - سلام الله عليه - في كتاب له ذكره السيد الرضي رضوان الله عليه في محاسن كتب النهج جواباً بالكتاب من معاوية يقول فيه لأمر المؤمنين

قال الباحث النقاد المتضلع علي بن احمد الكوفي المتوفي : سنة (٣٥٢) في كتاب « الاستغاثة » : لقد روينا من علماء اهل البيت (ع) في اسرارهم وعلومهم التي خرجت منهم إلى علماء شيعتهم ان قوماً ينسبون من قريش وليسوا من قريش بحقيقة النسب وهذا مما لا يعرفه إلا معدن النبوة وورثة علم الرسالة وذلك مثل بني امية ذكروا انهم ليسوا من قريش وان اصلهم من الروم وفيهم تاويل هذه الآية الم غلبت الروم معناه انهم غلبوا على الملك وسيغلبهم على ذلك بنو العباس (ا هـ) .

ومن هنا يظهر للقارئ الفطن أن قصة تولد هاشم وعبد شمس توأمين من الأساطير التي وضعتها يد السياسة في العصر الأموي لا ثبات اتصال نسبهما وحدثه وهي أكذوبة اختلقها يد الأئمة ونقلها بعض المؤرخين من دون تحقيق وثبت كما هو ديدنهم في نقل اغلب القصص والقضايا كما يقول المقرئ في كتابه « النزاع والتخاصم » ص ١٨ ط مصر ما هذا الفظه :

(وقد كانت المنافرة لا تزال بين بني هاشم وبني عبد شمس بحيث أنه يقال أن هاشماً وعبد شمس ولدا توأمين فخرج عبد شمس في الولادة قبل هاشم وقد لصقت اصبع احدهما بجبهة الآخر فلما نزع دمى المكان فقيل سيكون بينهما أو بين ولديهما دم فكان كذلك ويقال أن عبد شمس وهاشماً كانا يوم ولدا في بطن واحد كانت جباههما ملصقة بعضها ببعض فاخذ السيف ففرق بين جباهما بالسيف - فقال بعض العرب إلا فرق ذلك بالدرهم فإنه لا يزال السيف بينهما وفي أولادهم إلى الأبد) .

وفي بعض التواريخ كان ظهر كل واحد منهما ملتصقاً بظهر الآخر ففرق بينهما بالسيف .
وليسمح لي القارئ العزيز ان أقول : هذه قصة كاذبة منحوتة وضعتها يد السياسة الغاشمة الأموية لا ثبات اتصال نسب بني هاشم وبني أمية وأنهم من قريش والستر على كون أمية لصيقاً وليبان علة العداوة الواقعة بين بني هاشم وبني أمية أيضاً - وهي علة منحوتة مجعولة واضطرابها دليل على بطلانها .

ونظراً إلى أن اصل بني أمية من الروم كان لمعاوية مثل أبيه صخر ميلاً ومحبة لهم .
ففي خبر ابن الزبير أنه رآه يوم اليرموك قال فكانت الروم إذا ظهرت قال أبو سفيان أيه بني الأصفر وإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان :

وينو الأصفر الملوك ملوك الر و م لم يبق منهم مذكور
فحدث به ابن الزبير أباه لما فتح الله على المسلمين فقال الزبير قاتله الله يأبى ألا نفاقاً أو لسنا خيراً له من بني الأصفر ؟

قلت نعم كنتم خيراً له من الروم ولكن عداوته للإسلام دعتة للتكلم بتلك الكلمة الخبيثة ومن سير سيرة معاوية وامعن النظر الى احواله واعماله يظهر له ميله ومحبه الى الروم واضحاً جلياً ولذا صالح مع الروم علي تفصيل مذكور في التواريخ .

= وصار هذا الصلح سبباً لزوال هيبة الإسلام عن قلوب الكفار وفي اتخاذ معاوية سرجون بن

(ص) : ألسنا نحن - أي بني أمية - وانتم - أي بين هاشم - من شجرة واحدة أو ما هو بهذا المضمون فيقول له سلام الله عليه في الجواب : نعم ولكن ليس المهاجر كالطليق ولا الصميم كاللصيق يعني أن هاشماً الولد الصميم وأميه الولد اللصيق ، قل لذلك الجاهل لو كانت نساء أمية عرض النبي (ص) لنهى شاعره حسان عن التعرض لها ، ومالنا نذهب بعيداً وهذا كتاب الله العظيم يقول لنبيه نوح حين قال : إن ابني من أهلي ، فنفاه تعالى عنه بقوله : إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ، ولكن أكثر شبان هذا الزمان يدخلون المدارس ويخرجون بعد ست سنوات أو أكثر يحملون الشهادة أو شهادة (الدكتوراه) لا يحفظون آية واحدة من كتاب الله العظيم حتى ولا فاتحة الكتاب ، لأن الشيطان والتمدن الغربي بحمد الله قد اسقط عنهم كل تكليف وكل أدب إسلامي .

أما معاوية فلا فيه رأي خاص لعلي قد انفردت به - على الظاهر - وهو أن هنداً حملت به من . . . (١) ولا أدري أكان ذلك في الجاهلية أو الإسلام ولكنه . . . ولى على ذلك شواهد كثيرة لا مجال لذكرها في هذه اللمحة العابرة ولو وجدت متسعاً في الوقت ومهلة من الأشغال وفترة من الاسقام لشرحت لك قدراً وافياً من فضايح بني أمية ومخازيهم ما يصدق قول الفاروقي : (ما لو

منصور الرومي - وهو بطريق مسيحي وكان على دين النصارى - نديماً ومشاوراً لنفسه في الأمور وكان عاملاً على آرائه في أكثر الشؤون دليل واضح على ما ادعيناه وفيه تأييد لما رمناه ولنا شواهد كثيرة لا مجال هنا لذكرها والله الموفق والمعين .

انظر الى تفسير لوامع التنزيل - ذلك التفسير الكبير - للمجتهد المفسر المتبحر السيد علي الرضوي اللاهوري (ره) ج ١٥ ص ٢١١ ط هند . وكتاب « كامل البهائي » لعماد الدين الطبري (ره) ج ١ ص ٢٦٩ ط قم . والزمام النواصب ص ١٠٤ والأنوار النعمانية ج ١ ص ٦٧ ط تبريز . والنزاع والتخاصم للمقريزي ص ١٨ ط مصر والتدوين في أحوال جبال شروين لوزير العلوم محمد حسن خان « اعتماد السلطنة » المراغي وقد تعرض لمعاهدة معاوية وصلحه مع الروم وكشف عن أحوال سرجون بن منصور الرومي البطريق « بتريك » فراجع وانظر إلى كتاب : رد على رد السقيفة للعلامة السيد محمد الكاظمي القزويني نزيل البصرة اليوم - دام بقاءه ص ١٤٠ صيدا .

(١) ذكر شيخنا الإمام (ره) في هذا المقام اسم رجل اقتضت المصلحة العامة للمسلمين اليوم عدم التصريح باسمه .

شرحناه فضحنا الكتاب) ولعرفت القائل في صحيفته السوداء من المتعصبين لهذه الشجرة الملعونة في القرآن والقرود التي رآها رسول الله (ص) تنزوه على منبره ، نعم لو فسح لي المجال لعرفته ضلّاته بقوله : الإسلام بلغ ذروته في أيام بني أمية . وأريته بالعيان والوجدان فضلاً عن الدليل والبرهان أن الإسلام ما ضربه أحد الضربة القاضية سوى بني أمية وكلّ الحروب والرايات التي قامت ضدّ الإسلام ما رفعها سوى أبي سفيان وقومه قبل الإسلام وبعده وسواء كان أمية من العرب أو من غيرهم ، فلقد سوّدوا وجه العرب بشنائعهم ومخازيهم في الجاهلية وأول الإسلام كما سوّد ملوك العرب اليوم جبين العروبة الأغرّ بخيانتهم في قضية فلسطين^(١) والله أمر هو بالغه ، ولا حول ولا قوّة إلا به .

حرّر في مدرسته العلمية في النجف الأشرف

٢٧ جمادى ١ سنة ١٣٧٠هـ

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

(١) يا ليتك أيها الرجل الغيور على الدين وعلى القرآن المبين كنت حياً ورأيت أيضاً كيف سوّد ملوك العرب جبين العروبة بخيانتهم ترى أنهم نبذوا نصوص القرآن والسنة ورائهم ظهرياً ، وشروا عذاب الله بثمان بخس وسحقوا آخرتهم لدنيا غيرهم من المستعمرين ، جاءوا بقوانين ليس لها من سلطان مبین فواحد يقول: إذا عارض الصوم مع العمل يجب أن يعمل ويترك الصوم قياساً على ترك الصوم في السفر وآخر يسن القوانين المخالفة لنصوص القرآن وضرورة الإسلام ويضعها في المحاكم الشرعية للعمل عليها كللذكر مثل حظ الانثى وان الأبوين في الطبقة الثانية في باب الأثر وأمثالها انظر الى الأحوال الشخصية العراقية ربنا لا تهلكننا بما فعل السفهاء منا أنت ولبنا وارحينا وأنت خير الغافرين .

سؤال عن حديث من رأنا فقد رأنا

سمعنا أن أهل البيت عليهم السلام قالوا : من رأنا فقد رأنا فهل هذا صحيح ؟ وكيف يتفق مع إنكار العلم الحديث صحة الحديث ؟

الجواب :

أما صحة الحديث فهو من الشهرة والإستفاضة بمكان وقد اتفق على روايته في الجملة رواة العامة والخاصة وهو وأن وقع الاختلاف في الفاظه وتراكيبه ولكن القدر المشترك منه وهو : عن النبي (ص) من رأني فقد رأني فإن الشيطان لا يتمثل بصورتي^(١) مستفيض ، وقد رواه الصدوق (ره) في الأمالي والعيون ، وتعرض أبو الفتوح الكراجكي (ره) لهذا الحديث في كنهه^(٢)

(١) صحيح البخاري ص ٥٤ ج ٨ عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال : « ومن رأني في المنام فقد رأني فإن الشيطان لا يتمثل بصورتي » .

(٢) انظر كنز الفوائد للعلامة الكراجكي (ره) ص ٢١٢ - ط تبريز وفي اسئلة السيد مهنا بن سنان (ره) عن آية الله العلامة الحلي (ره) : إنه صح عن سيدنا رسول الله (ص) أنه قال : « من رأني في المنام فقد رأني فإن الشيطان لا يتمثل بي » .

ولكن السيد الإمام المرتضى علم الهدى (ره) قال في الأمالي ما هذا لفظه : فإن قيل : فما تأويل ما يروى عنه (ع) « من رأني فقد رأني فإن الشيطان لا يتمثل بي » . . . =

ونقل عن شيخه المفيد رضوان الله عليه كلاماً عالياً في شرحه
ووجوهه .

أما صحّة الأحلام في الجملة وإصابة كثير منها للواقع فأمر لا يقبل
الإنكار ويشهد به الوجدان قبل الشريعة والقرآن وأتفقت عليه حكماء الهند
واليونان ، أما علماء الغرب وأهل العلم الحديث فلا احسبهم متفقين على إنكاره ، وان
وجد فيهم من ينكره فهم المادّيون المنكرون للارواح المجردة والجواهر المفارقة ، أما
المثبتون للارواح والذاهبون إلى صحّة التنويم المغناطيسي وإستحضار ارواح
الاموات والأحياء فهو محقق عندهم وبالجملة فصحة بعض الاحلام مما لا يرتاب فيها
ذوو الأحلام .

سؤال :

حول عصيان آدم أبو البشر لربه في أكل الشجرة التي نهاه عنها ، فكيف
يجوز ذلك على الأنبياء ؟

الجواب :

فهي مسألة جداً بسيطة ، فإنها فرع من أصل ؛ وينبغي البحث والنظر
في ذلك الأصل فإن كان محققاً كان ترتب الفرع عليه ضرورياً وإلا فلا ، أما
الأصل فهو قضية عصمة الأنبياء ، فإن قامت الأدلة العقلية القاطعة على لزوم
عصمتهم فلا محيص من تأويل كلّ ما ورد في النقل مما هو بظاهره معارض
لحكم العقل ، إذا الدليل النقلى يقبل التأويل مهما كان قويّ الظهور بخلاف
الدليل العقلي ، أما حكم العقل بوجوب عصمة الأنبياء في الجملة مما لا
ريب فيه^(١) وإلا لا تنقض الغرض من بعثتهم ولكن شمول الأدلة لاثبات

= قلنا : هذا خبر واحد ضعيف من أضعف اخبار الاحاد ولا معول على مثل ذلك . . .
وللسيد كلمة في المنامات ينبغي ملاحظتها انظر الأمالي ج ٢ ص ٣٩٢ - ٣٩٥ ط مصر سنة
١٣٧٣ هـ .

(١) غير خفي على الباحث الخبير إن الأدلة العقلية القطعية والنقلية من الكتاب والسنة وضرورة
مذهبا دلت على عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكبائر والصغائر من أول عمرهم إلى آخره =

العصمة حتى لآدم الذي هو بدء الخليفة وأول التكوين ولم تكن هناك أمة أرسل إلى هدايتها وإرشادها ولا دعوة قام باعبائها نعم شمول الأدلة لوجوب عصمة مثله مشكل ، وشمول العصمة حتى لمثل هذا الذنب اشكل وصدور المعصية منه بمعناها الحقيقي لا يمنع منه العقل ويشهد به النقل ، ولكن علمائنا الأساطين ولا سيما السيد المرتضى والمفيد رضوان الله عليهم أبوا ألا تنزيه عن المعصية كتنزيه سائر الأنبياء حتى الصغار منهم وتأويل كل ما ورد في الكتاب الكريم مما هو كالنص في صدورهما منه مثل قوله تعالى : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾^(١) ونظائرها كثيرة .

نعم كافة الأمامية نزهوا آدم عن المعصية ولعلمهم أرادوا أن يكونوا لأبيهم ابناء بررة ، ولا يعقونه كما عقه سائر المسلمين بل وغيرهم بل أفرط بعض الفلاسفة الأدباء من حكماء الإسلام حتى القى أعباء مسؤولية جميع ابنائه عليه ، فهذا الفيلسوف ابن شبل البغدادي^(٢) في قصيدته الكونية المشهورة التي يقول في أولها :

بربك أيها الفلك المدار أقصدُ ذا المسير أم إضطرار
فإن يك آدم أشقى بنيه بأمر ماله منه إعتذار
ولم ينفعه بالأسماء علم ولا نفع السجود ولا الحوار

قبل بعثتهم وبعدها فما ورد من الآيات القرآنية أو بعض الأحاد من الأحاديث الشريفة وظاهرها نسبة الذنب اليهم لا بد من تأويلها ورفع اليد من ظاهرها كما نرفع اليد عن ظاهر بعض الآيات الشريفة الظاهرة في التجسيم والتشبيه ورؤية الله تعالى وامثالها المخالفة للأدلة العقلية والنقلية المحققة ولذا لا ينبغي التأمل في أنه لا بد من تأويل تلك الآيات الشريفة .

وقد تحقق في محله ان ظواهر القرآن الكريم حجة ما لم يدل دليل على خلافها من العقل أو النقل وإذا دل الدليل على الخلاف فنرفع اليد من الظواهر والله العاصم .

(١) سورة ٢٠ آية : ١٢١ .

(٢) حسين بن عبدالله بن شبل البغدادي المتوفى بها سنة (٤٧٥هـ) . من رجال الأدب والفلسفة والطب والشعر له قصائد مشهورة عالية انظر ترجمته في معجم الأدباء لياقوت الحموي « ولغت نامه » لدهخدار ومعجم ادباء الأطباء للنطاسي الأديب الشاعر الكبير ميرزا محمد الخليلي النجفي - وغيرها .

فيالك أكلة ما زال منها علينا نعمة وعليه عار
وزاد فيلسوف المعرّة^(١) على ذلك عدّة مقاطيع من لزوميّاته بمثل قوله
مخاطباً بني آدم :

أكان أبوكم آدم بالذي أتى نجياً فترجون النجاة للنسل
ولكن تَلَطَّف المتنبّي^(٢) وابدع في تقريع أبيه أبي البشر ونزّه بالمعصية
حيث يقول على لسان حصانه :

أبوكم آدم سنّ المعاصي وعلمكم مفارقة الجنان
نعم والتأويل في قضية عصمة الأنبياء لا بدّ منه في القرآن ولا محيص
عنه والايات الظاهرة في ارتكاب الأنبياء للمعصية كثيرة سيما في حق نبينا سيّد
الأنبياء صلوات الله عليه وآله مثل :

﴿ ليغفرلك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ﴾ وللجميع وجوه من التأويل
معقولة ومقبولة . وقد ذكر كثير منها في بعض مؤلفتنا ومؤلفات غيرنا فليراجع
إليها من شاء .

(سؤالان)

١ - هل وجد المسلمون ثمرة للخلاف ؟ وما هي الأسباب التي دعتهم
إلى ذلك ؟

٢ - لماذا بعض العلماء يحرمون ضرب القامات والسلاسل والطبول
والنقارة في المواكب الحسينية ويحرمون الشبيهة ؟ وفريق منهم يشجّع العوام
ويؤيّداهم فما الصواب في ذلك ؟

- جواب هذين السؤالين -

إعلموا أولاً أن الاختلاف ليس ضرورياً في البشر فقط بل هو

(١) أبو العلاء المعري المتوفي (٤٤٩) هـ .

(٢) أبو الطيب احمد الكوفي الشاعر المشهور بـ (المتنبّي) ولد سنة (٣٠٣) هـ كان يتحقق بولاء
أمير المؤمنين (ع) تحقّقاً شديداً وله في قصائد سماها العلويات توفي سنة (٣٥٤) هـ مقتولاً .

ضروري في طبيعة هذا الكون أيضاً ، أعني عالم الكون والفساد ، ليل ونهار وظلم وأنوار ، وحرّ وبرد ، وصيف وشتاء ، وغيم وصحو ، وهلمّ جراً واختلاف الآراء من أدقّ نواميس الكون وأقوى قاعدة لحفظ نظام العالم ، ولا يزالون مختلفين ، والوحدة التي ندب إليها القرآن الكريم ليست هي الوحدة في الآراء والمذاهب فذلك مستحيل بحسب طبيعة البشر ومعطلّ لأكبر المواهب وأي موهبة أشرف من موهبة حرّية الآراء وعدم الحجر على العقول وإخماد جذوة الذكاء والفهم والحث والتنقيب ، إنّما المراد بالوحدة المندوب إليها في القرآن العزيز والتي هي إحدى دعامتي الإسلام - الوحدة والتوحيد - هي الوحدة الأخلاقية ، الوحدة الإيمانية ، وحدة الأخاء والمودة . وذلك بأن لا يكون إختلاف المذاهب والآراء سبباً للتباغض والتقاطع والجفاء والعداء بل يأخذوا بالمثل الأعلى والقدوة الحسنة من خيار الصحابة في صدر الإسلام ، فقد كانوا على كثرة ما بينهم من الإختلاف في القضايا الفرعية والمسائل العلميّة على أقصى ما يرام من الأخاء والصفاء ، ودفاع بعضهم عن بعض وحماية بعضهم لبعض كأن الإسلام جسد وهم أعضاء ذلك الجسد تجمعهم روح واحدة روح المبدء المقدّس وتضحية كل عزيز في سبيله ، أما من هو المسئول عن إدارة الشؤون الأخلاقية في الأواسط الإسلامية فالجواب الصحيح عن ذلك : كلّمكم راع وكلّمكم مسئول ، كلّ على حسب شأنه وبمقدار قابليّته وكل ذي شعور هو أعرف بنفسه ويقدر ما في وسعه ، والحقيقة أنّ الجميع مكلف ، والكلّ مقصّر ، يتطلّب لنفسه العلل والمعاذير ، والحقائق لا تخفى والمعاذير لا تنفع ، يوم تبلى السرائر فما له من قوّة ولا ناصر ومن هذا الباب يتطرق الجواب عن السؤال الأخير ، ولا يمكن مدّ الباع وكشف القناع أكثر من هذا (فإنّ في الفم ماء) (وحفظت شيئاً وغابت عنك أشياء) (إن اللبيب من الإشارة يفهم) .

يقولون حدّثنا فأنت أمينها وما أنا إن حدّثتهم بأمين

ربيع الثاني سنة ١٣٥٤ هـ

محّمّد حسين آل كاشف الغطاء

جواب عن سؤال سبب ظهور المبطلين على المحققين

ما يقول : شيخنا وملاذنا في سبب ظهور المبطلين على المحققين ؟ وما سرّ غلبة روح الشريرين على الخيرين ؟ مع علمك بأنّ الناموس الطبيعي ينادي بلسان فصيح : ﴿ألا إن حزب الله هم الغالبون﴾ ، فترجو من حضرتكم أن تبينوه لنا بصورة فنيّة فلسفيّة تحليليّة .

الجواب :

لا شكّ أنّ مرادكم السؤال عن سبب الظهور في الدنيا وغلبتهم في هذه العاجلة ، وحينئذٍ فلا أجيبيكم عن ذلك بما ربّما يجيب به الزاهدون المتشكّفون من أنّ سبب ذلك هو احتقار الدنيا عند الله جلّ شأنه ، وأنّه لو كان من القدر عند الله جناح بغوضة لما سقى الكافر منها قطرة من الماء كلّاً لا أوجب بهذا الجواب الذي لعلّه لا يوافق ذوق هذا العصر وروح هذا النشأ الجديد ، بل ربما لا يوافق ذوقي وذوق أمثالي من الروحانيين المشدّبين الذين يرون أنّ الدنيا مهما زادت حقارتها وخسّتها ، وقصرت أو طالت مدّتها فهي مزرعة الآخرة ، وبها تحصل السعادة والشقاوة ، وهي نعم دار المتقين وأنّ دين الإسم متكفّل بالسعادتين ، وأنّ السعيد حقيقة من فاز بنعيم الدنيا والآخرة وأخذ حظّاً من هذه وحظّاً من هذه كما صرّحت به جمهرة من الأخبار وأشارت إليه نبذة من الآيات .

إنما الجواب الفلسفيّ التحليلي في سبب غلبة المبطلين على المحققين هو أنّ أهل الحقّ مقيّدون بقيود العقل والدين فلا يتوصّلون إلى مقاصدهم إلّا على ضوء الفضيلة وفي مناهج الشرع والعقل .

(وقد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها حاجز من تقوى الله فيدعها رأي العين وينتهزها من لا حريجة له في الدين)^(١) مثلاً أن معاوية لا يتأخر

(١) من كلمات الإمام علي سلام الله عليه .

ولا يتوقف من إعطاء خراج مصر كلّه لعمر بن العاص وكان خراجها يومئذٍ وإلى اليوم يعدّ بالملايين يعطيه لشخص فاسق ليعينه على أمر باطل وهو محاربة أمير المؤمنين (ع) في حين أنّ أمير المؤمنين (ع) لا يسمح لأخيه عقيل وهو سيّد شريف^(١) ولا شكّ أن نعله أشرف من عمرو بن العاص ، لا يسمح له بزيادة دريهمات على راتبه الذي هو درهمان في كلّ يوم مع كثرة عياله وأطفاله .

نعم سمح له بالحديده المحمّاة ، والناس كما تعلم وكما قال سيّد أهل الآباء وإمام الشهداء (ع) : الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم الخ ، وسئل الخليل بن أحمد^(٢) لماذا مال الناس عن عليّ (ع) إلى غيره مع عظيم فضائله وشهرة مناقبه ؟ فقال : قهر نوره نورهم وغلب جمهوره جمهورهم والناس إلى أمثالهم أميل .

وهناك سرّ آخر لغلبة الأشرار والفجّار على خصوص الأنبياء الأوصياء : وهو ما بسط القول فيه بأحسن بيان نائب الحجّة الخاص الحسين بن روح رضوان الله عليه في جواب من سأله أنّ الحسين (ع) ولي الله ؟

قال : نعم ، فقال الشمر عدو الله ؟ قل نعم فقال : كيف يسلّط الله عدوّه على وليّه ؟ فأجابته بجواب طويل شاف ملخصه ؛ أنّ الله لمّا أيّد أنبياءه

(١) عقيل ابن أبي طالب (ع) يكنى أبا يزيد كان عالماً بأنساب العرب فصيحاً لطيف الطبع حسن المحاوره .

والروايات في سفره إلى الشام في أنه على عهد أخيه الإمام أو بعده متضاربة واستظهر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٨٢ أنه بعد شهادة أمير المؤمنين (ع) وحزم به العلامة السيد عليّ خان المدني في كتاب : « الدرجات الرفيعة » المخطوط وهو الحق الذي لا محيص من القول به بعد التحقيق وقد حقق هذا الموضوع سيدنا الحجّة السيد عبد الرازق المقرم النجفي في مصنفاته أنظر كتابه « العباس » ص ٣٥ - ٤٥ ط النجف .

(٢) الخليل بن أحمد العروضي من علماء الإمامية توفي سنة (١٧٠) هـ كان أفضل الناس في الأدب وقوله حجة فيه واخترع علم العروض قيل أنه دعا بمكة أن يرزق علماً لم يسبقه إليه أحد ولا يؤخذ إلا عنه فلما رجع من حجة فتح له علم العروض رحمة الله عليه .

بالمعجزات وخوارق العادات فلو جعلهم في كلّ أحوالهم غالبين وقاهرين
لاتخذتهم الناس أرباباً من دون الله ، ولكن جعلهم تارة قاهرين ، وأخرى
مقهورين ، ومرة غالبين ومرة مغلوبين ليعلم الناس أنهم بشر أمثالهم وعباد
مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، أنتهى .

أما قوله تعالى : ﴿ إن حزب الله هم الغالبون ﴾^(١) وأمثاله نظير قوله
تعالى : ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾^(٢) وأمثال : الحقّ
يعلو ولا يعلى عليه ، فقد ورد تفسيرها في بعض الأخبار أنّ المراد الغلبة
بالحجة والبيان والدليل والبرهان لا أنّ المراد الغلبة بالملك والسلطان والسيف
والسنان ، ويمكن أن يكون المراد الغلبة في الدار الأخرى دار القرار ومنزل
الخلود والأبدية ، فإنّ هذه الدنيا على سعة مدتها وطول امتدادها ليست بالنسبة
إلى وعاء الدهر والسرمد وحقيبة أحقاب الأزلية والابدية إلاّ كغمضة عين أو
كلمح بالبصر ، فما شأن الغلبة فيها مع المغلوبة هناك .

لا وأيم الله وكلاً ، بل أنّ حزب الله هم الغالبون حتى في هذه الدنيا
مثلاً أنّ يزيد وإبن زياد قتلوا الحسين (ع) وأصحابه وغلبوهم ولكنّ الغالب
في الحقيقة والواقع هو المغلوب والقاتل هو المقتول ، فإنّ يزيد قتل الحسين
في جسده وفرّق بين بدنه ورأسه ، ولكنّ الحسين (ع) قتل يزيد في روحه ،
وفرّق بين الشرف وإسمه وقرن اللعنة به ، فأصبح الحسين (ع) وأهل بيته
وأصحابه تمثال الشرف ورمز الكرامة وعنوان الفخر في الدنيا فضلاً عن
الآخرة ، وأصبح يزيد وبنوا أمية مجسّمة الخبث واللعنة والسفالة والنذالة
والسقوط والخسة في الدنيا مع قطع النظر عن الدار الآخرة ، فبالله عليك أيّها
الفظن اللبيب أيّ الرجلين هو الغالب وأيّهما المغلوب ، فارجع واتل بحقّ
وإذعان ويقين وإيمان : ألا أنّ حزب الله هم الغالبون ، ولا يسع المقام لأكثر
من هذا .

٦ جمادى الأولى ١٣٥٥ هـ - محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

(١) سورة ٥ آية : ٥٩ .

(٢) سورة ٤ آية : ١٤٠ .

بعض التعليقات على الكتاب

صفحة ١٨ سطر ٩ .

كتب بخطه الشريف إجازة لي .

الإجازة التي كتبها شيخنا الإمام الفقيه (ره) بخطه الشريف لهذا العبد
الحقير فصورتها كما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أجاز لأوليائه من رؤية بيناته ورواية أحاديثه وآياته ما
أجاز والصلاة والسلام على سيد أنبيائه محمد وآله مجاز الحقيقة وحقيقة
المجاز وبعد :

فقد جرت واستمرت سيرة السلف الصالح من علمائنا الأساطين على
السماحة إجازة الرواية بعضاً من بعض ليتصل سند الحديث عندهم إلى الأئمة
المعصومين ومنابع الدين صلوات الله عليهم وكانوا رضوان الله عليهم لا
يمنحون الإجازة إلا لمن أحرزوا منه الأهلية للإضطلاع بأعباء النيابة والنهوض
بأثقال الأمانة والإمامة علماً وورعاً وشرفاً وعفافاً إلى سائر المزايا التي يتفاوت
بها الرجال في معارج الكمال .

وقد كنت وجدت السيد الأجل الشريف حسباً ونسباً المتفوق علماً وورعاً

واجتهاداً ملاذ الأنام حجة الإسلام السيد محمد علي القاضي أيده الله جامعاً
وبارِعاً في كل تلك الصفات لذلك أجزته أن يروي عني بكل الطرق التي صحَّ
لي روايتها عن أساتذتي العظام ومشايخي الأعلام كأكابر العلماء من أعمامي
وأسرتي كعمي العباسين عن المرجع الأعلى في عصره الشيخ مهدي حفيد
الشيخ كاشف الغطاء صاحب المدرستين الشهيرتين في النجف وكربلاء عن
عمّه الشيخ حسن صاحب أنوار الفقاهاة عن أخيه جدنا موسى بن جعفر
صاحب كشف الغطاء (ح) وعن أستاذه المحدث النوري صاحب المستدرک
(ح) وعن الفقيه الحاج مرزا حسين المرزا خليل (ح) وعن الشيخ علي
الحقاني عن الشيخ الأعظم الشيخ مرتضى عن الفاضل النراقي عن السيد
الأعلى السيد مهدي بحر العلوم عن الوحيد البهبهاني عن أبيه محمد أكمل
عن جمال الدين الخونساري عن المجلسي صاحب البحار عن أبيه الملا محمد
تقي عن الشيخ البهائي عن أبيه حسين عبد الصمد عن الشهيد الثاني عن
الميسى عن محمد بن داود عن ضياء الدين علي عن أبيه الشهيد الأوّل عن
فخر المحققين عن أبيه العلامة عن المحقق عن نجيب الدين بن نما عن
محمد بن إدريس عن الشيخ عربي بن مسافر عن الشيخ إلياس بن هشام
الحائري عن الشيخ أبي علي عن أبيه الشيخ الطوسي عن المفيد عن الصدوق
عن ثقة الإسلام الكليني عن عدّة من أصحابنا عن محمد بن مسلم عن أبي
جعفر (ع) قال لما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم
قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إليّ منك ولا أكملتك إلّا فيمن أحبّ
أمّا إني إياك أمر وإياك أنهى وإياك أعاقب وإياك أثيب إلى آخر ما رواه في
الكافي من الأحاديث الشريفة وما روى في غيره من كتب الحديث المشهورة
فله أيده الله أن يروي كل ذلك مسنداً إلى المعصومين سلام الله عليهم ولا
أحتاج أن أوصيه بملازمة الورع والإحتياط في كل أفعاله وأقواله فإنّه أبرّ الله
وأثقى وإنما أرجوه أن لا ينساني من صالح دعواته المباركة كما لا أنساه والله
يحفظه ويرعاه بدعاء المخلص :

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

وكتبه بيده الدائرة يوم ٢٨ صفر ١٣٧٠ محل خاتمه الشريف
في مدرسته العلمية بالنجف الأشرف .

المنطق والحكمة والكلام

صفحة ٢٧ - ٢٨

كان تدريس المعقول بأقسامه رائجاً معمولاً في جامعة النجف الأشرف حتى أواسط هذا المائة (١٤) وكانت جامعة النجف منذ تأسيسها لم تزل تزدهر بأنواع العلوم ، وتزدان بعلماء في شتى الفنون ، وكانت الحرية التامة تسير في جانب العلماء في دراستهم العلوم من معقولها ومنقولها ، وتفسيرها وأدبها ، وكان حبّ التوسع في اقتنائها ، وتحصيلها ، ودرسها ، وتدريسها ، سائداً على تلك الجامعة ، واجتمع فيها جمع من أكابر الحكماء ؛ والمتكلمين ، والعرفاء المتشرعين ، المرابين للنفوس بالحكمة العملية . والدراسة العلمية ، والمهذبين لأخلاق الجامعة بتخلقهم بأخلاق الله ، وبخشيتهم في جنب الله ، وبتحليلهم بالفضائل الإنسانية مع مراعاتهم الطريقة المثلى ، والشريعة الوسطى في بحوثهم ، ودروسهم مع التجنب عن الجمود ، ونبذ الخمود .

وكان من أساتذة المعقول سطحاً وخارجاً في هذه العصور الأخيرة الحكيم المتأله الشهيد الأصطهباناتي ، والمرجع الأعلى المتبحر في أنواع العلوم الشيخ فتح الله الشهير بشيخ الشريعة الأصفهاني ، والشيخ أحمد الشيرازي والمولى علي محمّد النجف ابادي - صاحب المكتبة الكبيرة التي أوصى بان توقف من بعده على الحسينية الشوشترية الكائنة في النجف في عقد السلام ، فوقفوها عليها وهي عامرة إلى يومنا هذا - والسيد حسين البادكوبي ، والشيخ محمد حسين الاصفهاني (كمباني) واستاذنا الحكيم المتأله الشيخ عبد الحسين الرشتي ، وابن عمنا المجتهد المرجع الكبير السيد محمد جواد الطباطبائي التبريزي ، واستاذنا المتبحر السيد ميرزا حسن البجنوردي والشيخ صدري البادكوبي ، وفي الحكمة العملية السيد علي التستري استاذ

الشيخ الانصاري في الاخلاق والمولى فتح علي السلطان ابادي ، والمولى اسماعيل القره باغي ؛ والسيد مرتضى الكشميري ، والمولى حسين قلى الهمداني والشيخ محمد البهاري - الهمداني ، والسيد أحمد الكربلائي ، والشيخ اقا رضا التبريزي ، والسيد المجاهد السيد محمد سعيد الجبوبي ، وابن عمنا الحاج السيد علي القاضي الطباطبائي النجفي - رحمهم الله - وغيرهم ممن يعسر عليّ عدّهم وإنّما ذكرنا منهم من حضر حالاً إسمه .

ولكن - مع الأسف الشديد - في أواسط هذه المائة صار تدريس المعقول مهجوراً ودرس الكلام ممنوعاً وتهذيب الأخلاق متروكاً ، ولا أدري ما الباعث على ذلك ؟

مع كثرة احتياج الناس إليها في هذا الزمان التعيس ، زمان الكفر والإلحاد المنحوس ، زمان هجوم المبادئ الهدامة من خارج الحدود ، زمان الذي صار التقليد عن الشرق والغرب تمدّناً ، ويقال لمن نبذ الأحكام الشرعية المقدسة وراء ظهره متنوراً وتقدماً ، ومن تمسك بها رجيعاً ومستثمراً فيالله وهذه الأخلاق الفاسدة والمروق عن الدين ورجوع الناس إلى الجاهلية ربنا عجل في ظهور وليك المصلح الأكبر المنتظر فإن هذه الأيام هي الأيام التي أشار إليها نبينا الأكرم بأن الدين سيعود غريباً كما بدء غريباً .

قاعدة اللطف

صفحة ٣٢ سطر ١٠ .

هذه القاعدة من القواعد المشهورة في الكتب الكلامية تمسك بها الإمامية والمعتزلة في أمور من المباحث الكلامية واستدلوا بها في تشييد بعض عقائدهم الدينية ولكن كثرت البحوث العلمية بين علماء الإمامية في صحة هذه القاعدة وعدمها وأنها هل هي تامة أم لا ؟ .

فمن قائل إنها صحيحة تامة ومن ذاهب إلى أنها غير صحيحة ولكن من ينعم النظر في هذه البحوث وأجال التفكير في أبوابها يرى أن تلك القاعدة من

حيث الكبرى تامة صحيحة وإنما الإشكال في إحراز صغرها وكل الإشكالات ترجع إلى صغرى هذه القاعدة .

وقصارى القول أن أصل القاعدة لا ينبغي إنكارها إذ بعد ثبوت تعلق الغرض بشيء على وجه الإطلاق وملاحظة كون بعض الأشياء مقرباً إلى أمثاله تعالى ومبعداً عن مخالفته ووجود المقتضى لذلك الشيء وعدم المانع عنه بالنسبة إلى القابل والفاعل وغيرهما وكونه بحيث لو فات يفوت الغرض فالعقل يحكم حينذاك بالضرورة بوجود الأتيان بذلك الشيء على الأمر الذي تعلق غرضه بذلك ألا أن يتعلق غرضه بالوجود على وجه خاص أعني بالوجود من غير اقتران بذلك المقرب وإلا كان ناقضاً لغرضه والإخلال به مخالف للحكمة .

وما قيل : أن العقل لا يستقل بوجود حفظ الغرض على الله تعالى الذي هو مدرك القاعدة : فيؤخذ عليه أن نقض الغرض مما لا يقدم عليه الحيوانات فكيف بالإنسان وكيف بالصانع الحكيم سبحانه .

فيا هل ترى الطيور تهدم أوكارها والبهائم العجم تألف مضارباها ؟ نعم ينبغي الإشادة بأن العقول المتعارفة للبشر بما أنها لا إحاطة لها بجميع مصالح الأشياء ومفاسدها غالباً وعدم معرفة تلك العقول بمقتضيات الأشياء وموانعها مما يتعلق بنظام ذلك الأمر سواء أكان شخصياً أم نوعياً أم بالنظر إلى النظام الكلي فلذلك يتعسر على البشر إحراز صغرى قاعدة اللطف .

غير خاف على الباحث الخبير أن صحة القاعدة العقلية غير صحة التمسك بها في بعض الموارد فكم من قواعد مسلمة صحيحة لا يصح الاستدلال بها في بعض الموارد الجزئية للشك في كونها من صغرياتنا أو للعلم بعدم شمولها لها .

مثل بعض الأعظم بما ذكرنا بقوله : قولنا سؤر المؤمن الكامل شفاء بعد ثبوت هذا المعنى بطريق صحيح لا ينافي صحته عدم إمكان الإحتجاج به

في شيء من أفراد السؤر في هذا العصر التعيس لعدم العلم بأنه مؤمن كامل وكذا قول الطبيب الحاذق إستعمال الروادع نافع أو شرب القوابض مضر لا ينافي صحته عدم الجزم بمعرفة شيء من الروادع والقوابض والحال في قاعدة اللطف أيضاً كذلك .

قال بعض أكابر الإمامية قدس الله أسرارهم : إن مراد القائل باللطف ووجوبه هل هو وجوبه عليه مطلقاً ؟ من غير اشتراط بوجود المقتضى من جانب القابل أو عدم الموانع التي من جهة القابل أو عدم الموانع الخارجية عنه أو يشترط ذلك ؟ .

فإن أرادوا الأول فهو بديهي الفساد ضرورة اشتراط تحقق كل شيء بوجود المقتضى ورفع المانع ولأنه أي دليل دل على وجوب مثل ذلك عليه سبحانه بل مع عدم المقتضى أو وجود المانع لا يكون ذلك لطفاً مع أن هذا ممّا تكذبه المشاهدة والعيان فإن من الأمور ما يدعون القطع بكونه أو مثله لطفاً ومع ذلك لم يقع ولم يتحقق في الخارج ويسندون عدمه إلى المانع ولذا قال المحقق الطوسي قدس سره في التجريد « وجوده لطف وتصرفه لطف آخر وعدمه منّا » .

وإن أرادوا الثاني أي يجب اللطف عليه بشرط وجود المقتضى في كل فعل وانتفاء الموانع الداخلية والخارجية فلا يفيد لنا هذه القاعدة أصلاً لأن الحكم بمقتضاها والإستناد إليها في كل مورد يراد موقوف على علمنا بالمقتضيات وانتفاء جميع الموانع وهو موقوف على إحاطتنا التامة بذوات الأشياء والأفعال وحقائقها وجميع الأمور الداخلية والخارجية الحسية والمعنوية مع أنا نرى من المقتضيات والموانع ما لا يمكن دركه لنا فأنا نرى أنهم يقولون : أن التكليف لطف ويثبتونه للذكر بتمام خمسة عشر عاماً من سنّه دون خمسة عشر إلا نصف يوم أو ساعة فما الذي يدرك أنه مقتضى لذلك اللطف في تمام خمسة عشر ولا يقتضيه في نصف يوم قبله ؟

وما المانع منه في الثاني دون الأول ؟ وما المقتضى لهذا اللطف في الإثني في تسع سنين دون الذكر ، وما المانع منه في الثاني دون الأول ؟ .

وفصل بعض المتبحرين من الإمامية في هذه العصور الأخيرة وفرق بين ما وقع وما لم يقع وذكر أن من الأمور التي يتراءى كونها أظافاً ما لم يقع في الخارج كالتوسعة على الفقراء والمحتاجين وإنالهم مايتمنون وإستجابة كثير من الدعوات وابتلاء العاصي دائماً بالألام والمصائب وتنعم كل مطيع وعصمة جميع الناس عن القبائح وإلجاء الكل إلى الإيمان ظاهراً وباطناً وأشباه ذلك ولم نعلم أن عدم وقوعها لفقد المقتضيات أو وجود الموانع بالنسبة إلى الأشخاص أو النوع أو النظام الكلي .

ومن الأمور ما وقع ولم نعلم وجه المصلحة في وقوعه كإيلام الأطفال والمجانين والبهائم .

ومنها ما وقع وعلمنا بالعقل أو السمع أو كليهما وجوه المصالح فيه وانتفاء المفسد عنه كبعث الأنبياء بالشرائع والأديان والأنبياء الذين ليس لهم شرع وكتاب ويدعون إلى شرع من قبلهم ونصب الأوصياء لهم بتعيين وأمر من الله سبحانه وعرفنا بضرورة العقل جملة من وجوه المصالح في وجودهم ونصبهم وتأيدهم بالمعجزات والبراهين وقد أعلمنا الله تعالى أنه ينقطع بهم حجة الناس فلا يمكنهم أن يقولوا : لولا أرسلت إلنا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزي ، كما عرفنا انتفاء جميع وجوه المفسد عنها بعد استمرار وجوده في ألوف من السنين ففي مثل هذا الأمر ربما يجزم العقل بأن وجود مثل هذا الشخص في كل عصر سواء سمي نبياً أو وصياً أو إماماً كان ذا شرع جديد أم لا هو من اللطف الواجد للمقتضى الفاقد للموانع الشخصية والنوعية .

وأصل القاعدة أعني وجوب ما يقرب إلى الغرض المقصود بعد إحراز وجود المصالح والمقتضيات فيه وانتفاء جميع الموانع عنه وبعد إحراز أن الغرض لم يتعلق بخصوص صورة فقد مثل هذا الشيء من بديهيات العقل المستقيم وإنما التأمل والإشكال في إحراز الصغرى وبعد إحرازها لا يبقى إشكال أصلاً .

فمن هنا صح للأمامية دعوى كون وجود الإمام بالمعنى الذي يدعونه

لطفاً وأنه واجب بمعنى أن الإخلال به مخالف للحكمة ، بل ربما يجزم العقل ويحدث حسداً :

ضرورياً بملاحظة ما دون ذلك كما قال رئيس فلاسفة الإسلام ابن سينا (ره) في الشفاء في مقام إثبات وجوب بعثة الأنبياء عقلاً بعد أن شرح كون الإنسان مدنياً وأن قوام تحصلهم وبقائهم بمن يسن لهم سنة عدل لا يتعدون عنها ما هذا لفظه :

(إن الحاجة إلى هذا الإنسان في أن يبقى نوع الإنسان ويتحصل وجوده أشد من الحاجة إلى إثبات الشعر على الأشفار وتقصير الأخصم من القدمين وأشياء آخر من المنافع التي لا ضرورة فيها في البقاء بل أكثر ما لها أنها تنفع في البقاء ووجود الإنسان الصالح لأن يسن ويعدل ممكن فلا يجوز أن تكون الغاية الأولى تقتضي تلك المنافع ولا تقتضي هذه المنافع التي هي أسها) .

وربما تمسك بعض من أنكر قاعدة اللطف بفقرات الخطبة الشهيرة بـ (الفاصعة) للإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه غافلاً عن الفرق بين ما وقع وجرت سنة الله تعالى عليه في إعصار طويلة وما لم يقع ولم تجر عليه أصلاً وعن كون ما نبه (ع) به من الموانع عن اللطف المتخيل لا إنكار اللطف المعلوم عدم وجود مفسدة فيه .

ومما هو جدير بالذكر أن للإمامية في مسألة الإمامة أدلة متظافرة وطرق كثيرة في إثبات معتقداتهم الإسلامية ولا احتياج لهم بقاعدة اللطف في إثبات هذا المطلب وهم يثبتون ذلك ولو لم يكن عن قاعدة اللطف عين ولا أثر في الدنيا أصلاً وأساساً .

ومذهبهم هو المستفاد من الكتاب والسنة

هامش صفحة ٨٦ سطر ٤ .

اتفقت الشيعة الإمامية على أن رسول الله (ص) قبل البعثة في مدة أربعين سنة سواء عند اشتغاله للعبادة في غار حراء أم في غيره كان متعبداً

بشريعة نفسه دون شريعة من تقدمه من الأنبياء ومن ينعم النظر إلى الكتاب والسنة ويعطي التدبر حقه فيهما يظهر له أن الحق هو ما ذهب إليه الإمامية ولا بد لنا قبل بيان ذلك من تقديم مقدمة فنقول :

إن المشهور بين علماء الإسلام بل المتفق عليه في الجملة أن الأدلة أربعة « الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والعقل » ، وإن زاد أهل السنة عليها القياس وذهب بعض الأخباريين من أصحابنا إلى نفي بعضها ولكن لا شك أن الكتاب والسنة من الأدلة التي يرجع إليها ويؤخذ منهما وحجية السنة في الجملة من المقطوع بها .

والسنة هو ما يضاف إلى النبي (ص) أو مطلق المعصوم (ع) وتدل على حجيتها مضافاً إلى الإجماع والضرورة ، بعض الآيات الشريفة من القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولو الأمر منكم ﴾ ، ولا شك بنص هذه الآية أن الله تعالى أمرنا بالإنقياد لرسوله وأوجب علينا الإطاعة لنبيه في كل ما يأمرنا به من أمور الدين والدنيا من الأصول والفروع ، فالعمل بالسنة عمل بكتاب الله تعالى فإن الله أمر في كتابه بإطاعة رسوله هذا مع قطع النظر عن أمره بإطاعة أولو الأمر والتحقيق في المراد منهم . وقال تعالى : ﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ وقال سبحانه : ﴿ وما ينطبق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ . وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ﴾ أي لا تخونوا الله بترك أوامره والرسول بترك سنته وشرائعه .

فالسنة من الأدلة الأربعة حجة قطعية في الجملة والعمل بها عمل بالكتاب ونحن معاشر الشيعة في عملنا على أحاديث أهل البيت (ع) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً نعمل بالسنة النبوية واحاديث رسول الله (ص) فإن أئمة أهل البيت (ع) لا يقولون من عند أنفسهم شيئاً وكل ما قالوه فقد أخذوه عن جدتهم رسول الله (ص) ونقلوه عنه فكل أحاديثنا مأخوذة عن رسول الله (ص) ونحن نعمل بما يضيفه أهل بيته المعصومون إليه فنحن معاشر الإمامية نعمل بالسنة النبوية أكثر من سائر الفرق فإننا لا نعمل في أمور ديننا من الأصول

والفروع سوى ما أضيف إلى أئمة أهل البيت (ع) لعصمتهم ولا نعمل بما أضيف إلى غيرهم لعدم العصمة في غيرهم ، قال شيخنا البهائي (ره) : جميع أحاديثنا إلا ما ندر تنتهي إلى أئمتنا الإثني عشر وهم ينتهون إلى النبي (ص) لأن علومهم مقتسبة من تلك المشكاة .

فالقارئ الفطن يعرف ممّا ذكرنا مغزى معنى قول رسول الله (ص) في الحديث المتواتر بين السنة والشيعه : إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي لن يفترقا حتى يراد عليّ الحوض .

فإن العمل بالسنة المأثورة عن العترة الطاهرة وأقوالهم في كل عصر وزمان عمل بالسنة النبوية كما عرفت والعمل عليها عمل بكتاب الله عزّ وجلّ ولذا نفى رسول الله (ص) افتراقهما بما يدل على التأييد وقال : « لن يفترقا » فمن يدعي قديماً أو حديثاً أن الثقلين يفترقان وقال : كفانا كتاب الله ولا حاجة لنا إلى العترة والسنة المأثورة عنهم ونعلم كل ما يتعلق بأمر الدين والدنيا من كتاب الله كما يفهم ذلك من كان من أهل اللسان العربي بالرجوع إليه ورفض العترة فهو نابذ كتاب الله على ورائه ظهرياً وعامل ببعض الكتاب وجاحد ببعضه الآخر ﴿ أفنؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾^(١) .

فالكتاب والسنة توأمان لا يفترقان أبداً فلا بد لنا في كل أمورنا من الرجوع إليهما ولا سيما في تفسير بعض الآيات القرآنية التي تحتل المعاني المتعددة ولا يمكن الجزم بواحد من تلك المعاني إذ لا شاهد لواحد منها أو يوجد شاهد لعدة معاني منها ولكن لا ترجيح لحمل واحد منها على الآخر فلا بد في مقام الترجيح من الرجوع إلى بيان النبي (ص) وقال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾^(٢) . ﴿ فاستفادة الترجيح لا بد أن يكون

(١) سورة ٢ آية : ٨٠ .

(٢) سورة ١٦ آية : ٤٤ .

من السنة . إذا تمهدت هذه المقدمة فنقول : إن لفظ « الروح » الواقع في مواضع متعددة من القرآن الكريم يحتمل المعاني المتعددة :

حياة النفوس . الرحمة . النبوة . وعيسى روح الله - على الخلاف في وجه هذه التسمية - . وجبرئيل . والنفخ كما يقال أحييت النار بروحي أي بنفخي . والوحي . والروح ملك من أعظم خلق الله . وروح الإنسان . والنفس - فإذا نام العبد خرجت نفسه وبقي روحه وإذا مات خرجت نفسه وروحه معاً على ما ذكر هذه الأقسام في مجمع البيان^(١) وأردنا في نقل هذه المعاني الإقتفاء على أثره ففي بعض الآيات الشريفة من القرآن الكريم جاء لفظ « الروح » ويذهب الذهن إلى بعض تلك المعاني ولا يمكن بحكم الوجدان تعيين واحد منها وترجيحه على آخر فلا محيص من الرجوع إلى السنة النبوية في تعيين واحد منها .

ففي قوله تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾^(٢) .

يحتمل أن يكون المراد من الروح هو جبرئيل . أو الوحي . أو روح القدس - وهل المراد من روح القدس هو جبرئيل أو هو غيره ؟ - أو القرآن . فمن ادعى واحداً منها لا بد له من دليل على الترجيح وإلا لا يعبأ بقوله كمن يدعي أن المراد من الروح في هذه الآية الشريفة هو « جبرئيل » فإنه لا شاهد له لهذا الترجيح وإدعاء الشاهد من آيات آخر معارض بالشاهد على معنى آخر من آيات غيرها فلا يمكن الركون لهذا القول . فإذا رجعنا إلى السنة المأثورة يظهر لنا الترجيح في تفسير الروح وينكشف لنا الحقيقة الراهنة في تفسير هذه الآية الشريفة فالذي يستفاد من الكتاب والسنة في تفسير هذه الآية الشريفة فهو كما يلي ؛ وعلى التفصيل الآتي :

(١) أنظر ج ٣ ص ٣٤٨ ط صيدا .

(٢) سورة ٤٢ آية : ٥٢ .

قوله تعالى : (وكذلك أوحينا إليك) أي ومثل ما أوحينا إلى سائر رسلنا أوحينا إليك (روحاً من أمرنا) أي روح القدس وهو غير جبرئيل وأنزل الله ذلك الروح على رسول الله (ص) وكان فيه وهو في الأئمة (ع) أيضاً يعني كما أوحينا إلى سائر رسلنا بالوجوه الثلاثة التي ذكرها الله تعالى في الآية السابقة قبل هذه الآية الشريفة فبتلك الوجوه أو بواحد منها أوحينا إليك روح القدس وألقينا فيك كما قال تعالى : ﴿ رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق ﴾ (١) وقال سبحانه : ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ (٢) ويستفاد من الآيات الشريفة أن إلقاء روح القدس أمر مشترك بين الرسل والأنبياء وغير مختص ببعضهم دون بعض نعم يمكن أن تكون الخصوصية من جهات أخر غير كون أصل إلقاء روح القدس إليهم أمراً مشتركاً بينهم ولذا قال القمي (ره) : « روح القدس خاص برسول الله (ص) والأئمة (ع) » .

(ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) أي ما كنت تدري قبل وحي روح القدس إليك وإلقائه عليك ما الكتاب ولا الإيمان فمنذ وحي ذلك الروح إليه وإلقاء الله تعالى له عليه صار عالماً بالكتاب والإيمان فدلّت الآية الشريفة على أن النبيّ (ص) من حين إلقاء الله تعالى عليه روح القدس كان عالماً بالكتاب ومتى ألقى روح القدس إلى النبيّ (ص) ؟ ألقى من حين إلقاء سائر الأرواح ، من حين إلقاء الروح الإنساني والنفس الناطقة الإنسانية أو من حين ما أشار إليه أمير المؤمنين (ع) في خطبته الشريفة بقوله : ولقد قرن الله به (ص) من لدن إن كان فظيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره .

ويستفاد من الآية الشريفة الواردة في حق المسيح (ع) إن روح القدس ألقى إليه منذ أن قدم إلى الدنيا وأنه (ع) كان نبياً في المهدي كما يأتي شرح

(١) سورة ٤٠ آية : ١٥ .

(٢) سورة ١٦ آية : ٢ .

ذلك ورسول الله (ص) أفضل من المسيح (ع) وغيره بالضرورة من الدين فالنبي (ص) كان نبياً من أول الأمر منذ أن قدم إلى الدنيا وألقى إليه روح القدس كما ألقى إلى المسيح (ع) .

وأما تفسير الروح في قوله ، « روحاً من أمرنا » بالقرآن وترجيحه على سائر التفاسير كما فعله المفسر المراغي في تفسيره - ج ٢٥ ص ٦٥ - فهو ترجيح بلا مرجح لا شاهد له يعتمد عليه من الأدلة الأربعة . قال إمام المفسرين الشيخ الطبرسي (ره) : « روحاً من أمرنا » يعني الوحي بأمرنا ومعناه القرآن لأنه يهتدي به ففيه حياة من موت الكفر عن قتادة والجبائي وغيرهما ، وقيل هو روح القدس عن السدي ، وقيل هو ملك أعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله (ص) عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) قالا ولم يصعد إلى السماء وأنه لفينا (أه) .

يظهر من كلامه أن تفسير الروح بالقرآن منقول عن قتادة وأمثاله ومن الواضح أنه لا يعبأ بأقواله وأقوال أمثاله وأما قول السدي أنه روح القدس يوافقه أحاديث أهل البيت (ع) فيرجح لكونه موافقاً لأقوال أهل العصمة (ع) ولعله مأخوذ منهم وأما ما يظهر من كلام شيخنا الطبرسي (ره) أن ما روى عن الإمام الباقر والصادق عليهما السلام من أن الروح هو ملك أعظم من جبرائيل ألخ وأن هذا القول مغاير لقول السدي فلا وجه له فإنهم عليهم السلام أطلقوا بعضاً على روح القدس إسم الملك وبيّنوا أيضاً من باب أفهام المخاطبين أن روح القدس غير جبرائيل وأن جبرائيل من الملائكة كما يأتي في أحاديث أهل البيت (ع) التصريح بذلك . وقولهما عليهما السلام : « أنه لم يصعد إلى السماء وأنه لفينا » شاهد على أن المراد من الملك هو روح القدس .

وأما تفسير « الروح » في قوله تعالى : ﴿ روحاً من أمرنا ﴾ بالكتاب كما عن الكلبي أو بالرحمة كما عن الحسن فأراء مختلفة منقولة عن السلف لا يمكن الركون والإذعان بها وترجيح واحد منها لعدم المرجح وعن ابن عباس « روحاً » يعني نبوة ولعله تفسير بأحد لوازم إلقاء روح القدس ومن ألقى الله

تعالى إليه روح القدس فهو نبيّ فإنّ هذا الروح لا يلقي إلّا عليه وعلى من هو بمنزلة نفس النبيّ (ص) ، وعن الربيع أن المراد من الروح هو جبرائيل يعني أوحينا إليك جبرائيل من أمرنا وهذا القول مضافاً إلى أنّه لا شاهد لرجحانه باطل من أصله والتفوه به غلط من أساسه لا يصدر عمّن له حظ من العلم ولو بنزر يسير . فإنّ الله تعالى قال : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلّا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علیم حكيم ﴾^(١) .

(إلّا وحياً) أي إلّا أن يوحي إليه وحياً أي يكون بالكلام الخفي الذي يدرك بسرعة وهو الذي يقع في قلب النبيّ بلا ملك يقذف في روعه (أو من وراء حجاب) أي أو إلّا من طريق يسمع النبيّ غير مشاهدة أحد مع سماعه الكلام جهرة كما كلّم الله مع النبيّ (ص) وكما كلّم مع موسى (ص) (أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه) أي ويرسل الله رسولاً مثل جبرائيل فيوحي ذلك الرسول إلى النبيّ (ص) ما يشاء ربّه ان يوحيه إليه كما كان ينزل جبرائيل على رسول الله (ص) وعلى غيره من الانبياء .

ثم بيّن سبحانه أنّه وبمثل ما أوحينا إلى سائر الأنبياء بالطرق الثلاثة أوحينا إليك روحاً من أمرنا فعلى تفسير الروح بجبرئيل يكون المعنى أوحينا إليك بواسطة جبرئيل - جبرئيل . فإن من وجوه الوحي وطرقه هو الوحي بواسطة جبرئيل : فهل يتفوه بهذا التفسير وهذا الكلام المضحك سليم العقل ؟ وهل يسيع وجدان عاقل مثقف أن يفسر كلام الله تعالى بما لا يرجع إلى محصل ؟ .

وحقاً أنه لا يتفوه بهذا التفسير إلّا من كان من الجهّال . ولا يصحّ أن يقال أنه لما كان من أحد وجوه الوحي هو الوحي إلى النبيّ (ص) بلا واسطة أحد يقذف في قلبه فعلى هذا يمكن أن يكون أوحى الله تعالى جبرائيل إلى النبيّ (ص) بلا واسطة أحد وألقاه على قلبه الشريف فإنّه يقال بهذا المتوهم الجاهل : فهل جبرائيل وهو من أعظم مخلوقات الله تعالى ممّا يصحّ أن يوحي

(١) سورة ٤٢ آية : ٥١ .

إلى النبي (ص) ويلقي إلى قلبه الشريف ويقذف فيه ؟ .

وهل لهذا الكلام معنى محصّل ؟ أو أنه مثل الكلام السابق في الشناعة والقباحة .

فإن جبرائيل هو واسطة الوحي وبه أرسل الله الوحي إلى رسوله (ص) وما يوحى إليه بواسطة جبرائيل غير نفس جبرائيل وأي معنى لإلقاء نفس جبرائيل ووجوده على قلب النبي (ص) وقذفه فيه ؟ قال سبحانه : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك ﴾^(١) وقال : ﴿ فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾^(٢) فالقرآن نزل بواسطة جبرائيل على رسول الله (ص) لا الجبرائيل نفسه .

فالمراد من الروح على التفسير الصحيح هو روح القدس ويدل عليه وثبت ترجيحه الأحاديث المأثور والسنة المروية عن العترة الطاهرة . فاستمع أيها القارئ الكريم لما يتلى عليك من السنة المأثورة :

في الكافي عن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا : . . . قال خلق من خلق الله أعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله (ص) يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده .

عن أسباط بن سالم قال سأله رجل من أهل هيت وأنا حاضر عن قول الله عزّ وجلّ وكذلك أوحينا . . . فقال : منذ أنزل الله ذلك الروح على محمّد (ص) ما صعد السماء وأنه لفينا .

عن زرارة عن أبي جعفر (ع) في قول الله عزّ وجلّ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا . . . قال لقد أنزل الله عزّ وجلّ ذلك الروح على نبيّه وما صعد إلى السماء منذ أنزل وإنه لفينا .

وعن محمّد بن الفضيل عن أبي حمزة قال سألت أبا عبد الله (ع) عن

(١) سورة ٢٦ آية : ١٩٣ = ١٩٤ .

(٢) سورة ٢ آية : ٩٧ .

العلم هو شيء يتعلّمه العالم من أفواه الرجال أم في الكتاب عنكم تقرؤنه فتعلمون منه؟ قال الأمر أعظم من ذلك وأوجب أما سمعت قول الله عزّ وجلّ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا . . . ثم قال أيّ شيء يقول أصحابك في هذه الآية أيقرون أنه كان في حال ما يدري ما الكتاب ولا الإيمان؟ فقلت لا أدري جعلت فداك ما يقولون فقال: بلى وقد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان حتى بعث الله عزّ وجلّ الروح التي ذكر في الكتاب فلما أوحاها إليه علم بها العلم والفهم وهي الروح التي يعطيها الله عزّ وجلّ من شاء فإذا أعطاها عبداً علمه الفهم^(١).

يستفاد من الحديث الشريف أنه منذ أن أعطى الله تعالى روح القدس إلى النبيّ (ص) علم بسببه الكتاب.

عن سعد الأسكاف قال أتى رجل أمير المؤمنين (ع) يسأله عن الروح ليس هو جبرائيل؟ فقال له أمير المؤمنين (ع) جبرائيل من الملائكة والروح غير جبرائيل فكرر ذلك على الرجل فقال له لقد قلت عظيماً من القول ما أحد يزعم أن الروح غير جبرائيل فقال له أمير المؤمنين (ع) أنك ضالّ تروي عن أهل الضلال يقول الله عزّ وجلّ لنبيّه ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عمّا يشركون ينزل الملائكة بالروح﴾^(٢) والروح غير الملائكة.

عن أبي بصير عن أبي جعفر (ع) قال سألته عن قول الله عزّ وجلّ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده فقال جبرائيل الذي أنزل على الأنبياء والروح يكون معهم ومع الأوصياء لا يفارقهم يفقههم ويسددهم من عند الله الخ.

وغيرها من الأخبار الكثيرة الدالة على أن الروح غير جبرائيل وأن المراد من الروح في قوله تعالى: ﴿روحاً من أمرنا﴾ وكذا في غيرها من الآيات

(١) أنظر الروايات في تفسير البرهان للسيد البحراني (ره) ج ٤ ص ١٣٢ - ١٣٣.

(٢) سورة ١٦ آية: ١ - ٢.

الشريفة هو ﴿روح القدس﴾ ويستفاد أيضاً من الأحاديث الكثيرة المأثورة عن أهل البيت (ع) أنه الروح الخامس الذي يكون في الأنبياء عليهم السلام .

روى الكليني (ره) في الكافي^(١) بإسناده عن جابر عن أبي جعفر (ع) قال سألته عن علم العالم فقال لي يا جابر إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح : روح القدس ، وروح الإيمان، وروح الحياة ، وروح القوة ، وروح الشهوة ، فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى ثم قال يا جابر إن هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان إلا روح القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب .

وفي الحديث الطويل عن أمير المؤمنين سلام الله عليه^(٢) : جعل الله فيهم خمسة أرواح : روح القدس ، وروح الإيمان ، وروح القوة ، وروح الشهوة ، وروح البدن . فبروح القدس بعثوا أنبياء مرسلين وغير مرسلين وبها علموا الأشياء وبروح الإيمان عبدوا الله ولم يشركوا به شيئاً ، وبروح القوة جاهدوا عدوهم وعالجوا معاشهم ، وبروح الشهوة أصابوا لذيق الطعام ونكحوا الحلال من شباب النساء ، وبروح البدن دبوا ودرجوا ، ثم قال (ع) في حق المؤمنين : جعل الله فيهم أربعة أرواح ؛ روح الإيمان ، وروح القوة ، وروح الشهوة ، وروح البدن ، وقال في حق الكفار من اليهود والنصارى : « وأسكن أبدانهم ثلاثة أرواح : روح القوة ، وروح الشهوة ، وروح البدن » . إلى غيرها من الأخبار التي تجدها في الجوامع الحديثية ، وهي صريحة أن في الأنبياء روحاً ليس في غيرهم وهو روح القدس .

ثم ينبغي للمقاريء الكريم لفت النظر إلى الآيات التي يستفاد منها أن عيسى (ع) كان نبياً في المهد لأن الله تعالى ألقى إليه روح القدس وتكلم في المهد وتكلمه في المهد كان مسبباً عن روح القدس وهو السبب لتكلمه فمن تلك الآيات قوله تعالى : ﴿ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني

(١) ج ١ ص ٢٧٢ .

(٢) أنظر تفسير الصافي ص ٢٦٥ ط الحجري تبريز سنة (١٢٦٩) هـ ق .

نبياً ﴿١﴾ ظاهر هذه الآية الشريفة أن الله تعالى أعطى النبوة لعيسى (ع) وهو في المهد وآتاه الكتاب في ذلك الحين فإن صيغة الماضي ينبغي استعمالها في معناها الحقيقي وحملها عليه هو الأخبار عن وقوع فعل دل على ما قبل الزمان الذي أنت فيه وضعاً عن وقوع أمر تحقيق قبل زمان التكلم كما أن لفظ « الماضي » معناه اللغوي هو الزمان الذي انصرم .

وما دام يمكن استعمال الألفاظ في معانيها الحقيقية لا داعي لنا ولا يجوز علينا العدول عنها واستعمالها في المعاني المجازية فإن الأصل في الإستعمال هو الحقيقة بعد أن علمنا المعنى الحقيقي والمجازي فلا ينبغي العدول عن ظاهر القرآن ما لم يدل على خلافة دليل وبرهان يصرفنا عن الظاهر من العقل أو النقل .

فاستعمال صيغة الماضي في المستقبل وجعل قوله : « آتاني الكتاب » الذي هو أخبار عن وقوع أمر تحقق في الزمان الذي قبل المخاطبين وتأويل الظاهر بـ « أي سينزل علي الإنجيل » وقوله « وجعلني نبياً » أي و« سيجعني نبياً » باعتبار الأمر المحقق الوقوع في الزمان الآتي فهو وإن كان صحيحاً ولكنه معنى مجازي لا يصار إليه بدون داع وسبب ومن دون قرينة في الكلام تصرف الذهن من المعنى الحقيقي إلى المجازي فلا يمكن لنا رفع اليد من ظاهر الآية الشريفة بمجرد أن ارادة المعنى المجازي صحيح في مرتبة الثبوت من غير ان يتحقق ذلك ويثبت في مرحلة الاثبات لعدم دليل يدل على خلاف الظاهر .

ومن المعلوم أن في قدرة الله تعالى أن يجعل أنبيائه في حال صغرهم بل في بطن أمهم أنبياء وأن يعطيهم العلم والعقل والفهم والنبوة وأن يكمل عقولهم كما صرح القرآن الكريم بذلك في حق يحيى بن زكريا وقال تعالى : ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً ﴾ ﴿٢﴾ أي وأعطيناه النبوة والحكمة والفقهاء في الدين والكمالات في المعارف الإلهية وهو صغير والأمر له

(١) سورة ١٩ آية : ٣٠ .

(٢) سورة ١٩ آية : ١٢ .

على أخذ الكتاب شاهد على نبوته فهل أعطاه الله تعالى هذه كلها ولم يكن له علم وعقل وفهم؟ وأي برهان عقلي يمنع عن مفاد ظاهر الآية في حق عيسى (ع) مع عموم قدرة الله تعالى؟ وليس المورد من الموارد التي لا تتعلق عليها القدرة كمورد المحال الذاتي. فهل فرق في تعلق القدرة بين كون يحيى في حال صغره وبين كون عيسى في المهد بل في بطن أمه حتى تتعلق بالأول دون الثاني؟ حاشا وكلاً لا فرق في عموم القدرة وهو على كل شيء قدير.

فإذا ثبت نبوة عيسى (ع) في المهد يلزم ثبوتها في حق خاتم الأنبياء (ص) قطعاً لكونه أفضل من جميع الأنبياء بالضرورة من الدين فإنه إن لم يكن نبياً في المهد لا يكون أفضل من المسيح (ع) لقبح ترجيح المرجوح لذا قال (ص) على ما رواه الفريقان: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» وليس هذا الكلام تدخلاً في مشيئة الله وحكمته كما توهمه بعض جهال العامة بل كشف لمسألة من مسائل النبوة من ظاهر القرآن والدليل الآخر وهو الإجماع بمعنى ضرورة الدين فهل الاستدلال بالكتاب وبضرورة الدين والمذهب تدخل في مشيئة الله وحكمته؟ فهل يتفوه بذلك من له حظ من العلم والعقل؟ ومن المضحك خلط بعضهم بين كون عيسى نبياً في المهد يعني حائزاً لمقام النبوة وأوصافها والكمالات التي لا يكون جامعاً لها إلا النبي وبين كونه رسولاً في المهد وقال لا معنى لرسالة عيسى (ع) وهو في المهد.

أنظر أيها القاريء الكريم إلى انحطاط الفكر وقصور الفهم حيث لم يفرق المسكين بين الرسول والنبي ولم يفهم أن كون عيسى (ع) نبياً في المهد كما هو ظاهر الآية لا يلزم منه كونه رسولاً مبعوثاً للتبليغ في ذلك الحين ولم يقل أحد أنه كان رسولاً في المهد.

وإدعاء أن عيسى (ع) في حال التكلم كان لا يفهم ما يقول. فهو رجم بالغيب ليت شعري أنه من أين علم أن عيسى (ع) لا يعقل ولا يفهم ما يقول، هل في الآية الشريفة دلالة عليه؟ أو ثبت ذلك بغير الكتاب من الأدلة فكما أن عيسى (ع) تكلم بقدرة الله واذنه في المهد فذا يفهم ويتعقل ويعلم الكلام الذي يتكلم به بقدرة الله تعالى وإقداره وتفضله. والذي يهون الخطب

أنه قاس عيسى (ع) في مهده بالطفل الذي في بيته وهو لا يفهم ولا يعقل وليس له إدراكات عادية حتى بعد أن بلغ حد التمييز ولم يفهم أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم الصديقة لا يقاس على الطفل الذي في بيته .

وعلى وفق ظاهر الكتاب جاءت السنّة النبوية عن طريق أهل بيته العترة الطاهرة (ع) وبعض الصحابة .

روى الكليني (ره) بطريق صحيح عن يزيد الكناسي قال سألت أبا جعفر (ع) أكان عيسى بن مريم (ع) حين تكلم في المهد حجّة الله على أهل زمانه؟ فقال كان يومئذ نبياً حجّة الله غير مرسل أما تسمع لقوله حين قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً .

قلت فكان يومئذ حجّة الله على زكريا في تلك الحالة وهو في المهد فقال كان عيسى في تلك الحال آية للناس ورحمة من الله لمريم حين تكلم فعبر عنها وكان نبياً حجّة على من سمع كلامه في تلك الحال ، ثم صمت فلم يتكلم حتى مضت له ستتان . وكان زكريا الحجّة لله عزّ وجلّ على الناس بعدما صمت عيسى ستين ثم مات زكريا (ع) فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبي صغير أما تسمع لقوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً .

فلما بلغ عيسى (ع) سبع سنين تكلم بالنبوة والرسالة حين أوحى الله تعالى إليه فكان عيسى الحجّة على يحيى وعلى الناس أجمعين . وليس تبقى الأرض يا أبا خالد يوماً واحداً بغير حجة الله على الناس منذ خلق الله آدم (ع) وأسكنه الأرض فقد جعلت فداك كان عليّ (ع) حجّة من الله ورسوله على هذه الأمة في حياة رسول الله (ص) ؟ .

فقال نعم يوم إقامه للناس ونصبه علماً ودعاهم إلى ولايته وأمرهم بطاعته قلت وكان طاعة علي (ع) واجبة على الناس في حياة رسول الله (ص) وبعد وفاته؟ فقال : نعم ولكنه صمت فلم يتكلم مع رسول الله (ص) وكانت

الطاعة لرسول الله (ص) على أمته وعليّ (ع) في حياة رسول الله (ص) وكانت الطاعة من الله ومن رسوله على الناس كلهم لعلّي (ع) بعد وفاة رسول الله (ص) وكان عليّ حكيماً عالمياً^(١). أنظر إلى غيره من الأحاديث الشريفة أيضاً في الجوامع الحديثية .

وفي الدر المنثور للسيوطي^(٢) : أخرج ابن أبي حاتم عن أنس (قال كان عيسى قد درس الإنجيل وأحكمه في بطن أمه فذلك قوله إني عبد الله آتاني الكتاب) .

لعل المراد أن عيسى (ع) لمّا كان في بطن أمه ألقى الله تعالى عليه روح القدس فدرس عن ذلك الروح الإنجيل وعلمه إياه .

ويدل بعض آيات القرآن الكريم أيضاً على وفق الظاهر المستفاد من قوله تعالى : قال إني عبد الله . . . قال سبحانه : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهدي وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة . . . ﴾^(٣) .

قال ابن خالنا وأستاذنا العلامة الأكبر السيد محمّد حسين الطباطبائي دام ظله في تفسير « الميزان »^(٤) : الظاهر أنّ التأييد بروح القدس هو السبب المهيب له لتكلم الناس في المهدي ولذلك وصل قوله تكلم الناس من غير أن يفصله بالعطف إلى الجملة السابقة إشعاراً بأنّ التأييد والتكليم معاً أمر واحد مؤلّف من سبب ومسبّب واكتفى في موارد من كلامه بذكر أحد الأمرين عن الآخر كقوله في آيات آل عمران المنقول آنفاً^(٥) : ﴿ وتكلم الناس في المهدي

(١) تفسير البرهان ج ٣ ص ١٠ .

(٢) الدر المنثور ج ٤ ص ٢٧٠ .

(٣) سورة ٥ آية : ١١٠ .

(٤) ج ٦ ص ٢٣٦ .

(٥) حكى الله تعالى في سورة آل عمران تحديث الملائكة مريم عند بشارتها بعيسى (ع) وقال سبحانه : ﴿ وإذا قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ﴿ إلى أن قال ﴿ ويكلم الناس في المهدي وكهلاً . . . ﴾ ﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولاً إلى بني إسرائيل ﴿ الخ ٤٥ - ٥٠ .

وكهلاً ﴿ وقوله : ﴿ وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ﴿
(البقرة / ٢٥٣) .

على أنه لو كان المراد بتأييده بروح القدس مسألة الوحي بوساطة الروح
لم يختص بعيسى بن مريم (ع) وشاركه فيه سائر الرسل مع أن الآية تأبى
ذلك بسياقها (أ.هـ) .

ظاهر قوله تعالى : إذ أيدتك بروح القدس هو أن هذا الروح مختص
بعيسى (ع) فإن الله سبحانه أفرد كاف الخطاب ولم يقل : إذا أيدتكما مع أنه
في مقام الإمتنان على عيسى (ع) وعلى والدته معاً وعدم الخطاب بالثنوية
دليل على الإختصاص مع أنه وأمه معاً منعمان بالنعمة الإلهية وهما معاً آية واحدة لا
آيتين من آيات الله ولذا قال : ﴿ نعمتي عليك وعلى والدتك ﴿ وقال تعالى :
﴿ وجعلناها وإينها آية للعالمين ﴿^(١) ولكن لما كان (روح القدس) مختصاً
بالنبيّ فقال : « أيدتك » فمن هنا نعرف أنه ليس المراد من الروح القدس في الآية
الشريفة هو (جبرائيل) كما توهم^(٢) قياساً على بعض الآيات الأخر فإنه إن
كان المراد منه هو جبرائيل ينبغي حينئذ أن يقول : « أيدتكما » فإن الله تعالى
أيد (مريم) (ع) بجبرائيل قال تعالى : ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً
سويّاً ﴿^(٣) وقال سبحانه : وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك . . . فعدم
خطاب الله تعالى بخطاب الثنوية دليل على أنه ليس المراد من « روح القدس »
هو جبرئيل بل المراد هو الروح الخاص بالنبيّ - يعني أذكر نعمتي عليك إذ
أيدك بالروح الذي لا يكون هو إلا فيمن له النبوة والولاية - ونعمتي على
والدتك إذ أعطيتها ووهبتها ولداً مثلك يصدر منك هذه المعجزات وشرع
سبحانه لبيانها وعدّها كما أنه تعالى ذكر تلك النعم في سورة آل عمران
بقوله : ﴿ وإذ قالت الملائكة . . . ﴿ أنظر إلى آيات ٤٥ - ٥٠ - خطاباً لمريم

(١) سورة ٢١ الآية ٩١ .

(٢) كما في مجمع البيان أنظر ج ٢ ص ٢٦٢ ط صيدا .

(٣) سورة ١٩ آية : ١٧ .

ولم يذكر فيها « روح القدس » مع ذكره كلام عيسى (ع) في المهد وكهلاً .

ومما هو جدير بالذكر أنّ في القرآن الكريم آيات شريفة ربما يتوهم منها أن النبيّ (ص) قبل البعثة ونزول جبرائيل عليه بالبعث إلى التبليغ والرسالة ما كان نبياً يعني لم يكن فيه النبوة وكمالاتها العلميّة .

منها قوله تعالى : ﴿ وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيراً للكافرين ﴾^(١) يظهر من الآية الشريفة أن النبيّ (ص) كان يرجو أن يلقى إليه الكتاب من رحمة ربه وليس في الآية شاهد أنه ما كان يرجو قبل البعثة أو بعدها نعم ما كان يرجو في حال لولا رحمة ربه وهو قبل أن يلقى إليه روح القدس الذي يلقى إلى النبيّ فأية دلالة في الآية على عدم رجاء النبيّ قبل أربعين سنة أو بعدها ؟ .

ومنها قوله تعالى : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾^(٢) يعني نحن نقص عليك أحسن القصص أي القرآن أو قصة يوسف بوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبل وحي القرآن إليك لمن الغافلين .

تدل الآية الشريفة أن بوحى القرآن خرج النبيّ (ص) عن زمرة الغافلين وصار من العالمين نعم في حال كان من الغافلين وهو قبل وحي القرآن ولكن متى أوحى إليه القرآن ؟ أوحى من حين ما أوحى الله إليه روحاً من أمره وبعد وحي روح القدس صار عالماً بالكتاب وقد تبين ذلك ممّا تقدم في تفسير آية : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾ ولا دلالة في الآية الشريفة على أن هذا الوحي كان قبل البعثة أو بعدها بل دلت على أن قبل وحيناً إليك القرآن كنت في غفلة من أحسن القصص وبعد وحي القرآن خرجت عنها وصرت

(١) سورة ٢٨ آية : ٨٦ .

(٢) سورة ١٢ آية : ٣ .

عالمًا بأحسن القصص بسبب وحي القرآن إليك والقول بأن هذا الوحي كان بعد البعثة ادعاء لا شاهد له .

ولا شك أن للوحي أقسام وفي القرآن الشريف استعمل فيها وليس الوحي يختص بكونه بعد البعثة والرسالة .

وقد قال سبحانه : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾^(١) و ﴿ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾^(٢) وقوله في الأرض : ﴿ بَأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾^(٣) و ﴿ إِذَا وَحَايَ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ﴾^(٤) و ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ ﴾^(٥) و وحي يكون قبل البعثة و وحي بعد البعثة والرسالة كما في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ وقد عرفت أن هذا الوحي كان في حين إلقاء روح القدس إلى النبي (ص) قبل البعثة ، والوحي من لوازم النبوة وقد ثبت من آية : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ . . . ﴾ كما عرفت أن النبي كان من أول الأمر نبيًّا ولا شك أن من لوازمه الوحي . ولو أردنا شرح أقسام الوحي لطال الكلام وفي الإشارة كفاية^(٦) .

ومنها قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ أَنْ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(٧) تلك أي تلك الأنبياء أو قصة نوح من أخبار ما غاب عنك معرفته نوحيا إليك أي تلك الأنبياء والأخبار التي أعلمناها لم تكن تعلمها أنت ولا قومك من العرب يعرفونها من قبل هذا يعني من قبل إيحائنا إليك ومن قبل نزول القرآن عليك .

(١) سورة ١٦ آية : ٦٨ .

(٢) سورة ٢٨ آية : ٧ .

(٣) سورة ٩٩ آية : ٥ .

(٤) سورة ٥ آية : ١١٤ .

(٥) سورة ٢٠ آية : ٣٨ .

(٦) وكذا لو أردنا الإشارة إلى نزول القرآن دفعة ثم تدريجاً في مدة ٢٣ سنة لطال الكلام أنظر في

هذا الموضوع إلى تفسير الميزان ج ٢ ص ١٣ - ١٦ .

(٧) سورة ١١ آية : ٤٩ .

يظهر من الآية الشريفة أن معرفة النبي (ص) بتلك الأنبياء إنما هي بواسطة الوحي ومنذ نزول الوحي هو عالم بها ولا دلالة في الآية على أن هذا الوحي هو الوحي الذي بعد البعثة ولم يكن قبلها . نعم كان النبي (ص) في حال قبل الوحي بحيث تلك الأنبياء بالنسبة إليه في تلك الحال كانت من أنبياء الغيب ولكن بالوحي صار عالماً بها وعلم النبي (ص) بتلك الأنبياء وبتمام الكتاب كان من حين أن أوحى الله إليه ألقى عليه روح القدس كما عرفت من آية : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا . . . ﴾ فهذا الوحي المذكور في الآية الذي وقع قبل اربعين سنة من أن يبعثه الله إلى التبليغ والدعوة إليه .

وأما قوله تعالى : ﴿ فوجدك ضالاً فهدى ﴾^(١) فلفظ « الضال » له معاني متعددة وحمله على معنى أن النبي (ص) كان قبل النبوة في الضلالة والانحراف عن دين الحق وكان على طريقة قومه ضالاً عما كان عليه في حال النبوة بعد البعثة وكان في مدة أربعين سنة غافلاً عن النبوة والشريعة - مخالف للأدلة القطعية من العقلية والنقلية وقائله خارج عن مذهب الشيعة الإمامية ومنتحل مذهب الحسن البصري والضحاك والجبائي وعكرمة الخارجي وغيرهم من المنحرفين عن طريقة أهل البيت عليهم السلام وكذا حمل قوله تعالى : ﴿ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ وقوله : ﴿ وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ على هذا المعنى الذي أوعزنا إليه - ليس من مذهب الإمامية والقائل به خارج عن طريقة الأئمة (ع) وداخل في زمرة مخالفين فإن الشيعي الحيّ التابع لأئمتهم لا يقول بهذه المعاني الفاسدة فيجب حمل لفظ « ضال » على معنى من معانية التي يوافق الأدلة العقلية والنقلية الدالة على عصمة النبي (ص) من أول عمره إلى آخره فلا بد من حمل الآية الشريفة على أحد المعاني الصحيحة التي ذكرها سيّدنا الإمام المرتضى (ره) في كتابه النفيس « تنزيه الأنبياء » أنظر ص ١٠٨ ط تبريز .

أو أحد المعاني الصحيحة التي ذكرها الطبرسي (ره) في مجمع البيان

(١) سورة ٩٣ آية : ٧ .

ج ٥ ص ٥٠٥ نعم بعض المعاني التي نقلها عن المنحرفين عن العترة الطاهرة (ع) المخالف للأدلة القطعية فأضرب به على الجدار . ولاحظ سياق الآيات الشريفة أعني قوله تعالى : ﴿ ألم يجدك يتيماً فأوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى ﴾^(١) تجدها ألصق بحال صغر رسول الله (ص) وترجيح المعنى الخامس الذي ذكره الشيخ الطبرسي (ره) فراجع .

وليسمح لي القاريء العزيز أن أقول أن لفظ « الضال » و « الضالة » في اللغة جاء بمعنى الشيء المفقود الذي تسعى ورائه فليكن لفظ « الضال » في الآية الشريفة بهذا المعنى كما قال الإمام علي بن موسى الرضا سلام الله عليه : « ووجدك ضالاً ، أي ضالة في قوم لا يعرفون فضلك فهداهم إليك » وهذا المعنى أيضاً يوافق الأدلة العقلية والنقلية وأي ترجيح للمعنى الفاسد عليه ؟ ولت شعري ما السبب لترجيحه على المعنى الصحيح ؟ ولعل السبب هو الجهل وإعوجاج الفكر .

ولينعم القاريء العزيز النظر إلى صفحة (٢٦٤) من هذا الكتاب ويطالع كلمات شيخنا (ره) .

وأما أمر الله تعالى على النبي (ص) باتباع ملة جدّه إبراهيم (ع) فهو بالنسبة إلى العقائد كما قال تعالى :

﴿ ثمّ أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾^(٢) يظهر من الآية الشريفة من قوله : حنيفاً، وقوله : وما كان من المشركين ، أن الأمر باتباعه في التوحيد لا الأحكام وإلا لما جاز النسخ كما يأتي في كلام المحقق القمي (ره) في القوانين .

ولا بأس بنقل كلمات جمع من العلماء في مسألة تعبد النبي (ص)

(١) سورة ٩٣ آية : ٦ - ٧ - ٨ .

(٢) سورة ١٦ آية : ١٢٣ .

قبل البعثة وأنه كان بشريعة نفسه وأنه معصوم من أول عمره إلى آخره . قال الشيخ الصدوق (ره) في اعتقادات الإمامية : اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة والملائكة أنهم معصومون مطهرون من كل دنس وأنهم لا يذنبون ذنباً لا صغيراً ولا كبيراً ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم ومن جهلهم فهو كافر . واعتقادنا أنهم معصومون موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل أمورهم وأواخرها لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا عريان ولا جهل . (أ.هـ) .

قال الشيخ الإمام المفيد (ره) في ضمن جواب المسألة المتممة للخمسين من المسائل العكبرية : وقوله أن النبيّ (ص) ولد مبعوثاً ولم يزل نبياً فإنه مجمل من المقال وباطل فيه على حال فإن أراد بذلك أنه « لم يزل في الحكم مبعوثاً وفي العلم نبياً فهو كذلك » وإن أراد بذلك أنه لم يزل موجوداً في الأزل ناطقاً رسولاً وكان في حال ولادته نبياً مرسلًا كما كان بعد الأربعين من عمره فذلك باطل لا يذهب إليه إلا ناقص غبي لا يفهم عن نفسه ما يقول والله المستعان وبه التوفيق .

قوله : لم يزل في الحكم ألخ . . . هو مراد الإمامية لا أن النبيّ (ص) كان في حين ولادته نبياً مرسلًا مبعوثاً فإن قيامه بالرسالة والتبليغ كان بعد البعثة .

قال شيخ الطائفة الشيخ محمد بن الحسن الطوسي النجفي (ره) شيخ الإمامية على الإطلاق في كتابه النفيس « عدة الأصول » ما هذا لفظه : فصل في أنه (ص) هل كان متعبداً بشريعة من كان قبله من الأنبياء أم لا ، عندنا أن النبيّ (ص) لم يكن متعبداً بشريعة من تقدمه من الأنبياء لا قبل النبوة ولا بعدها وإن جميع ما تعبد به كان شرعاً له ، ويقول أصحابنا أنه (ص) : قبل البعثة كان يوحى إليه بأشياء تخصه وكان يعمل بالوحي لا إتباعاً لشريعة . وأمّا

الفقهاء فقد اختلفوا في ذلك والمتكلمون^(١) فالذي ذهب إليه أكثر المتكلمين من أهل العدل وهو مذهب أبي هاشم وأبي علي أنه لم يكن متعبداً بشريعة من تقدمه وإن جميع ما تعبد به كان شرعاً له دون من تقدمه ، وحكى أبو عبد الله^(٢) عن أبي الحسن أنه ربّما نصّ هذا وربّما نصّ خلافه وفي العلماء من قال أنه كان متعبداً بشريعة بعض من تقدمه واختلفوا

والذي يدل على ما ذهبنا إليه أجماع الفرقة المحقة لأنه لا اختلاف بينهم في ذلك وإجماعها حجّة على ما نستدل عليه إن شاء الله .

ويدل على ذلك أيضاً ما ثبت بالإجماع من أنه (ع) أفضل من جميع الأنبياء ولا يجوز أن يؤمر الفاضل باتباع المفضول على ما دللنا عليه في غير موضع فإن قيل : فمن أين يعلم أنه كان قبل النبوة أفضل من سائر الأنبياء، قيل له : لم يخصّ أحد تفضيله على سائر الأنبياء بوقت دون وقت فيجب أن يكون أفضل في جميع الأوقات .

ويدل على ذلك أيضاً أنه لو كان متعبداً بشريعة من تقدمه بأن يكون شرعاً لذلك المتقدم ويكون في حكم المؤدّي عنه فكان يجب أن يضاف جميع الشرع إليه كما لا يضاف الشرع إلى من يؤدّي عنه (ص) لما كان مؤدّياً عنه (ص) وفي علمنا بإضافة جميع الشرع إليه دليل على أنه لم يكن متعبداً بشرع من تقدمه .

ويدل على ذلك أيضاً أنه لو كان متعبداً بشرع من تقدم لم يخل من أن يكون متعبداً بشريعة موسى أو عيسى عليهما السلام لأنّ شريعة من قبلهما مندرسة وهي مع ذلك منسوخة بشريعتهما . . .

(ثم شرع قدّس الله روحه على الاستدلال ونقل الأقوال وأدلتها ودحض الشبهات ونسفها إلى أن قال) : وتعلقوا - يعني الذين قالوا أنه كان عاملاً

(١) مراده فقهاء أهل السنّة ومتكلمهم كما هو واضح .

(٢) يقصد به أستاذه وشيخه الشيخ المفيد (ره) .

بشريعة من تقدمه - بقوله تعالى : ﴿ واتبع ملة إبراهيم حنيفاً ﴾^(١) وبقوله : ﴿ فبهدهم اقتده ﴾^(٢) وبقوله : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون ﴾^(٣) وهو (ص) من جملتهم وذلك يقتضي صحّة ما قالوه قيل له : أما الملة التي أمرنا باتباعها فهو دين إبراهيم لأنّ الملة هي الدين لأن المراد بذلك التوحيد والعدل بين ذلك قوله ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾^(٤) وقد علمنا أن الملة التي يستحق الراغب عنها هذا الوصف هي العقلية أما قوله اقتده فإنه أراد بذلك أدلتهم التي تدل على العقلية لأن ذلك هو الذي يضاف إليهم ، فإما الشريعة فقوله هو الدليل فيها فالإضافة لا تصحّ فيها وأما قوله تعالى فيها هدى ونور يحكم بها النبيون فالمراد به ما قدمناه يدل على ذلك قوله تعالى يحكم بها النبيون فظاهر ذلك يقتضي أن كل من كان قبل موسى قد حكم بذلك ولا يصح مع ذلك حمله على الشرعيات في هذا الباب (أهـ) أنظر ج ١ ص ٦٠ - ٦٤ ط هند .

وقال الشيخ الشهيد السعيد ابن فتال النيسابوري (ره)^(٥) في روضة الواعظين : أعلم أن الطائفة قد اجتمعت على أن رسول الله (ص) كان رسولاً نبياً مستخفياً يصوم ويصلي على خلاف ما كانت قريش ، يفعله مذ كلفه الله تعالى فإذا أتت أربعون سنة أمر الله عزّ وجلّ جبرائيل (ع) أن يهبط إليه بإظهار الرسالة وذلك يوم السابع والعشرون من شهر الله الأصم الخ أنظر ص ٦٥ ط قم .

وقال المحقق الأردبيلي (ره) في بعض تعليقاته - المخطوطة الموجودة

(١) سورة ١٦ آية : ١٢٣ .

(٢) سورة ٦ آية : ٩٠ .

(٣) سورة ٥ آية : ٤٤ .

(٤) سورة ٢ آية : ١٣٠ .

(٥) لم يعلم عام شهادته على التحقيق ولكن يدعى بعض المعاصرين أنه استشهد سنة (٥٠٨ هـ) وبما أنه لم يذكر مصدراً لنقله وسنداً لأدعائه ولذا إني لا اعتمد على هذا التاريخ الذي ذكره اللهم إلا أن يعلم مستند هذا الإدعاء والله الموفق .

في مكتبتنا - على الكشف ما هذا ملخصه : القول أنه (ص) ما كان يعبد الرب أصلاً قبل البعثة مدة أربعين سنة ظاهر البطلان، بل ما ذهب إليه أحد فكاد أن يكون إسناده كفوفاً وكان يتعبد بالفروع السمعية مثل الطواف وكان معتزلاً في غار حراء ليتجنب المعاصي ويفعل العبادات ولم يكن (ص) في أربعين سنة خالياً من العبادات الشرعية الفرعية (أه) .

وقال المحقق القمي (ره) في القوانين : الحق أن نبينا (ص) قبل البعثة كان متعبداً ولكن لا بشريعة من قبله من الأنبياء (ع) لنا أن ضرورة ديننا يقتضي أفضليته (ص) عن الأنبياء (ع) وفيما ذكره يلزم تقديم المفضول وهو قبيح ولأنه لو كان كذا لكان إما بالوحي أو بالتعليم من علمائهم ، والأول هو معنى الرسالة^(١) والموافقة لا يقتضي المتابعة ، وإما الثاني فلو ثبت لافتخر أهل الأديان بذلك ولو افتخروا به لشاع ولم يعاشر أهل الكتاب ولم يأخذ منهم شيئاً وإلا فالعادة تقتضي بنقله ولا من كتبهم لأنه . (ص) كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب مع ما روى الخاصة والعامة أنه (ص) قال : كنت نبياً وآدم بين الماء والطين . وأيضاً كون عيسى (ع) في المهد نبياً ، ويحيى (ع) في الصبي دون نبياً (ص) إلى أربعين سنة ينافي أفضليته . وأما بطلان القول بعدم تعبد بشيء فأوضح لاستلزامه كمال النقص وكونه أسوأ حالاً من آحاد الناس مع ما ورد مما كان يفعله من الأعمال والحج في الأخبار .

وأما بعد البعثة فالحق أيضاً أنه (ص) لم يكن متعبداً بشريعة من قبله وتوافقه مع غيره في كثير منها ليس نفس المتابعة - إلى أن قال رحمة الله - وأما الآيات مثل قوله تعالى : ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم وبهداهم اقتده ، وشرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً، فهي محمولة على أصول العقائد وإلا فلم يجز النسخ سيما مع ملاحظة قوله تعالى : ﴿ ومن يرغب عن ملة ﴾

(١) الأولى التعبير بالنبوة فإن الكلام في حاله قبل البعثة كما أن الأولى في التعبير عن حاله بعد البعثة : بالرسالة . هذا مع قطع النظر عن معناهما اللغوي بل الإصطلاحي وقد وقع هذا التسامح في كثير من العبارات .

إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴿ وكذلك المراد بهدى الجميع ما اتفق الجميع فيه وهو أصول العقائد وإلا فأديانهم مختلفة ويظهر من ذلك الجواب عن سائر الآيات (أه) .

وقال الإمام فخر الدين الرازي في كتابه : « معالم أصول الدين » ما هذا نصه : الحق أن محمداً (ص) قبل نزول الوحي ما كان على شرع أحد من الأنبياء (ع) وذلك لأن الشرائع السابقة على شرع عيسى (ع) صارت منسوخة بشرع عيسى (ع) وأما شريعة عيسى (ع) فقد صارت منقطعة بسبب أن الناقلين عندهم النصارى وهم كفار بسبب القول بالتثليث فهم قليلون فلا يكون نقلهم حجة، وأما الذين بقوا على شريعة عيسى (ع) مع البراءة من التثليث فهم قليلون فلا يكون نقلهم حجة وإذا كان كذلك ثبت أن محمداً (ص) قبل البعثة على شريعة أحد (أه) أنظر هامش نقد المحصل (تلخيص المحصل) ص ١١١ ط مصر .

في كلامه مواضع للنظر أعرضنا عن الإشارة إليها خوف الإطالة فالقارىء الكريم جد خبير بعد الإحاطة بما ذكرناه تفصيلاً أن رسول الله (ص) كان نبياً من أول الأمر وقد ألقى الله تعالى عليه روح القدس وكان في مدة أربعين سنة قبل الرسالة والبعثة متعبداً بشريعة نفسه ويشهد بذلك أيضاً سيرة رسول الله (ص) وأحواله الخاصة ويظهر ما أدعيناه لمن سبرها على نحو التحقيق والتحليل الصحيح .

وبعد هذا كله فإن وجدنا في بعض المؤلفات أو في بعض كتب الحديث أو التفاسير وغيرها من الكلمات أو الأخبار والأثار التي يترأى منها خلاف ما حققنا فاللزام توجيهها وتأويلها إن أمكن وإلا يضرب بها الجدار وي طرح على القفار .

راجع الصحيحين تجد ذلك جلياً واضحاً

صفحة ١٢٨ سطر ١٨ .

ذكر فقيدنا العظيم مضامين الروايات الواردة عن النبيّ (ص) في حق الصحابة . وأنا أذكر نصوصها عن الصحيحين لئلاً يقال : ليس في كتب الصحاح هذه الأحاديث بهذه العبارات ، ولئلاً يرد على راحلنا الغالي ما أورده الفاضل الشامي على الشيعة في جواب الشيخ البهائي كما في روضات الجنات ص ٦٣٦ س ٣٥ : « إنه قال : كنت في الشام مظهراً أني على مذهب الشافعي فقال لي يوماً أفضل فضلائهم : يا فلان تحصل عند الشيعة حجة يعتمد عليها . فقلت له : حججهم كثيرة . فطلب مني أن أحكي له شيئاً منها . فقلت : يقولون : أن البخاري روى في صحيحه عن النبيّ ص ٢٦ وص ٣٦ ج ٥ أنه قال : فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني ؛ ثم روى بعد هذا بأربع ورقات ص ٩٦ ج ٤ إنها خرجت من الدنيا وهي غاضبة عليهما يعني على الشيخين . فما ندري كيف الجواب ؟ فأطرق ملياً وقال هذا كذب على البخاري أنا أراجعه الليلة . فغدوت عليها من الصباح فلما رأني ضحك ثم قال : أما قلت لك أن الرافضة تكذب راجعت صحيح البخاري البارحة فرأيت بين الحديثين أزيد من خمس ورقات ، وكان يتبجح بهذا الجواب » .

في صحيح البخاري ج ٩ ص ٥٨ طبع محمد علي الصبيح : كتاب الفتن « بإسناده عن النبيّ (ص) قال : أنا على حوضي أنتظر من يرد عليّ فيؤخذ بناس من دوني . فأقول : أمتي . فيقول لا تدري مشوا على القهقري . أيضاً بإسناده قال النبيّ (ص) أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إلى رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول : أي رب أصحابي يقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك .

أيضاً بإسناده عن النبيّ (ص) يقول : أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه ومن شرب منه لم يظماً بعده أبداً ، ليرد على أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم . قال أبو حازم فسمعني النعمان بن أبي عياش

وأنا أحدثهم هذا فقال : هكذا سمعت سهلاً ، فقلت نعم قال : وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه قال : أنهم مني . فيقال إنك لا تدري ما بدلوا بعدك فأقول : سحفاً سحفاً لمن بدل بعدي .

وفي صحيح مسلم طبع محمد علي صبيح بمصر ج ٨ ص ١٥٧ « بإسناده عن ابن عباس : قال : قام فينا رسول الله (ص) خطيباً بموعظة . . .

إلى أن قال (ص) : ألا وأنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يا رب أصحابي . فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح : وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شهيد ، إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم .

قال : فيقال لي : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم . وفي حديث معاذ فيقال ، إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك .

يا رسول الله صلوات الله وسلامه عليك ما ذر شارق ولاح بارق إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، ونحن أيضاً ما كنا في ذلك العهد حتى نرى بأعيننا ما أحدثوا بعدك لكن البخاري يحدثك ويحدثنا في صحيحه المتفق عندهم على صحة ما فيه من الأحاديث أن بضعتك التي قلت في حقها : فاطمة بضعة مني من أذاها فقد أذاني ومن أغضبها أغضبني ماتت وهي غضبي على الأول .

خلق الله الجنة لمن أطاعه الخ

صفحة ١٤٧ سطر ١١ - ١٢ .

الظاهر أنه إشارة إلى القصة التي تنسب إلى الأصمعي أنه قال : بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة إذ رأيت شاباً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول : . . . فإذا هو علي بن الحسين (ع) فقلت سيدي ما هذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله تعالى يقول : ﴿ إنما يريد الله ليذهب

عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً ﴿ قال : هيهات هيهات يا أصمعي . إن الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً وخلق النار لمن عصاه ولو كان حراً قريشياً أليس الله يقول : ﴿ فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم ﴾ وفي بعض النسخ : ولو كان سيّداً قريشياً . وفي بعضها دع عنك ذكر أبي وجدي .

من هو الأصمعي هذا ؟ هل هو الأصمعي الشهير ؟ أعني عبد الملك بن قريب المتولد سنة ١٢٣ هـ والمتوفي سنة ٢١٣ هـ - أو سنة ٢١٧ هـ - وهو من أئمة الأدب - كيف يمكن لقائه الإمام السجاد (ع) المتوفي سنة ٩٥ هـ أو سنة ٩٤ هـ - أين الأصمعي ولقائه الإمام (ع) وهو في أيام شبابه ويستبعد لقائه الإمام (ع) على سبيل المودة ويقول : بكيت ففطرت دمعة من دموعي على خده الشريف .

مع أن الأصمعي في نضبه لأهل البيت (ع) مشهور قال أبو العيناء : كنا في جنازة الأصمعي فحدثني أبو قلابة حبش بن عبد الرحمن الجرمي الشاعر فأنشدني لنفسه :

لعن الله أعظماً حملوها نحو دار البلى على خشبات
أعظماً تبغض النبي وأهل البيت والطيبين والطيبات

أهو أصمعي آخر غير الأصمعي الشهير الناصبي ونحن لا نعرفه ؟ .

قرأنا هذه القصّة في بعض كتب أهل السنة مرسلّة من دون ذكر سند لها ولم يروها الشيعة وما ذكروها في كتبهم إلاّ نقلاً عن بعض كتب أهل السنة وفي بعض الكتب نسبة نقلها إلى طاووس الفقيه مع اختلاف في بعض العبارات ، وغير خفي على الباحث المنقب أنه يظهر من مساق هذه القصّة أنها من الموضوعات وضعوها في قبال ما ورد في حقّ أهل البيت النبوي من الأحاديث النبويّة ، ولما تفتن بعض الوضاعين أن نسبة نقلها إلى الأصمعي يعد من الأغلاط فنسبها إلى طاووس الفقيه وهو على الظاهر المشهور من متصوفة

العامّة ، ولكن سيّدنا الإمام المجتهد الأكبر فقيده الإسلام السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي (ره) ذكره من الشيعة في كتابه القيم : « المراجعات » أنظر ص ٧٠ ط ١ صيدا .

وقد روى الفريقان كما عن الإمام الرضا عن آباءه قال رسول الله (ص) كل نسب وصهر منقطع يوم القيامة إلا نسبي وسبي .

والظاهر أن معنى هذه الكلمة النيرة أنه لا يتنفع يومئذ بسائر الأنساب وينتفع بالنسبة إليه (ص) .

وعن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله (ص) يقول على المنبر : ما بال أقوام يقولون أن رحم رسول الله (ص) لا تنفع يوم القيامة بلى والله إن رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة الحديث .

وقال عمر . سمعت رسول الله (ص) يقول : كل حسب ونسب منقطع يوم القيامة ما خلا حسبي ونسبي وكل بني أنثى عصبتهم لأبيهم ما خلا بني فاطمة فإني أنا أبوهم وأنا عصبتهم . أنظر إلى كتب الحديث للفريقين .

وأنظر أيضاً إلى قوله في تلك القصّة : « دع عنك ذكر أبي وجددي » كيف يقول السجاد (ع) هذا الكلام ؟ .

خال المؤمنين

صفحة ١٥٨ سطر ١٢ .

قال العلامة الكراجكي (ره) في كتابه « التعجب » ما هذا لفظه الشريف :

ومن عجيب أمر الحشوية ووقاحتهم في العناد والعصية أنهم يقولون أن معاوية بن أبي سفيان خال المؤمنين ويقولون انه استحق ذلك بسبب أن أخته أم حبيبة بنت أبي سفيان إحدى أزواج النبي الذين هم بنص القرآن للمؤمنين أمهات ولا يسمون محمّد بن أبي بكر خال المؤمنين بل لا يذكرونه بذكر جميل وأخته عائشة أعظم أزواج النبي (ص) عندهم قدراً وأجلّ الأمهات في مذهبهم فضلاً وذكراً وليس يدانيها عندهم أمّ حبيبة ولا يقاربها ولا أبوها كأبيها فلم لا يسمون محمّد بن أبي بكر خال المؤمنين ويكون أحق بذلك من معاوية ابن أبي سفيان الفاسق اللعين الطليق لعنه رسول الله (ص) وقال إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه وكان من المؤلفة قلوبهم^(١) ولم يحفظ قط حسنة يسط معها في تفضيلهم له عذراً ولا ورد في الأثر عن النبي (ص) تسميته بخال المؤمنين فيصح قولهم وبأي وجه استحق معاوية هذا الإكرام دون محمّد بن أبي بكر؟ وكيف يجب أن يحفظ أمّ حبيبة في أخيها معاوية ولم يجب أن يحفظ عائشة في أخيها محمّد؟ .

كلاً ليس يخفى على العاقل أن بغضهم لأمير المؤمنين (ع) حملهم على تفضيل محاربيه وتبجيل أعاديه ومعانديه وإهمال ذكراوليائه المنسوبين إليه من أصفياه وقد علم أن معاوية كان لأمير المؤمنين (ع) عدواً وحرماً ، وأن محمّد بن أبي بكر كان له ولياً وحزباً بذلك صار معاوية خالاً للمؤمنين دون محمّد بن أبي بكر ربيب أمير المؤمنين مع ما أنه على الحقيقة واليقين لا يصح أن يكون أحد من أخوة أزواج النبيّ (ص) خالاً للمؤمنين وذلك أن الله تعالى إنما جعل أزواج نبيّه أمّهات لهم ليحرم عليهم بعده العقد عليهن فلو كان معاوية عليه الهاوية أو غيره خالاً للناس لأجل أن أخته في حكم الأمّهات لحرم عليه وطىء مؤمنة لأن الخال لا يحل ان يطأ بنت أخته ، أترى لو اجتمع أخوة أزواج النبيّ (ص) كعبد الرحمن ومحمّد بن أبي بكر أخوي عائشة وعبد الله وعبيد الله وعاصم ومعاوية بنو عمر بن الخطّاب أخوة حفصة ويزيد ومهاجر إبناً أمّية أخوي أمّ سلمة ومعاوية بن أبي سفيان أخو أمّ حبيبة كيف كان يترتبون في منزلة الخثولة ؟ وهل كان بعضهم خالاً لبعض ؟ أم هذا النعت مختص بمعاوية فقط .

وأيضاً : قولهم أن معاوية كاتب الوحي وقد كان بين يدي النبيّ أربعة عشر نفساً يكتبون وأقومهم أمير المؤمنين (ع) فبماذا يستحق معاوية هذا النعت دونه ودون غيره من الكتاب ؟ .

قد علم أن معاوية عليه الهاوية لم يزل مشركاً مدة كون النبيّ (ص) مبعوثاً يكذب بالوحي ويهزء بالشرع وكان باليمن يوم الفتح يطعن على رسول الله (ص) ويكتب إلى أبيه صخر بن حرب يعيّره بإسلامه ويقول له صبوت إلى دين محمد (ص) ومما كتب به إلى أبيه من قبل أن يسلم قوله :

يا صخر لا تسلمن طوعاً فتفضحننا	بعد الذين يبدر أصبحوا مرقا
جديّ وخالي وعم الأم يالهم	قوماً وحنظلة المهدي لنا الأرقا
لا تركنن إلى أمر تكلفنا	والراقصات بهم في مكة الخرقا

(١) أنظر «المجبر» لمحمد بن حبيب النسابة المتوفى (٢٤٥) هـ ص ٤٧٣ ط حيدرآباد والمعارف لإبن قتيبة ص ١٤٩ ط مصر .

فالموت أهون من قبل الصبات لنا خيل ابن هند عن العزى كذا فرقا
فإن آيت أبينا ما تريد ولا تدع عن اللات والعزى إذا اعتنقا^(١)

والفتح كان في شهر رمضان لثمان سنين من قدوم النبيّ (ص) المدينة
ومعاوية يومئذٍ مقيم على شركه هارب من النبيّ (ص) لأنه كان قد هدر دمه
فهرب إلى مكة فلما لم يجد له مأوى صار إلى النبيّ (ص) مصير الإضطراب
فأظهر الإسلام قبل وفاة النبيّ (ص) بخمسة أشهر أو ستة أشهر وطرح نفسه على
العباس بن عبد المطلب فسئل فيه رسول الله . فعفا عنه ثم شفع له أن يشرفه
ويضيفه إلى جملة الكتاب فأجابته وجعله واحداً من أربعة عشر كاتباً فكم ترى
يخصه من الكتابة في مدة ستة أشهر حتى يستحق هذا النعت بكاتب الوحي
لولا ما حملتهم عليه العصبية التي أصدت السمع وأعمت البصر وليس يلتبس
أهل العقل أن مجرد الكتابة لا يحصل بها الفضل ما لم يقارنها صحيح الإيمان
وعقد القلب لأنه قد كتب لرسول الله عبد الله بن أبي سرح ثم ارتدّ مشركاً وفيه
نزل - ﴿ ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب الله ولهم عذاب
أليم ﴾^(٢) .

وروى أن آخر كتبة الوحي ابن أبي سرح وارتد من الإسلام ومات على
الكفر ودفن فلم تقبله الأرض فكيف حصل لمعاوية هذا النعت تميّز به عن
الخلق والمأثور أن رسول الله لعنه على منبره وأخبر أنه يموت على غير ملّة .

مما روى في ذلك : أن النبيّ (ص) قام يخطب أخذ معاوية بيد أبيه
فقال النبيّ (ص) لعن الله القائد والمقود أي يوم يكون لهذه الأمة من معاوية ذي
الأستاة .

وروى عن عبد الله ابن عمر أنه قال أتيت النبي (ص) فسمعت يقول
يطلع عليكم رجل يموت على غير سنتي فطلع معاوية . وفي خبر آخر يطلع

(١) هكذا وجدنا هذه الأشعار في النسخة المطبوعة سنة (١٣٢٢ هـ) من كتاب « التعجب » ولكنها

تحتاج إلى تصحيح .

(٢) سورة ١٦ آية : ١٠٦ .

عليكم رجل من أهل النار فطلع معاوية . وعن جابر أن النبي (ص) قال يموت معاوية على غير ملتي . ومن طريق آخر يموت كافراً . واشتهر عنه لم يمته إلا وفي عنقه صليب ذهب وضعه له في مرضه أهون المتطبب وأشار إليه بتعليقه فأخذه من كنيسة يوحنا وعلقه في عنقه .

وروى أيضاً أنه تشافى بلحم الخنزير فأكله قبل موته وغير ذلك مما لا يحصى وإنما تناسى القوم هذه الاخبار وأمثالها ولم يتلفتوا إلى شيء منها لما جاهر به معاوية من معالجة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وتناهيه في جهاده وحربه وإنه قتل خيار أصحابه وشيعته ولعنه على المنابر وجعل بغضه يتوارث نصاً، ولذلك قيل كاتب الوحي وخال المؤمنين والخليفة الحليم والسмиح الكريم ونسي جميع ما روى فيه بالويل الطويل ويلهم من رب العالمين (أ.هـ) .

وليعلم القاريء الكريم أن العلامة الإمام الكبير أبا الفتح الكراجكي القاضي وهو محمد بن علي بن عثمان المعروف بالعلامة الكراجكي من أكابر علماء الإمامية والمشهور بين الأمة بعلمه المتدقق مقبول القول عند علماء أهل السنة والشيعة وقد ذكره المؤرخ الكبير ابن العماد الحنبلي في كتابه « شذرات الذهب » ج ٣ ص ٢٨٣ وقال ما هذا لفظه : وفيها - يعني في سنة ٤٤٩ هـ توفي - أبو الفتح الكراجكي الخيمي رأس الشيعة وصاحب التصانيف محمد بن علي مات بصور في ربيع الآخر وكان نحوياً لغوياً منجماً طبيياً متكلماً متفنناً من كبار أصحاب الشريف المرتضي وهو مؤلف كتاب تلقين أولاد المؤمنين (أ.هـ)

قلت : الخيمي نسبة إلى الخيم من بلاد مصر وقد كان (ره) سائحاً في البلاد وكان مدة بحلب ودمشق الشام وطرابلس وأطال المقام بها ونزل مدة برملة والقاهرة وجال في بلاد مصر كثيراً وصرح في الشذرات كما سمعت أنه توفي بـ « صور » وذكره اليافعي في « مرآت الجنان » وقال في حقه قريباً مما سمعت من ابن العماد ويعبر عنه شيخنا الشهيد الأول (ره) كثيراً في كتبه

ب « العلامة » وقال المجلسي (ر ه) : وأما الكراجكي فهو من أجلة العلماء والفقهاء والمتكلمين أسند إليه جميع أرباب الإجازات وكتابه كنز الفوائد من الكتب المشهورة التي أخذ عنه جل من أتى بعده وسائر كتبه في غاية المتانة (أ. هـ) ومن كتبه كتاب التفضيل طبع في (١٣٧٠) هـ بطهران باهتمام الفاضل المعاصر السيد جلال الدين المحدّث ، كتبه في تفضيل أمير المؤمنين (ع) على جميع البشر سوى رسول الله (ص) وقال : إن أمير المؤمنين (ع) افضل من جميع البشر ممّن تقدّم وتأخر سوى رسول الله (ص) وعلى هذا القول إجماع الشيعة الإمامية فراجع .

هل تكلم رأس الحسين "ع" ؟

صفحة ١٨٥ سطر ١ .

ومّمّا هو جدير بالذكر أنه لا بدع في القدرة الإلهية والحكمة الربانية بأن مكنت رأس الإمام المظلوم الباذل مهجته في سبيل الله وإحياء دينه وإقامة توحيده من الكلام للمصالح التي نقصر عن الوصول إلى كنهها ولا يحيط عقولنا بجميع جهاتها بعد ان أودعت في « الشجرة » قوة الكلام مع نبيّ الله موسى بن عمران (ع) عند المناجات كما نص عليه في القرآن - سورة ٢٨ آية : ٣٠ - ﴿ وهل يقاس الشجرة برأس لمنحور في طاعة الرحمن وإطاعة السبحان ؟ .. كلاً ﴾ .

وقد نص القرآن الكريم بإنطاق الجوارح وتكلم الأعضاء من البشريوم الشور بما فعلته في دار الغرور وقال تعالى : ... شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم ...

﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي أنطق كلّ شيء ﴾ ... (سورة ٤١ آية : ٢٠ - ٢١) وقال تعالى : ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ (سورة ٢٤ آية : ٢٤) .

وحمل هذه الآيات وغيرها على خلاف ظاهرها من دون حجة وبرهان

مما لا يقبله العقل والوجدان مع تأييد العلم والعيان في هذا الزمان ظواهر تلك الآيات من القرآن ولذا لا يقدم على فتح باب التأويل عليها من كان من أهل الإيمان اللهم إلا ممن ليس هو من أهل العلم والفرقان وأن يدعي التمسك بالقرآن .

فبعد تصريح القرآن بأن الجوارح تنطق وتتكلم وتشهد يوم الحشر بأعمال الإنسان فلا غرو في تكلم الرأس الأطهر من سيد شباب أهل الجنان بقدره الله تعالى وأنطاقه وهو بضعة من سيد الأنس والجان ، وصدور هذه الكرامة الباهرة من ذلك الرأس المطهر ليطم على الظالمين الحجّة ولكن طبع على قلوبهم وعلى أبصارهم غشاوة .

﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ (سورة ٢ آية : ٧) .

ولرئيس المحدثين الشيخ الصدوق (ره) كلمات نيرة صدع بها في جواب السلطان ركن الدولة (ره) لها تعلق تام بهذا الموضوع لا بأس بنقلها لتزيد بصيرة القارئ الكريم .

وقد نقل في ترجمة الشيخ الصدوق (ره) أن السلطان ركن الدولة جلس يوماً على عرش السلطنة وشرع على الإطراء والثناء على الشيخ الصدوق (ره) لأنه رأى قبل ذلك اليوم بيانات الشيخ (ره) وتكلماته المذهبية على ضوء العلم والمنطق . فاعترض أحد الحضار على السلطان : أن اعتقاد الشيخ (ره) على أن رأس سيد الشهداء يوم حمل على القناة كان يقرأ سورة الكهف فقال الملك : لم أسمع منه هذه المقالة ولكني أسأله فكتب إليه يستفتيه ويسأله عن هذا المطلب فكتب الشيخ الصدوق (ره) في الجواب :

إنّ هذه الرواية محكية ممن سمع من رأسه المطهر أنه يقرأ عدّة آيات من سورة الكهف إلا أنّ ذلك غير منقول من أحد الأئمة المعصومين (ع) ومع ذلك لا ننكره بل هو صواب لأننا إذا جوزنا في يوم الحشر تكلم أيدي الظالمين والعاصين وأرجلهم كما نطق به القرآن وقال تعالى : ﴿ اليوم نختم على

أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴿ (سورة ٣٦ آية : ٦٥) فكذا يجوز أن ينطق رأس الحسين (ع) ويتلو القرآن لكونه خليفة الله وإمام المسلمين ومن شباب أهل الجنة وسيدهم وسبط النبي (ص) وابن وصيه وأمه فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين صلوات الله عليهم أجمعين بل إنكار هذا المطلب يؤل في الحقيقة إلى إنكار قدرة الله تعالى وفضل الرسول (ص) والعجب ممّن ينكر صدور أمثال هذه الأمور ممّن بكى عليه الملائك في مصيبيته وتقاطر الدم من السماوات في رزيبته وناح عليه الجن بأصواته ومن أنكر هذه الأخبار وخوارق العادات مع كونها صحيحة فيجوز له إنكار جميع الشرائع والمعجزات الصادرة من النبيّ (ص) والأئمة (ع) بل وجميع الضروريات الدينية والدنيويّة فإنها أيضاً قويّة السند صحيحة الطرق قد حصل لنا العلم بمضامينها .

أقول وليعلم بعض شباب العصر الذين لم يطلعوا على حقائق القرآن ولم يخوضوا في المطالب الدينيّة ان انكار تكلم رأس سيد الشهداء (ع) على القناة وصدور بعض خوارق العادات من ذلك الرأس المطهر وكذا انكار بعض ما نقل من طريق الاحاد عن الصديقة الطاهرة(ع) او الأئمة المعصومين (ع) من الاعمال والكرامات الخارقة للعادة وان لم يخرج المنكر عن مذهب الشيع وربة الاسلام ولكن هذا الانكار وسلوك هذا الطريق الوعر يفضي بالآخرة إلى انكار المتواترات والضروريات ويتورط الانسان في المسالك الوعرة والمهالك المظلمة والغياب المدهشة من انكار المعاد وحشر الاجساد وامثال ذلك . ويعلموا يقيناً ان شيوع انكار هذه المنقولات ابطريق الاحاد بينهم ليس الآ من ناحية اعداء الدين وخصماء الاسلام للاخلال تدريجاً إلى الاعتقادات الضرورية ومحو الاساسيات عن قلوبهم وأذهانهم ونسفها لوصولها إلى مقاصدهم المشومة ومنوياتهم الممقوتة وتسلبوا على شئون الأمة كلها ألا قاتل الله أذنان الإستعمار وقد تداخلوا في جميع شئوننا وأمورنا وأفسدوا أخلاق الأمة لاستجلاب ميول أسيادهم أئمة الكفر والطغيان وأنبياء الشر وأعوان الشيطان . خذلهم الله .

شكر وتقدير

نحمده على ما هيا لنا من أسباب ترتيب هذا الكتاب القيم وجمعه من المطالب والأبحاث العلمية والموضوعات المتنوعة التي جادت بها براعة شيخنا وأستاذنا الإمام آية الله المغفور له « كاشف الغطاء » قدس سره . مع ما أضفنا إليها من البحوث العلمية والتاريخية بالبحث والتنقيب والتحليل الصحيح ونسأل الله تعالى أن يوفقنا بأكثر من هذه التعليقات والإضافات في طبعته الثانية إن شاء الله تعالى .

وأقدم جزيل شكري وتقديري لصديقي التاجر الوجيه الحاج محمد باقر صاحب مكتبة « حقيقت » في نشره هذا الكتاب وطبعه بنفقتة وإخراجه إلى الملأ العلمي والمجتمع المذهبي خدمة للدين وبتأ للعلم وترويجاً للمعارف وأقدر جهوده الجبارة وعمله الصادق .

وأقدر أيضاً جهود الفاضل المهذب البارع الشيخ « عمران غريبدوستي » في تصحيح هذا الكتاب ومساعدته ليررز هذا المؤلف النافع إلى عالم العلم والأدب مع لفت النظر إلى أنه هو الذكر الباقي الجميل والأثر الخالد النفيس في جبين الدهر إلى الأبد .

١٧ - ج ١ - ١٣٨٠ هـ ق .

محمد علي القاضي الطباطبائي

فهرس المحتويات

٧	مقدمة الكتاب
١٥	حياة المؤلف
١٥	نسبه
١٦	تاريخ ولادته
١٧	أسرته
١٨	نشأته وبراعته في الآداب
٢٣	مشايخه وأساتذته
٢٤	فقاوته وتبحره في العلوم
٢٦	استحضاره العلمي - والبعة المضرية
٣٦	اخلاقه وغيرته على الاسلام والمسلمين
٤٠	يومياته
٤١	أسفاره ورحلاته
٤٥	مواقفه الاصلاحية
٤٨	تأليفاته الممتعة
٤٨	مؤلفاته في الفقه
٤٨	مؤلفاته في الأدب
٤٩	مؤلفاته المخطوطة في الكلام

- ٤٩ في الفقه وأصوله
- ٥٠ التفسير والهيئة وغيرها
- ٥٣ وفاته
- ٥٦ شيوع الافتراء
- ٥٩ صنفان من العلماء
- ٦١ الاطراء عليه
- ٦٣ فاجعة الأمة
- ٦٧ رسالة كريمة
- ٧١ مقدمة المؤلف
- ٧٧ كلمة مجلة (الغرى)
- ٧٩ المولد النبوي صلى الله عليه وآله
- ٨٣ مولد النبي الكريم وبعثته
- ٨٩ هل كان النبي صلى الله عليه وآله أمياً ؟
- ٩٣ هل القرآن أفضل من النبي صلى الله عليه وآله ؟
- ما معنى قول النبي صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام إذا فاضت نفسي ؟
- ٩٧ نفسي ؟
- ١٠٣ خطبة للامام كاشف الغطاء ليلة ولادة أمير المؤمنين
- ١١٧ خطبة في يوم ميلاد أمير المؤمنين عليه السلام
- ١٢١ مقاله بمناسبة يوم الغدير
- ١٢٥ جوابه عن سؤال ورد من رنجبار
- ١٣٣ فاطمة الزهراء عليها السلام
- ١٣٩ على فوق العبقريات
- ١٤٥ يوم التاسع من ربيع الأول
- ١٤٧ هل النار محرمة على ذرية الزهراء (ع) ؟
- ١٥١ كلمته في بني هاشم وبني امية وسر صلح الامام الحسن عليه السلام
- ١٦٧ حسين مني وأنا من حسين وجواب الشيخ (ره) عن معناه
- ١٧٣ الحسين كتاب الله التكويني

- ١٧٥ موقف الحسين عليه السلام واصحابه يوم الطف
- ١٧٧ هل البكاء على الحسين عليه السلام اغراء للشيعه
- ١٧٨ التضحية في ضاحية الطف
- ١٨١ ساعة الوداع لسيد الشهداء عليه السلام
- ١٨٥ هل تكلم رأس الحسين عليه السلام
- ١٨٨ هل كان خروج الإمام عليه السلام القاء النفس الى التهلكة؟
- ١٩١ سؤال عن تضحية أصحاب الحسين عليه السلام
- ١٩٧ سؤال عن الأخبار الواردة في سكينه
- ٢٠٣ سؤال عن السياسة الحسينية
- ٢٠٩ من مدرسة كاشف الغطاء الكبرى
- ٢١٧ لا بد من ظهور المهدي
- ٢٢١ الأسباب التي دعت إلى غياب الحجة
- ٢٣١ رسالتان من كبير فقهاء الشيعة الامامية الامام كاشف الغطاء
- ٢٣٥ الرسالة الأولى - الاجتهاد والحرية الفكرية عند الشيعة الامامية
- ٢٣٩ الرسالة الثانية - غيبة المهدي المنتظر (عج)
- ٢٤٦ سؤال عن الحديث الذي رواه البخاري ومسلم
- ٢٤٨ ما المراد من الاسم أو الاسماء الواردة في ادعية متفرقة؟
- ٢٥١ ما معنى: (علماء أمتي كانباء بني اسرائيل)؟
- ٢٥٥ سؤال في الاعتراض على السيد حيدر الحلبي (ره)
- ٢٥٦ هاشم وامية ليسا من أب واحد
- ٢٦١ سؤال عن حديث من رأنا فقد رأنا
- ٢٦٦ سبب ظهور المبطلين على المحققين
- ٢٦٩ بعض التعقيبات على الكتاب
- ٣٠٥ خال المؤمنين
- ٣١١ هل تكلم رأس الحسين «ع»؟
- ٣١٥ شكر وتقدير